

رسالة القديس بولس

إلى

أهل رومية



القصص

تأليف يعقوب ملطي

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

رسالة القديس يوسف إلى أهل رومية

إسم الكتاب : رسالة القديس بولس إلى أهل رومية
المؤلف : القمص تادرس يعقوب ملطى
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست)
التجميع : مركز الدلتا للتجميع الآلى باسبورتنج

+ أساء البعض اباحة طبع كتب المؤلف لكنائسنا بالداخل والخارج من
جهة طريقة الطبع واستغلالها .

لايجوز طبع كتب المؤلف دون الاتصال به

+ تقوم الكنيسة باعادة طبع جميع الكتب السابقة وتوزيعها

بأقل من سعر التكلفة



ممنرة صاحب القلعة والخطبة
البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرونية

مقدمة فى الرسالة

يرى البعض أن كلمة « روما » من أصل يونانى تعنى « قوة » ، وكانت تستخدم بمعنى « مع السلامة » ، إذ تعنى « ليكن لك صحة قوية » ^(١) ؛ ويرى البعض انها تعنى « مرتفع » . وربما دُعيت هكذا لسببين أولاً لأن رومليوس أسسها عام ٧٥٣ ق.م. فحملت إسمه ، وأيضاً لأنها بنيت على مكان مرتفع على أكمة من الآكام السبع هناك . وقد اتسعت لتمتد فتشغل كل الآكام . وفى منتصف القرن السادس ق.م أحيطت بسور يضم المدينة كلها مع ضخامتها ، محيطة حوالى خمسة أميال ، به ١٩ باباً روما.

اتسع نطاقها ونفوذها حتى صارت عاصمة الدولة الرومانية التى استولت على حوض البحر الأبيض المتوسط كله ، فتزايد عدد سكانها جداً حتى اقيمت المنازل خارج السور أيضاً . صارت روما ملتقى سياسة العالم وقادته ، ومركزاً للعلوم والآداب والفلسفة ، اشتهرت على وجه الخصوص بالقانون الرومانى الذى لا يزال يُدرس فى أغلب جامعات العالم . وكبلد مفتوح امتلأت روما بالخزعبلات والرجاسات الوثنية وقبائحها ، قادمة من كل العالم ... يظهر ذلك بوضوح مما جاء فى الأصحاح الأول من هذه الرسالة .

يقدر سكان روما فى القرن الأول حوالى ٢ مليون ، وإن كان هذا التقدير يعتبر مبالغ فيه ^(٢) ، ثلث سكانها كانوا من الرقيق . وقد ضم سكانها جنسيات متعددة ؛ وكان بالمدينة عدد كبير من اليهود الذين قادهم بمبيوس القائد الرومانى أسرى حينما استولى على سوريا سنة ٦٣ ق.م واسكنهم قسماً من المدينة . ثم تحرر هؤلاء اليهود وتكاثروا حتى اصبحوا حوالى ١٦ ألف نسمة فى عهد الرسول بولس . وكان هؤلاء اليهود فى سلام وراحة معظم وقتهم فى روما ، إلا فى عهد طيباريوس سنة ١٩ م ، وفى

عهد كلوديوس قيصر سنة ٤٩ م الذى أمر بطردهم جميعاً من روما (أع ١٨ : ٢) . وما يدل على كثرة هؤلاء اليهود انه لما مات هيرودس الكبير جاءت لجنة من اليهود إلى روما لتستعطف أوغسطس قيصر فخرج لاستقبالها حوالى ثمانية آلاف رجل من اعيان اليهود بالمدينة ، وكان لليهود فى روما اكثر من ١٣ مجمعاً ، وكانوا طائفة تميل الى إحداث الفتن والثورات ^(٤) .

نشأة المسيحية بروما

لم يذكر العهد الجديد شيئاً عن تأسيس هذه الكنيسة ، كما لا يعرف من الذى قدم الشعلة الأولى للإيمان هناك ، لكننا نلاحظ فى نشأة المسيحية بروما الآتى :

١ — جاء فى سفر اعمال الرسل أنه فى يوم الخمسين حضر يهود أتقياء من كل أمة .. من بينهم « رومانيون مستوطنون يهود ودخلاء » أع ٢ : ١٠ ، هؤلاء قبلوا الإيمان بالسيد المسيح وعادوا من اورشليم إلى روما يكرزون. بين إخوانهم اليهود . لهذا يرى غالبية الدارسين أن كنيسة روما فى بدء انطلاقتها كانت فى معظمها من أصل يهودى حتى وقت بعث رسالة القديس بولس إليهم ... لهذا نجد الرسالة موجهة بالاكثَر إلى اليهود المتنصرين اكثر من الأمم المتنصرين ، هذا وقد أعطى هذا الوضع انطبعا فى ذهن قادة الرومان أن المسيحيين ليسوا إلا طائفة يهودية منشقة عنهم .

٢ — إذ تميزت الدولة الرومانية بالحرية وسهولة الانتقال فيما بينها وخاصة بين البلدان المختلفة والعاصمة ، وكانت روما ملتقى كبار القادة والمعلمين والتجار ، فقد دخلها بلا شك جماعة من المعلمين والتجار المؤمنين سواء من أصل يهودى أو أممى ، جاءوا يحملون فى قلوبهم شعلة الإيمان المتقدم ، يكرزون ويشهدون للرب . من بين هؤلاء أناس سمعوا تعاليم القديس بولس فى بعض مدن آخائية ومكدونية فى بلاد اليونان وفى مدن آسيا الصغرى وآمنوا بهذه التعاليم . ويؤكد ذلك سلام القديس بولس على كثيرين ذكرهم باسمائهم فى الاصحاح الاخير من الرسالة ، مما يدل على أنهم كانوا من تلاميذه ومعارفه مع أنه لم يكن قد ذهب إلى روما قبل كتابة الرسالة .

٣ — إذ طُرد كثير من اليهود ان لم يكن جميعهم من روما بأمر كلوديوس إلى مدن أخرى ثم عادوا إليها مرة أخرى ، كان بعضهم قد آمن بالسيد المسيح ، مثال ذلك أكىلا وبريسكلا اللذان إلتقيا مع الرسوم بولس فى كورنثوس (أع ١٨ : ٢١) (

٢) وآمنا على يديه ، وكان يشترك معهما في صناعة الخيام ... هذان وغيرهما قد اشتركوا في تأسيس الكنيسة هناك (رو ١٦ : ٥) .

٤ — واضح من الرسالة أن أحداً من الرسل لم يكن قد أنشأ هذه الكنيسة حتى كتابة هذه الرسالة ، فقد كان مبدأه : « كنت مختصاً أن أبشر هكذا ، ليس حيث سُمي المسيح لئلا أبني على أساس آخر » رو ١٥ : ٢٠ ، واذ يكتب في نفس الرسالة معلنا شوقه الشديد للتوجه إليهم وانه مُنع مراراً وأخيراً قرر زيارتها (رو ١ : ٩ — ١٠ ، ١٥ : ٢٢ — ٢٤) هذا يؤكد أن أحداً من الرسل لم يكن قد زار روما من قبل .

٥ — كان الرسول بولس يشعر انه رسول الأمم (غلا ٢ : ٧ ، ١١) لذا احس بالمسئولية تجاه هذه المدينة كعاصمة العالم الأُمّى في ذلك الحين ... لذا أرادها مركزاً من مراكز خدمته ، وانه مدين لهم بالكراسة (١ : ١٣ ، ١٤) .

٦ — يرى غالبية الدارسين في الغرب والشرق أن القول بان القديس بطرس الرسول قد أسس هذه الكنيسة وبقي على كرسيها حوالي ٢٥ عاماً لا يمكن قبوله ^(٥) ، فمن جهة كان القديس بطرس حاضراً في اورشليم حتى المجمع الرسولي المنعقد عام ٥٠ م تقريباً (أع ١٥) ، وكان في انطاكية عام ٥٥ م حيث اجتمع بالقديس بولس هناك (غلا ٢ : ١١) ، وكان في بابل حين كتب رسالته الأولى حوالي عام ٦٠ م (١ بط ٥ : ١٣) . هذا ولو أن القديس بطرس قد أسس الكنيسة هناك عام ٤١ م كما ظن البعض لما كتب الرسول هذه الرسالة ، وان كتبها لما قال أنه لا يبشر حيث سمي المسيح لئلا يبني على أساس لآخر (١٥ : ٢٠) ، ولكان ذكر اسمه في الرسالة أو سَلَّم عليه .

زمان ومكان كتابتها

كتب الرسول هذه الرسالة وهو يتوقع زيارته لروما ، وقد قرر ذلك في طريقه إلى أسبانيا (رو ١٥ : ٢٣ ، ٢٤) ، وذلك بعد ذهابه إلى اروشليم حاملاً معه عطايا مسيحيي مكدونية وآخائية إلى إخوانهم فقراء اورشليم (رو ١٥ : ٢٥ ، ٢٦ ، ١ كو ١٦ : ١ — ١٦ : ٢ ؛ ٢ كو ٨ : ١ — ٤) . بهذا يكون قد كتبها أثناء رحلته

التبشيرية الثالثة من كورنثوس في بيت رجل اسمه غايس ، وصفه الرسول :
أنه « مضيف ومضيف الكنيسة كلها » رو ١٦ : ٢٣ ، وهو أحد إثنين قام
الرسول بتعميدهما (١ كو ١ : ١٤) .

أملاها الرسول على تريبوس^(٦) (رو ١٦ : ٢٢) ، وقد حملتها إلى روما
الشماسة فيبي ، خادمة كنيسة كنخريا^(٧) (١ : ١٥) ميناء شرقى كورنثوس .

اذ ذهب الرسول بولس الى اورشليم في ربيع عام ٥٨ م ، لذا يرى غالبية
الدارسين انها كتبت ما بين عامي ٥٧ ، ٥٨ م .

أعضاء الكنيسة الأولى^(٨)

لا يمكننا أن نتفهم غاية هذه الرسالة ونذكر عمق معانيها مالم نتعرف على نوعية
أعضائها ، هل كانوا من اليهود المنتصرين ؟ أو من الأمم المنتصرين ؟ أو كانوا خليطاً
من الاثنين ؟

الرأى الأول : لمدرسة توبنجن Tubingen و E. Renan و T. Zahn و W. Manson و F. Leenhardt أن الغالبية العظمى للأعضاء من اليهود المنتصرين ،
وحجتهم في ذلك الرئيسية هي استخدام الرسول مقتطفات كثيرة من العهد القديم
خاصة قصة ابراهيم داعياً أياه « أبانا » ، ويشعر القارئ أن الرسول في أغلب حديثه
يتكلم مع من هم من اصل يهودى . هذا بجانب ان تعداد اليهود في روما في القرن
الأول كان كبيراً .

الرأى الثانى : نادى به J. Munck و S. Lyonnet و O. Michel و C. K. Barrett بأن الغالبية العظمى هم من أصل أممى ، معتمدين على أن الرسول يحدّثهم كرسول
للأمم (١ : ٥ — ٧ ، ١٢ — ١٤ ؛ ١١ : ١١ — ١٣ ، ١٥ : ١٦) ؛ وأنه
يقارنهم بغيرهم من سائر الأمم (١ : ١٢ — ١٤) . وحديثه لهم قائلاً : « قدمتم
أعضائكم عبيداً للنجاسة والإثم » ٦ : ١٩ يناسب من كانوا من أصل أممى لا
يهودى ، كما يخاطبهم « أقول لكم أيها الأمم » ١١ : ١٣ ...

الرأى الثالث : انها كانت خليطاً من الصنفين ، نادى به Headlam و Sanday و Dodd ...

هذا ويمكننا القول بأن الكنيسة كانت تضم الصنفين ، غير ان العنصر اليهودى كان غالباً إلى حد كبير .

أهمية الرسالة وغايتها

كان لهذه الرسالة أهميتها فى الكنيسة الأولى ، فقد جاء عن القديس يوحنا الذهبى الفم أنه كان يقرأها مرتين أسبوعياً .

١ — نستطيع ان نتفهم أهمية هذه الرسالة ونتفهم ما حوته فى داخلها من سبب كتابتها والظروف التى كانت تحيط بها ... فقد آمن عدد ليس بقليل من يهود روما بالسيد المسيح ، سواء كانوا يهوداً من أصل عبرانى أو دخلاء من الأمم ، كما آمن بعض الأميين الوثنيين المثقفين بفكر يونانى برنا يسوع ، وكان يلزم أن يلتقى الجميع بوحداية الروح كأعضاء فى جسد واحد ، لكن اليهود بتربيتهم المتزمته وتعصبهم الشديد لجنسهم وثقافتهم وفكرهم الدينى لم يقدرُوا ان ينزعُوا أنفسهم بسهولة عن شعورهم بالامتياز عن غيرهم حتى بعد قبولهم الإيمان المسيحى ، فكانوا يستخفون بالأميين المتنصرين تحت دعوى :

١ — انهم أبناء ابراهيم ، اصحاب الوعد كنسل ابراهيم .

٢ — انهم مستلموا الناموس الموسوى دون سواهم .

٣ — انهم شعب الله المختار وحدهم .

خلال هذا الفكر الذى عاشوه فى ماضيهم اليهودى تأصل الكبرياء عن عدم فهمهم للبنوة لابراهيم ولا غاية الناموس ولا معنى اختيار الله لشعبه ... فظنوا انهم حتى بعد قبول الإيمان بالمسيا المخلص يبقون فى مرتبة أسبى من غيرهم .

هذا ومن جانب آخر فإن بعض الأميين المتنصرين أخذوا موقفاً مضاداً كرد فعل للفكر اليهودى ، فنظروا لليهود كشعب جاحد وأن الباب قد أغلق بالنسبة لليهود لينفتح لهم على مصراعيه ، الأمر الذى يعرضهم هم أيضاً للكبرياء .

خلال هذه الظروف جاءت الرسالة موجهة الى الطرفين لتعالج قضايا ايمانية حية وسلوك روى ايمانى يمس حياة الكنيسة عبر الاجيال كلها ، فحدثنا الرسول عن عمومية الخلاص . وأن الباب قد انفتح للأمم جميعاً خلال الإيمان الحى العامل

بالمحبة ، فقدم لنا الرسول بوحى الروح القدس مفهوم الايمان وارتباطه بالخلاص ، كما كشف لنا عن قلبه الرسولى المتفجر بالحب نحو المسّيا ونحو البشرية كلها التى مات المسيح عنها . وفى نفس الوقت عالج مشكلة الكبرياء سواء فى حياة اليهود أو الأمم ، والتقديس ، والحياة الإيمانية العملية خلال العلاقات العامة والعلاقة بالنفوس الضعيفة ، وعلاقة المؤمن بالمجتمع ... الخ لقد قيل عن هذه الرسالة انها « كاتدرائية الايمان المسيحى » ، تدخل بالمؤمن إلى مقدسات الله الفائقة وترفعه خلال مذبح الايمان الحىّ العملى الى الالتقاء بالآب السماوى فى الابن الوحيد المبذول ، وذلك بعمل الروح القدس .

بمعنى وإن كان البعض قد رأى فى الرسالة انها جاءت لتقف فى وجه أنصار « حركة اليهود » التى تدفع بالمؤمنين إلى العودة لأعمال الناموس الحرفية كالختان والتطهيرات والغسلات الموسوية والتزام الأميين باليهود قبل تنصرهم ؛ أو جاءت هذه الرسالة بهدف المصالحة بين الفريقين من اليهود المنتصرين والأميين المنتصرين ؛ لكن فى الحقيقة لم يقدم الرسول هذه الرسالة بطريقة دفاعية ولا لمجرد عمل مصالحة انما قدمها كمقال يمس ايمان الكنيسة ويعبر عن الحياة الانجيلية بدقة بالغة ، حتى دعيت هذه الرسالة : « إنجيل بولس » .

٢ — إن كان من أهداف هذه الرسالة اعلانه عن زيارته لروما بعد اشتياقات ومحاولات كثيرة فإن هذه الرسالة جاءت تمهد لمجيئه بعرضه انجيل ربنا يسوع الذى قبلته الكنيسة الأولى من خلال نظرة معينة هى انفتاح باب الخلاص لكل الشعوب والأمم ، مهّد الطريق حتى متى جاء لا يحتك بطالبي اليهود ، أصحاب الفكر الضيق . ولعله قد كتب هذه الرسالة بعد ان بلغته أخبار الكنيسة فى روما من تلاميذه ومعارفه هناك ، فأراد معالجة الأمور كتابة قبل مجيئه .

مشكلة الأصحاح السادس عشر

يمثل الأصحاح السادس عشر مشكلة بالنسبة لبعض الدارسين إذ يحسبونه غير منسجم مع بقية الرسالة ، وانه قد اضيف الى الرسالة مأخوذاً ربما عن رسالة كتبها الرسول إلى أفسس ، مقدمين الحجج التالية ^(٩) :

أولاً : ان الرسول لم يكن قد زار بعد روما ، فبعث تحيات لعدد كبير من الناس في الكنيسة يناسب بالأكثر مدينة أفسس التي خدمها الرسول وليس مدينة روما .
يرد على ذلك بعض الدارسين بانه ليس من سياسة القديس بولس أن يذكر تحياته لاشخاص معينين في كنائس قد خدم فيها ، إذ يحسب كل مخدوميه أحياء له بلا محاية أو تمييز ، وانه يليق بالأكثر ان يذكر هذه القائمة بخصوص الكنيسة التي في روما لعدم معرفته لبقية الاعضاء بصفة شخصية ، ولكي يشجع المعروفين لديه على الخدمة .

ثانياً : أشير الى بريسكلا واكيلا وإلى الكنيسة التي في بيتهما في ١ كو ١٦ : ١٩ التي كتبت في فترة قصيرة قبل الرسالة إلى أهل روما ، وانهما كانا مقيمين في أفسس ، وأيضاً يفهم من ٢ تي ٤ : ١٩ ان بريسكلا واكيلا كانا في أفسس أثناء كتابة الرسالة الثانية الى تيموثاوس بروما قبيل استشهاده ، فكيف يذكرهما كمقيمين في روما (رو ١٦ : ٣) ١٩

يرد على ذلك بان اليهود رجال أعمال ، وان بريسكلا واكيلا كانا غنيين تقيين ، لهما أعمال تجارية في اكثر من مركز ، وقد جعلنا من بيتهما في روما وأيضاً في أفسس كنيستين ... وبهذا فلا عجب ان تنقلا بين أفسس وروما . ويفترض بعض الدارسين أنهما كانا مقيمين بروما ولما صدر امر كلوديوس سنة ٤٩ م بطرد جميع اليهود أوكلوا عملهما لمن له جنسية رومانية ولم يغلقا بيتهما ولا عملهما حتى عادا الى روما من جديد عندما استقر الأمر .

ثالثاً : جاء ذكر ايبينتوس بكونه باكورة آخائية بآسيا (١٦ : ٥) ، فهذا اللقب يقدمه الرسول لمن هو في كنيسة أفسس بآسيا الصغرى لا لمن يقيم في روما .
يرد على ذلك بان الرسول اذ يذكره انه باكورة كرازته في آسيا ، يطلب منه وقد رحل إلى روما أن يرد الدين للرسول بكرازته هو للآخرين كما كرز له الرسول ، فهو يشجعه على العمل بقوة وغيرة ، مستغلاً كونه باكورة عمله في آخائية .

رابعاً : يفترض البعض بأن توصيته عن فيبي شماسة كنخريا (١٦ : ١ ، ٢) تليق بالأكثر تقديمها لكنيسة معروفة لديه سبق فخدمها ، لا لكنيسة لا يعرف

اعضاءها بصفة شخصية . ويُرد على ذلك ان الرسول بولس يدرك أن مثل هذا العمل يفرح قلب المؤمنين حتى وان لم يعرفوه شخصياً ، اذ يشعرون أنه يتكلم معهم بدالة الحب الأبوى ، هذا وبلا شك أن الرسول بولس كان الكثيرون يسمعون عنه وعن خدمته وغيرته الأمر الذى يعطيه دالة لمثل هذا الطلب .

خامساً : أن نعمة التحذير الواردة في هذا الأصحاح (١٦ : ١٧ — ١٩) لا تنسجم مع نعمة بقية الرسالة ، اذ لم يسبق الحديث عن مثبتي انقسامات وواضعي عثرات خلافاً للتعليم الذى تسلموه ... ويرد على ذلك بأن الرسالة عاجلت مشكلة مثبتي حركة اليهود ، وإن كان الرسول قد عالج بطريقة موضوعية ايجابية ، فلم يستخدم طريقة الدفاع ولا الهجوم انما العرض الايجابى للفكر الايماني السليم ، وكان لاثقاً ان يعرض لهؤلاء المثبتيين للانشقاقات بسرعة عاجلة حتى لا ينفر اليهود المنتصريين منه .

سادساً : يختتم الأصحاح الخامس عشر بذكصولوجية أو خاتمة يظهر منها ان الرسالة قد انتهت ، اذ يقول : « إله السلام معكم أجمعين ، آمين » ١٥ : ٣٣ . ويرد على ذلك انه ربما أراد أن يختتم الجانب التعليمى والعملى العام ليقدم أموراً خاصة بكنيسة روما كما لو كانت ملحقة لكنها جزء لا يتجزأ من الرسالة .

هذا وان افتراض هذا الأصحاح جزءاً من رسالة مفقودة مرسلة الى أفسس مجرد افتراض لا يدعمه أى دليل تاريخى ...

المواضيع الرئيسية في الرسالة

١ — الإيمان والخلاص المجانى

عاش القديس بولس قبل الايمان بالسيد المسيح في صراع داخلى مرّ ، ففي الخارج يظهر انساناً معتداً بجنسه وبره وفريسيته ، بكونه عبرانياً اصيلاً من شعب الله المختار وفريسياً وحافظاً للناموس ، يمارس الطقوس في جدية ويحفظ الطقوس والوصايا ، لكنه في أعماق نفسه الدفينة متى صارح نفسه يجده انه ضعيف للغاية أمام الخطية وعاجز عن التمتع بالحياة المقدسة الداخلية ، محتاج لا إلى وصايا وتعاليم بل بالحري إلى تجديد طبيعته .

وجد الرسول بولس في الايمان برنا يسوع ، بالايمان وحده لا بأعمال التاموس الحرفية من ختان وغسلات وتطهيرات انه يدفن مع المسيح ويقوم في مياة المعمودية ليصير « خليفة جديدة ، الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل صار جديداً » ٢ كو ٥ : ١٧ .

اختبر الحياة الجديدة في المسيح يسوع لا كتغير مظهرى ولا إعتناقاً لتعاليم جديدة إنما ما هو أعظم : تمتع بقوة الإيمان الحى وتغير شامل في حياته الجديدة فيه تقديس للقلب والأحاسيس والعواطف والفكر وكل طاقات النفس والجسد بالروح القدس الذى يسكن فيه . هذا التغير يتحقق خلال تغير مركز الإنسان من حالة العداوة مع الله خلال ناموس الخطية إلى حالة البتوة لله في المسيح يسوع الابن الوحيد ، الأمر الذى لن يمكن للناموس الموسوى أن يحققه ولا لأعمال التاموس الحرفية والكثيرة .

حينما يتحدث الرسول هنا عن الإيمان وحده دون الأعمال ، فلا يتحدث عن الجهاد الروحى النابع عن الايمان الحق ، إنما عن الاعمال التاموسية في حرفيتها ، فقد كان الخلاف بين عنصري الكنيسة الأولى من يهود متتصرين وأمميين متتصرين لا في أمر الجهاد الروحى وإنما « أعمال التاموس » ، إذ طالب البعض من الفريق الأول التزام الأُميين ان يهودوا أولاً بالختان وممارسة الغسلات اليهودية والتطهيرات حتى يُقبلوا في الايمان المسيحى ... هذا الذى دعى بحركة اليهود .

الرسول يهاجم بطريق غير مباشر هذه الحركة التى ترد الانسان الى حرفية التاموس ومظهرية إتمام أعماله ، لذا ركز على الإيمان ... ويقصد به الإيمان الحى العامل بالمحبة ، والذى به يرتبط المؤمن برنا يسوع ويتحد معه (رو ٦ : ٥) ، ويتألم معه (١ كو ١٢ : ١٦ ؛ رو ٨ : ١٧) ، ويصلى معه (رو ٦ : ٦) ، ويموت معه (٢ تي ٢ : ١١) ، ويقوم معه (أف ٢ : ٦) ، ويحيا معه (رو ٦ : ٨) ، ويجلس معه (أف ٢ : ٦) ، ويتمجد معه (رو ٨ : ١٧) ، ويملك معه (٢ تي ٢ : ١٢) ، ويرث معه (رو ٨ : ١٧) .

٢ - عمومية الخلاص

إيمان الرسول بولس بالسيد المسيح زعزع أساسات فكره المتعصب ، فبعدهما كان يعتقد أن العالم كله قد خلق من أجل الرجل اليهودي لخدمته ، أدرك حب الله الشامل لكل البشر بغض النظر عن جنسيته أو جنسه أو امكانياته أو سلوكه ؛ جاء لليهودي كما للأمم ، للرجل كما للمرأة ، للطفل للشيخ ، يطلب الخطاة والفجار ليقدمهم له . جاء لأجل الجميع . لذا تكررت هذه الكلمة « جميع » أو ما يماثلها حوالي ٧٠ مرة في هذه الرسالة .

يعتبر موضوع « عمومية الخلاص » هو الخط الرئيسي في كل الرسالة ، يركز عليه الرسول بكل قوته ، مفنداً الحجج اليهودية المتقوقة حول الفكر اليهودي المتعصب ، بطريقة روحية لا تثير اليهود حتى يكسبهم هم أيضاً مع كافة الأمم .

فند حججهم أنهم أبناء إبراهيم أب الآباء فطالبهم بالبنوة الروحية له بحمل إيمانه ، ورفعهم إلى البنوة لله واهبة الحرية الداخلية . وفند حججهم أنهم مستلموا الناموس معلناً أنه فضح خطاياهم وأعلن الحكم عليهم بالموت ليقودهم إلى المخلص واهب الحياة . وأخيراً فند حججهم أنهم شعب الله المختار ليعلن بسط الله ذراعيه للعالم كله ليضم له شعباً لم يكن يعرفه ، ويجعل من الأمم التي كانت غير محبوبة محبوبة له بإيمانها به بعد جحود طال زمانه ... فالله خالق الكل والمهتم بخلاص الجميع .

النعمة والتبرير والتقديس

تكررت في هذه الرسالة هذه المصطلحات ومشتقاتها : النعمة ، البر ، القداسة الخ ... ويلاحظ في الرسول بولس أنه لا يهتم بتقديم مفاهيم فكرية مجردة وتعريف لمثل هذه المصطلحات ، إنما تشعر وكأنه يود أن يدخل بكل مؤمن بالروح القدس إلى التمتع بهذه النعم والعطايا الإلهية ، على عكس الدارسين المحدثين إذ يهتمون بالاكتر بتقديم تعاريف ويدخلون في أبحاث فكرية فلسفية معقدة أكثر من الخبرة الحية .

أولاً : النعمة Charisma

إذ يعالج الرسول بولس موضوع « عمومية الخلاص » يكثر الحديث عن النعمة كمقابل لأعمال الناموس الحرفية ، فقد أراد اليهود أن يتبرروا بأعمال الناموس لكن

جاء السيد المسيح ليهب النعمة المجانية لكل البشر للتبوير ... « الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح ، بالنعمة أنتم مخلصون .. ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائقة باللطف علينا فى المسيح يسوع ، لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم ، هو عطية الله ، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » أف ٢ : ٥ - ٩ .

حاول بنيامين بريوري Benjamin Brewery ان يستنبط من كتابات العلامة أوريجانوس تعريفاً للنعمة الالهية والتى إستقاها العلامة أيضاً من كتابات الرسول ، فقال :

[النعمة هى قوة الله المودعة فى يدى الإنسان مجاناً ، لكنها لا تعطى بدون شرط ،

وهى تهىء الانسان بالروح القدس لتقدمة الخلاص للتمتع بالحياة الأبدية الجديدة النهائية ،

المعلنة والمديرة فى الكتاب المقدس ،

بواسطة يسوع المسيح والمقدمة للعالم كله ^(١٠)] .

النعمة هى عطية الله الآب التى يقدمها لنا فى ابنه يسوع المسيح الذى بالصليب حملنا فيه لننعم بما له ، ووهبنا روحه القدوس روح الشركة الذى يرفعنا كما بجناحي الروح إلى الإحضان الأبوية كابناء مقدسين فى الحق .

وقد جاءت كلمة « نعمة » Charisma مقابل « أجرة » opsonis ، فالخطية أجزتها موت يقابلها النعمة هبتها الحياة الأبدية (٦ : ٢٣ ؛ ٥ : ١٥) . فما نناله من الله ليس أجرة عن عمل نمارسه ، إنما هو هبة مجانية قدمها الله خلال ذبيحة الصليب ، نابعة عن فيض حبه الإلهي . بهذا إرتبطت كلمة « النعمة » فى ذهن الرسول بولس بعمل الله الخلاصى المجانى ، غايتها أن ترفعنا من حالة ما تحت الناموس أى تحت حكمه إلى « حالة النعمة » ٥ : ٢ ، نعيشها بمركز جديد .

هذه النعمة الإلهية المجانية تقدم للعالم كله بلا مقابل ، وبلا قيود من جانب الله ، لكن لا يتتفع بها المقاومون والعنيدون ، إذ لا تنزع النعمة حرية الإرادة . من هنا نفهم الجهاد الروحي ، اننا لا نقدمه كثمن للنعمة وإنما كإعلان عن جدية قبولنا

وتجاوبنا مع نعمة الله المجانية ؛ إنه ضرورى لخلاصنا وبدونه خسر كثيرون نعمة الله المجانية ؛ لكننا لا نحسب هذا الجهاد أو الاعمال الصالحة براً ذاتياً من جانبنا . اذن لنقبل نعمة الله ومبادرته بالحب ... هذه النعمة تعمل فينا لتقدس مشيئتنا وأعمالنا ، ومجديتنا في تقديس المشيئة والعمل يفتح القلب اكثر لقبول العمل الالهى ، وهكذا نرتفع من مجد الى مجد ، ونمارس الحياة المقدسة بجهاد وتعب خلال النعمة المجانية .

هذا ويرى القديس بولس أن « النعمة » هى حالة يتمتع بها المؤمن الحى ، الذى يقبل الايمان بالمسيح بطريقة حية ، أى إيماناً عاملاً بالحب ... هذه هى النعمة العامة المقدمة للجميع ، لكن هناك نعم أخرى مجانية كنعمة الرسولية التى وهبت له (رو ١٥ : ١٥) للكراسة بين الأمم .

ويلاحظ أن كلمة « نعمة » Charisma تعبير عسكرى ، يستخدم عندما يتولى الإمبراطور العرش أو يحتفل بعيد ميلاده حيث يهب جنوده عطايا مجانية خلال كرم الإمبراطور وسخائه . وكأن السيد المسيح اذ ارتفع على عرش الصليب وملك على النفوس قدم « نعمة » لكل بشر ، هى عمله الخلاصى الذى يتركز فى حلوله فى النفس لتثيت الانسان فيه بروحه القدس فينعم بالاحضان الأبوية . هذه هى عطيته : تمتع الانسان بالثالوث القدس فى استحقاقات الدم الثمين ، ليحمل الصورة الالهية وينعم بسماوات سماوية فائقة .

يرى القديس البابا أثناسيوس الرسولى أن هذه النعمة الإلهية التى تجلت فى كمال قوتها بالصليب ليست بالأمر الجديد ، فعند الخلقة بالنعمة أقام الله الخليقة من العدم إلى الوجود ، وميّز الانسان بنعمة خاصة دون سائر الخليقة هى نعمة خلخته على صورة الله ومثاله لكى يستطيع أن يبقى فى الفردوس أبدياً ، يدعم ذلك نعمة الوصية التى وهبت له كنعمة حتى اذا ما بقى أميناً فى حفظه للوصية أى تمتعه بالنعمة يحيا فى الفردوس بلا حزن ولا ألم ولا قلق^(١١) . أما سرّ عدم الفساد فهو التمتع بالشركة فى الكلمة الذى « فيه كانت الحياة » يو ١ : ٤ . اما وقد فقد الانسان النعمة الالهية بالعصيان فقد جاء الكلمة متجسداً ليرد الانسان إلى الخليقة الأولى بتجديد طبيعته بنعمة أعظم^(١٢) .

ثانياً : التبرير Dikaisone

يرى الكثير من الدارسين أن هذه الرسالة في جوهرها أشبه بمقال عن « التبرير » .

موضوع التبرير شغل الانسان منذ سقوطه ، فقد أحسّ بفشله في التبرر أمام الله ، إذ قيل : « ليس بار ولا واحد » رو ٣ : ١٠ . خلال الناموس الطبيعي صرخ أيوب التقى : « فكيف يتبرر الإنسان عند الله ؟ ! » أى ٩ : ٢ . وقال اليفاز التيماني : « من هو الانسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرر ؟ ! هوذا قديسوه لا يأتهمهم والسموات غير طاهرة بعينه ؟ ! فبالحرى مكروه وفاسد الانسان الشارب الإثم كالماء » أى ١٥ : ١٤ - ١٦ . ويقول بلدد الشوحى : « فكيف يتبرر الإنسان عند الله ؟ ! وكيف يزكو مولود المرأة ؟ ! هوذا نفس القمر لا يضيء والكواكب غير نقية في عينيه ، فكم بالحرى الإنسان الرمة وابن آدم الدود » أى ٢٥ : ٤ . وفي عهد الناموس الموسوى يقول المرتل : « لأنه لن يتبرر قادمك حتى » مز ١٣٤ : ٢ . وقد جاء علاج هذا الأمر في الانجيل ، خاصة في هذا السفر :

« متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى ييسوع المسيح ، الذى قدمه الله كفارة بالايمان لإظهار برة فى الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الايمان بيسوع » رو ٣ : ٢٤ ، ٢٥ .

« فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب » رو ٥ : ٩ .
« إذ نعلم أن الانسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بايمان يسوع المسيح » غلا ٢ : ١٦ .

واننى إذ لا أود الدخول فى مباحثات فلسفية نظرية جافة فقد انشغل كثير من اللاهوتيين فى الغرب بهذا الموضوع أقدم مفهوماً مبسطاً للتبرير أو التمتع ببر الله فى المسيح يسوع ربنا .

كلمة « بار » من الجانب اللغوى فى الأصل اليونانى تقترب جداً من كلمة « عادل » ، لهذا يرى البعض فى البار كائناً وقوراً لكنه ليس بالضرورة جذاباً ،

إذ هو عادل لكنه ليس بالضرورة لطيفاً وحانياً^(١٣) ، وربما استخدم الرسول هذا المعنى عندما قال : « فانه بالجهد يموت أحد لأجل بار ، ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت » رو ٥ : ٧ ، غير أن الرسول نفسه كما في بقية الكتاب المقدس جاء التعبير يحمل معنى أوسع .

بالنسبة لله دُعي باراً في العهد القديم خلال علاقته بنا بتقديمه أعماله الخلاصية للإنسان ، إذ يقول : « أنا قد أنهضته بالبر (بالنصر) » إش ٤٦ : ١٣ ، « قريب برى » إش ٥١ : ٥ ؛ وفي العهد الجديد يتجلى بره في أعماله الخلاصية لحسابنا في المسيح يسوع : « لأن فيه أعلن بر الله بإيمان لإيمان » رو ١ : ١٦ ، « ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداً وفداء » ١ كو ١ : ٣٠ .

لعل الرسول بولس قد فهم « بر الله » بمعنى ان الله بار في وعده ، أمين في مواعيده ، إذ يقول : « فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء ؟ ! أفعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله ؟ ! حاشا ! ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً ، كما هو مكتوب : « لكي تبرر في كلامك وتغلب متى حوكت » رو ٣ : ٣ ، ٤ . وكأن الرسول يود أن يقول إن الله بار في وعده للإنسان رغم انتزاع البر من البشرية بعدم تجاوزها مع عمله الخلاصى وعدم قبولها وعوده عملياً بالطاعة له . بهذا نفهم أيضاً العبارة انه « ليس بار ولا واحد » رو ٣ : ١٠ ، مز ١٤ : ١ — ٣ ، ٥٣ : ١ .

الله بار في وعوده الالهية نحو الانسان الذى لم يستطع أن يكون باراً لا بالطبيعة ولا تحت الناموس الموسوى ، فانه إذ يكسر وصية واحدة ولو بالفكر أو النية يحسب كاسراً للناموس فلا يتبرر ... هذا ما اوضحه الرسول في الأصحاحات الثلاثة الأولى معلنا ان الانسان — يهودياً كان أم أممياً — صار في عوز إلى بر الله ، فماذا فعل اليهود ؟ لقد حاولوا ان يتبرروا في أعين أنفسهم ، حاسبين ان البر يكمن في انتسابهم لابراهيم أبيهم جسدياً أو حفظهم لأعمال الناموس حرفياً أو انتمائهم لشعب الله المختار أيا كانت حياتهم ... وكانت النتيجة أنهم سعوا وراء « بر الناموس » الذى يقوم على حفظه شكلياً (رو ١٠ : ٢٢) رافضين بر الايمان . وهنا يميز الرسول بين بر الناموس الذى طلبه اليهود خلال الشكليات في كبرياء وبر الايمان الذى قدمه الله فى ابنه يسوع المسيح للعالم كله . هذا التمييز سبق فأعلنه السيد المسيح لليهود ،

موضحاً انهم يطلبون بَر الكتبة والفريسيين في رياء ويرفضون بَر الله الذى وجده
العشارون والخطاة (مت ٥ : ٢٠ ؛ ٦ : ٣٣ ؛ ٢١ : ٣) ... وقد عاش اباؤنا
بروح التمييز يخشون طلب الانسان بره الذاتى عوض البر بالايمان الحى العامل بالمحبة .
فقد جاء ربنا يسوع المسيح يهبنا بنعمته المجانية الدخول إلى بره والثبوت فيه ، لكن
ليس في رخاوة أو في إيمان لفظى بحت انما خلال الإيمان الحى العامل . فالبر هو ثمرة
نعمته لا عن استحقاق بشرى ذاتى ، نطلبه مجاهدين ليقدر ارادتنا وحياتنا العملية
مجاهدين بروحه القدوس ، لكى ننطلق الى « بَر المسيح » من عمق إلى عمق ،
لتكون لنا خبرات متجددة بروحه في بَر المسيح .

يفهم القديس أغسطينوس البر على أنه ملكية يمنحها الله للانسان ؛ فالبر في
نظره ليس مجرد غفران للخطايا وامتناع عنها وإنما قبول « بَر المسيح » كبر له . بمعنى
آخر البر في سلبية توقف عن الشر وفي ايجابيته حمل سمات المسيح عاملة فيه . هذا
أيضا ما أعلنه القديس يوحنا الذهبى الفم عندما تحدث عن الحياة الفاضلة بكونها
تحمل الجانبين السلبي والايجابى : رفض الشر وعمل الصلاح .

أخيراً ما نود تأكيد أن البر ليس عملاً ذاتياً أو فضيلة بشرية إنما في إيماننا هو
تجلى سمات المسيح في حياة المؤمنين المجاهدين بالروح والسالكين بالحق . هذا ما
سنلمسه في دراستنا لهذا السفر ، فانه اذ يتحدث عن « البر في المسيح » يربطه
بالسلوك الروحى العملى ، تحت عنوان « اهتمام الروح » اى بالسلوك بالروح
القدس ، ورفض « اهتمام الجسد » أى الخنوع للشهوات الجسدية التى قد
تسيطر حتى على النفس . هذا ويختم السفر بحديث طويل عن حياة البار العملية
مترجمة في عبادته وسلوكه الشخصى وعلاقته بالمجتمع خاصة صغار النفوس
والضعفاء ... وكأن الرسول يود تأكيد أن البر بالايمان هو خبرة عملية حية تتجلى في
كل جوانب حياة الإنسان .

ثالثاً : التقديس agiacmos

القدااسة سمة خاصة بالله نفسه الذى يدعو نفسه « القدوس » لا ١١ : ٤٤ ،
٤٥ ؛ ٢٠ : ٢٦ ؛ ٢٢ : ٢ ؛ ١ بط ١ : ١٦ ، يسكب هذه السمة على خليقته
المحبة لديه فيحسبهم قديسين ، ناسباً نفسه إليهم بدعوته « قدوس القديسين » دا

٩ : ٢٤ ، ويسمى شعبه سواء في العهد القديم أو العهد الجديد « أمة مقدسة »
خر ١٩ : ٦ ، ١ بط ٢ : ٩ .

القداسة هي هبة إلهية تعطى لمؤمنيه ، أو نعمة مجانية تُقدم لأولاد الله المجاهدين
لكي يصيروا على شبه أبيهم القدوس ، إذ « هذه هي إرادة الله قداستكم » ١ تس
٤ : ٣ ، أو كما يقول الرسول : « لكي نشترك في قداسته » عب ١٢ : ١٠ .

ان كان الروح القدس يسمى « روح القداسة » ، فإن الله يهبنا الحياة المقدسة
بروحه القدوس الذي يدخل بنا إلى الثبوت في المسيح القدوس ، فنحمل سماته فينا ،
ويتحقق فينا القول أن نكون قديسين كما انه قدوس (لا ١١ : ٤٤ ؛ ١ بط
١ : ١٦) .

هذه الهبة المجانية تعطى للمجاهدين بالرب ، لا ثمناً لجهادهم ، وإنما من اجل
تجاوبهم مع فيض نعمته المجانية ، ليسلكوا في القداسة لعلهم يبلغون إلى قياس قامة
معم المسيح (أف ٤ : ١٣) . لذلك يقول العلامة أوريجانوس أن الرسول يدعو
المؤمنين المجاهدين « مدعوين قديسين » ١ : ٧ ليس لأنهم بلغوا الحياة المقدسة في
كاملها وإنما لأنهم يسرون فيها مشتاقين البلوغ إلى كمالها .

الإختيار وحرية الإرادة

يتعثر بعض البسطاء عند دراستهم للأصحاح التاسع من هذه الرسالة ، إذ
يفسرونه مستقبلاً عن ظروف كتابته ويبترونه عن بقية الرسالة فيحسبون أن الله عنده
محابة يختار من يشاء ويرفض من يشاء ، بناء على العبارات :

« ليس لمن يشا ولا لمن يسعى بل لله الذي يرحم » ع ١٦ ؛

« يرحم من يشاء ويقسى من يشاء » ع ١٨ ؛

« أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة
وآخر للهوان ؟ ! » ع ٢١ ...

وان كنا سنعالج هذه النقطة بشيء من التفصيل عند دراستنا لهذا الأصحاح ،
لكن ما نود تأكيده هنا هو الآتي :

١ — ان الرسول فى هذا الأصحاب لا يعالج مشكلة حرية الإرادة بل حق الله فى إختيار الأمم كما سبق فاختار اليهود ؛ لقد رحم الأخيرين دون فضل من جانبهم سوى رحمة الله ، هذه المراحل لها حق العمل فى غيرهم أيضاً .

٢ — أن الرسول فى صلب الرسالة عينها يؤكد حرية الإرادة الإنسانية وتقديس الله لها ، مكرماً الإنسان كشخص له إرادة حرة هى هبة من عند الله .

٣ — إن كان الله يرحم المؤمن ليس كأجرة أو كثمن لمشيئته وسعيه ، لكنه فى نفس الوقت يسألنا أن نشاء وأن نسعى بنعمته فننال رحمته المجانية .

٤ — إن كان الخراف له سلطان لكنه يود أن يكون الكل آنية للكرامة ، فإن رفض الإناء الكرامة تمجد الله فيه حتى وهو إناء للهوان ، كما تمجد فى فرعون خلال قسوة قلبه ...

سنعود لهذا الموضوع باكثر تفصيل فى تفسير الرسالة إن شاء الرب .

أقسامها

أولاً : حاجة الكل للخلاص ص ١ — ٣ .

١ — مقدمة الرسالة .

٢ — حاجة اليهودى للخلاص .

٣ — حاجة الكل للخلاص

ثانياً : اليهودى وبرّ الله ص ٤ — ١٠ .

١ — الإتكال على أبوة ابراهيم .

٢ — الإتكال على استلام الناموس .

٣ — الاتكال على انهم شعب الله المختار .

ثالثاً : الأُمى وبرّ الله . ١١ .

رابعاً : الجانب العملى

١٢ — ١٥ .

١ — المؤمن والحياة المقدسة .

١٢ .

٢ — المؤمن والمجتمع .

١٣ .

٣ — المؤمن وضعاف النفوس .

١٤ ، ١٥ .

خامساً : الختام

١٦ .





هذا الأصحاح يمثل مقدمة للرسالة فيها يكشف الرسول عن جوهر الرسالة كلها ، إذ لا يقدم إفتتاحية شكلية تحمل مجاملة لطيفة لأهل رومية ، وإنما يكتب بحكمة ليكشف في كلمات قليلة عن « إنجيل الله » ، وفاعليته في حياة المؤمنين ، كما يعلن خلالها عن مركز الرسول في الرب وفكره وحكمته ورسالته واشتياقاته الروحية . ولما كان الرسول يود أن يقاوم حركة اليهود لا في هجوم سلبي وإنما بفتح كل قلب ايجابيا لحب خلاص كل الأمم يبدأ بابرار أخطاء الأمم أولا ليعطى فرصة لأصحاب حركة اليهود (أى للمطالين بالعودة الى اعمال الناموس الموسوى الحرفية) ألا يشعروا أنه انسان متحيز للأمم عى حسابهم ، إنما هو محب للكل .

- | | |
|---------------------|-----------|
| ١ — البركة الرسولية | ١ — ٧ . |
| ٢ — افتاحية تشجيعية | ٨ — ١٧ . |
| ٣ — شرور الأمم | ١٨ — ٣٢ . |

+ + +

١ — البركة الرسولية

لم يقدم الرسول بولس « البركة الرسولية » كأكلشييه يختم به مقدمة الرسالة ، وإنما قدم البركة في المسيح يسوع بما يليق بينيان من يتحدث معهم وموضوع حديثه لهم ، إذ نلاحظ فيها الآتي :

أولاً : يبدأ الرسالة بدعوة نفسه بثلاثة ألقاب ، قائلاً : « بولس عبد ليسوع المسيح ، المدعو رسولاً ، المفرز لإنجيل الله » ع ١ .

اللقب الأول هو « عبد doulas » ، ولعله إبتدأ بهذا اللقب لأنه يكتب إلى أناس يثيرون تفرقة عنصرية بين اليهود المنتصرين والأُمميين المنتصرين ، فإن كان هو عبداً ليسوع المسيح ، ففي هذا يتساوى جميع المؤمنين ... إذ الكل عبيد للسيد المسيح ، أيا كان أصلهم أو ديانتهم السابقة .

كان أتقياء العهد القديم يعتزون بهذا اللقب بكونهم « عبيد يهوه » (مز ٢٧ : ٩ ؛ ٣١ : ١٦ ، ٨٩ : ٥٠) ، والآن إذ صار الكل في المسيح يسوع يتمتعون ببره وتقواه ، يتأهلون لهذا اللقب « عبيد ليسوع المسيح » ، ويفخرون به دون سواه ، الأمر الذي يشترك كل الأعضاء فيه .

هذا وقد كان هذا اللقب يُنسب بالأكثر لمن قاموا بدور في تاريخ الخلاص خلال خدمتهم ليهوه ، مثل موسى (٢ مل ١٨ : ١٢) ، ويشوع (قض ٢ : ٨) ، وإبراهيم (مز ١٠٥ : ٤٢) ، وكأن بولس كرسول وهو مفرز لإنجيل الله يقوم بدور في تاريخ الخلاص هو إمتداد للدور الذي قام به آباء وأنبياء العهد القديم ... لذا يليق باليهود المنتصرين أن يسمعوا ويتقبلوا رسالته بلا غضاضة .

أما اللقب الثاني فهو : « المدعو رسولاً » ... لم يقل « رسول » بل « المدعو رسولاً » ، لأن موضوع هذه الرسالة هو « دعوة الأمم للإيمان » كما سبق فدعى اليهود قديماً للإيمان ؛ فإن كان القديس بولس يشعر بالفضل لله الذي دعاه للرسولية ، فإنه حتى في إيمانه القديم كان مدعواً ، وفي قبوله الصليب يحسب نفسه « مدعواً » ... كأن لا فضل لنا في إيماننا كما في شهادتنا للرب — أيا كان مركزنا الكنسي — إنما يرجع الفضل للذي دعانا .

اللقب الثالث : « المفرز لإنجيل الله » ... هذا اللقب « المفرز » في الأرامية « بريسى » أو « فريسى » ، وتعنى « منفصل » ، وكأن فريسيتة الأولى قد مهدت لفريسية من نوع جديد ، لا فريسية الحرف القاتل القائمة على الإعتداد بالذات والكبرياء.، إنما هى « فريسية روحية » تقوم على التكريس والمفرز للتفرغ للكراسة لحساب إنجيل الخلاص للعالم كله .

كأنه بهذه الألقاب الثلاثة يعلن القديس بولس أنه « عبد » ، حياته هى إمتداد لحياة عبيد الله العاملين فى العهد القديم خلال تاريخ الخلاص ، يقوم بالعمل الرسولى بدعوة إلهية وليس من عندياته ، لا عمل له ولا هدف سوى تقديم إنجيل الله لكل أحد إن أمكن !

يعلق القديس يوحنا الذهبى الفم على هذه الألقاب الثلاثة ، قائلاً : [« بولس عبد ليسوع المسيح » ... إنه يدعو نفسه عبداً للمسيح ، ليس بطريقة واحدة ، إذ توجد أنواع من العبودية . هناك عبودية أساسها الخلقة ، كما قيل : « لأن الكل عبيدك » مز ١١٩ : ٩١ ، وأيضاً : « نبوخذناصر عبدى » أر ٢٥ : ١ ، لأن المخلوق عبد لخالقه أو صانعه . توجد أيضاً عبودية من نوع آخر تنبع عن الإيمان ، إذ قيل : « فشكراً لله انكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التى تسلمتموها ، وإذ أعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر » رو ٦ : ١٧ ، ١٨ . نوع آخر يقوم على الخضوع للعمل ، كما قيل : « موسى عبدى قد مات » يش ١ : ٢ . حقاً كان كل الاسرائيليين عبيداً ، لكن موسى كان عبداً بطريقة خاصة يتلأأ ببهاء شديد فى الجماعة . هكذا كان بولس عبداً بكل هذه الأشكال (الثلاثة) من العبودية العجيبة ، وقد وضعها كلقب مكرم ، قائلاً : « بولس عبد ليسوع المسيح » ... « المدعو رسولاً » ، معطياً لنفسه هذا الطابع فى كل رسائله : « المدعو » ، مظهراً إخلاصه ، وأنه قد وُجد ليس خلال سعيه الذاتى ، إنما دُعى فجأ وأطاع . هكذا أيضاً يعطى نفس الطابع للمؤمنين بقوله أنهم « مدعوون قديسين » . ولكن بينما هم مدعوون ليصيروا مؤمنين نال هو بجانب هذا أمراً مختلفاً يسمى « الرسولية » ؛ هذا الأمر مشحون بالتطويبات غير المحصية ، أعظم وأسمى من كل العطايا ... إذ يتحدث بولس بصوت عالٍ ويمجد العمل الرسولى ، قائلاً : « إذاً نسعى كسفراء عن المسيح ، كأن الله يعظ بنا » ٢ كو

٥ : ٢٠ ، بمعنى اننا نحمل دور المسيح (سفراء عنه) . « المفرز لإنجيل الله » ، كما في البيت يقوم كل واحد بعمل مغاير ، هكذا في الكنيسة ، توجد خدمات متنوعة تُوزع . وهنا يبدو لي انه يلمح إلى انه لم يُقم لهذا العمل بإختيار الجماعة فحسب وإنما عُين منذ القديم لهذا العمل ، الأمر الذي يتحدث عنه أرميا قائلاً بأن الله قال عنه : « قبلما خرجت من الرحم قدستك ، جعلتك نبياً للشعوب » أر ١ : ٥ . فإذا يكتب الرسول إلى مدينة تتسم بالمجد الباطل ، كل واحد فيها يفتخر متعالياً ، لذلك يكتب بكل وسيلة ليظهر أن إختياره (للرسولية) كان من قبل الله ؛ الله هو الذي دعاه وهو الذي أفرزه ^(١٤) .

ثانياً : يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على قوله : « المفرز لإنجيل الله » قائلاً [إنه يقول « إنجيل الله » لكي يفرّح السامعين منذ البداية (لأن كلمة انجيل تعنى بشارة مفرحة) ، فقد جاءهم بأخبار لا تحزن ملامحهم كما سبق ففعل الأنبياء خلال التوبيخات والانتهاكات والإنتهار ، إنما بأخبار سارة ، أى « انجيل الله » ، الحاوى للكنوز غير المحصية ذات البركات الثابتة غير المتغيرة ^(١٥)] .

ثالثاً : يستخدم القديس أمبروسيوس هذه العبارة مع عبارات أخرى (٢ كو ١٣ : ١٤) للرد على الأريوسيين الذين نادوا بأن الآب أعظم من الإبن مدللين على ذلك بأن الآب يُذكر أولاً في الترتيب ، وههنا الرسول يذكر الإبن قبل الآب ، إذ يقول : « عبد ليسوع المسيح » أولاً ثم « المفرز لإنجيل الله » ... هذا علامة على وحدة اللاهوت ^(١٦) .

وفي نفس المقال يقول بأن الرسول بولس الذي يمنعنى من التعبد للخليقة أجده هنا يحثنى على التعبد للسيد المسيح ، إذ يدعو نفسه « عبد ليسوع المسيح » ، مظهراً أنه الخالق وليس مخلوقاً ^(١٧) .

رابعاً : إن كان الرسول يلتزم بصّد حركة اليهود المعطلة لإنجيل الله وسط الأمم ، فقد أراد أن يؤكد لليهود المتنصرين أنه لا يحمل أفكاراً غنوصية كتلك التى حملها البعض والتي ظهرت بالأكثر في مرقيون فيما بعد في القرن الثانى حيث تجاهل العهد القديم بل وإستخف به . لقد أراد الرسول أن يُبرأ نفسه من هذه الأفكار الخاطئة ، فأعلن أن « إنجيل الله » الذى أفرز له ليس إلا تحقيقاً لخطة الله الخلاصية القديمة التى يمثل

العهد القديم جزءاً منها ، إذ يقول : « الذى سبق فوعد به بأنبيائه فى الكتب المقدسة » ع ٢ ؛ فما يكرز به إنما هو شهوة رجال وأنبياء العهد القديم وتحقيق لنبواتهم المقدسة .

إن كان محور إنجيله هو « المسيح ابن الله » ، فإن هذا القدوس هو أيضاً مركز خدمة رجال العهد القديم ، عنه تنبأ الأنبياء ، وبه جاءنا الوعد فى الكتب المقدسة (العهد القديم) . أو ربما أراد أن يؤكد لهم أنه لن ينسى أن منهم جاء الأنبياء ولهم قد سُلّمت الشريعة والكتب المقدسة التى هيات الطريق للمسيح المخلص .

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم هكذا : [إذ يريد الله أن يصنع أعمالاً عظيمة علانية يسبق فيعلن عنها زماناً طويلاً ليهيء مسامع البشر لقبولها عندما تتحقق . يقول « فى الكتب المقدسة » ، لأن الأنبياء لم يتكلموا فقط وإنما كتبوا مانطقوا به ، بل وقدموا ظلالاً لها خلال الأعمال مثل إبراهيم الذى رفع إسحق ، وموسى الذى رفع الحية ، وبسط يديه ضد عماليق ، وقدم خروف الفصح ^(١٨)] .

خامساً : لما كانت الرسالة فى مجملها هى إعلان عن « إنجيل الله » ، لذلك عرفه هنا فى المقدمة بقوله : « عن ابنه » ، الذى صار من نسل داود من جهة الجسد ، وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا . إنجيلنا إذن هو قبول « ربنا يسوع المسيح » ، الذى يكرر الرسول مؤكداً أنه « ابن الله » ، إذ خلاله ننال البنوة لله . هو الابن الذى بإتحادنا فيه ننقل من مركز العبيد إلى « الأبناء » بالمعمودية ، لنحسب موضع رضا الآب وسروره ... وهذا هو مركز الرسالة كلها .

وهذا أكد نسب المسيح لداود من جهة الجسد ، أولاً لكى يشجع اليهود على متابعة حديثه ، إذ لا يتجاهل أن مخلص العالم كله جاء متجسداً منهم ، ومن جهة أخرى ليؤكد أن فيه تحققت النبوات خاصة بكونه ابن داود الملك ليجلس على كرسي أبيه خلال ملكوت روحى سماوى (مت ٢١ : ٩ ، يو ١٢ : ١٣ ، لو ١ : ٣٢ ، ٢ تي ٢ : ٨) . وكما يقول القديس كيرلس الأورشليمي : [تقبل إذن المولود من ذرية داود وأطع النبوة القائلة : « ويكون فى ذلك اليوم أن أصل يسى القائم راية

للعشوب إياه تطلب الأمم » إش ١١ : ١٠ ^(١٩)] .

هذا هو نسل داود الذى قيل عنه : « أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته ، هو بينى بيتاً لإسمى وأنا أثبت كرسى مملكته إلى الأبد » ٢ صم ٨ : ١٢ ، ١٣ . وكما يقول القديس أغسطينوس ^(٢٠) ن نسل داود الذى بنى البيت الإلهى ليس سليمان بل السيد المسيح إذ أقام هيكل الله غير المصنوع من خشب وحجارة بل من البشر ، أى من المؤمنين الذين قال عنهم الرسول : « أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله ساكن فيكم ؟ ! » ١ كو ٣ : ١٦ ، لأن السيد المسيح لا سليمان هو الذى تثبت مملكته الى الأبد حسب هذا الوعد الإلهى (٢ صم ٨ : ١٣) .

أما كلمة « تعين » فكما يرى القديس يوحنا الذهبى الفم وغيره من الآباء الشرقيين فتعنى « أعلن » أو « أظهر » ؛ فالكنيسة الأولى كانت ترى أنه لم يكن ممكناً أن يعلن عنه كمسيحاً ورب إلا بعد قيامته (أع ٢ : ٣٤ — ٣٦ ؛ فى ٣ : ١٠ ، ١ كو ١٥ : ٤٥) ... هذا ما رأيناه بوضوح فى دراستنا للإنجيل بحسب مرقس ، إذ كان السيد نفسه يخفى لاهوته ويؤكد لتلاميذه ألا يعلنوا عن شخصه حتى يقوم . قيامته هى الدليل القاطع على بنوته الطبيعية لله . وكما يقول القديس ذهبى الفم : [بماذا إذن « أعلن » عنه ؟ لقد أظهر وأعلن عنه وأعترف به خلال مشاعر الكل وشهادتهم ، وذلك بواسطة الأنبياء ، وخلال ميلاده حسب الجسد بطريقة عجيبة ، وبقوة العجائب ، وبالروح الذى به يهب التقديس ، وبالقيامة التى بها وضع نهاية لطغيان الموت ^(٢١)] .

سادساً : يقول القديس ذهبى الفم ان الرسول إذ ذكر انه مفرز لإنجيل الله ، تحدث عن تجسد ابن الله خلال نسل داود حتى نقبله فيرتفع بنا إلى أسراره السماوية . بدون التجسد الإلهى والإلتضاع لا نقدر أن نرتفع معه إلى سمواته ، اذ يقول : [من يريد أن يقود البشر بيده إلى السماء ، يلزم أن يرتفع بهم من أسفل ، وهكذا كان عمل التدبير (الإلهى) . فقد نظروه أولاً إنساناً على الأرض وعندئذ أدركوا أنه الله . بنفس الاتجاه إذ شكّل (السيد) تعاليمه هكذا استخدم تلميذه ذات الطريق ليقودنا إلى هناك ^(٢٢)] .

يقول القديس أمبروسيوس : [من جهة الجسد صار من نسل داود ، لكنه هو الله المولود من الله (الآب) قبل العوالم ^(٢٣)] .

يقول أيضا القديس غريغوريوس النزينزي : [لقد دعى من نسل داود ؛ ربما بهذا تظن ان الرجل قد كُرم (لأنه جاء رجلاً ومنتسباً إلى رجل) ، لكنه وُلد من عذراء وبهذا تُكرم المرأة من جانبها ^(٢٤)] .

سابعاً : بعد أن سجل إسم الراسل وألقابه خلال دعوته للرسولية وعمله الإنجيلي كاشفاً عن مفهوم الإنجيل الإلهي الذي أفرز له ، سجل إسم المرسل إليهم ومركزهم من هذه الرسالة الإلهية ، قائلاً : « الذي به لأجل إسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان في جميع الأمم ، الذين بينهم أنتم أيضاً مدعوو يسوع المسيح ، إلى جميع الموجودين في رومية أحبائه الله مدعوين قديسين » ع ٥ - ٧ .

قبل أن يدخل معهم في حوار بخصوص النزاع القائم بين اليهود المنتصرين والأمم المنتصرين أخذ يشجع الكل معلناً للجميع أن ماناله القديس بولس إنما هو من قبيل نعمة الله المجانية كهبة مقدمة لا لفضل فيه ولا فيهم كيهود أو أمم وإنما لأجل إسمه ، إذ يقول : « لأجل إسمه قبلنا نعمة ورسالة (رسولية) » .

إن كانت هذه الرسالة تكرر الحديث عن نعمة الله ، سواء في حياة الرسول ، إذ نقلته لا من عدم الإيمان إلى الإيمان فحسب وإنما من مضطهد إلى كارز ورسول ، أو في حياة المخدمين من يهود وأمم ، فإن الرسول لم يقدم لنا تعريفاً عن « النعمة » ، إنما حديثاً عن قوة النعمة وفاعليتها في حياة الكنيسة وكل عضو فيها . وكأن الرسول لم يرد أن يشغلنا بتعاريف نظرية وفلسفات فكرية إنما أراد لنا معرفة التلامس الحقيقي والتمتع الواقعي بهذه الأمور . هذا هو أيضاً منهج الكنيسة الشرقية كما سبق فرأينا عند عرضنا « للنعمة » عند العلامة أوريجانوس ^(٢٥) .

ما هي هذه النعمة إلا عطية الله المجانية ، عطية الآب الذي في محبته قدم إبنه الحبيب مذبولاً عن خلاص العالم (يو ٣ : ١٦ ، رو ٨ : ٣٢) ، نعمة الإبن الوحيد الذي أحبنى وأسلم ذاته لأجلي ، كما أرسل لنا روحه المعزى من عند الآب يشهد له في حباننا (يو ١٥ : ٢٦) يعلمنا كل شيء ويذكرنا بكل ما قاله لنا (يو ١٤ : ٢٦) ، كما إرتبطت النعمة بالروح القدس ، فإن كان الروح هو واهب

العطايا ، لكنه في نفس الوقت هو عطية ، إذ صار ساكناً فينا ، حالاً في داخلنا
بكوننا هياكل الله وروح الله ساكن فينا .

الآب يعلن نعمته خلال تدبير الخلاص ، والابن يعلن ذات النعمة خلال حمله
الصليب عنا ، والروح القدس يقدم ذات النعمة بسكناه فينا لنقبل عمل المسيح
الخلاص في حياتنا .

هذه النعمة الإلهية المجانية التي تعمل في الكنيسة ، لتهب الكل العضوية في
الجسد الواحد ، لكن لكل عضو تمايزه دون انفصال عن الرأس أو بقية الأعضاء ،
ولكل عضو بالنعمة خدمته ومواهبه ، فقد ميّز الروح القدس بولس بالرسولية لأجل
الكراسة والرعاية . هذه العطية « الرسولية » دفعته أن يكتب لهم كما لغيرهم بسلطان
لكي يحقق عمل النعمة الإلهية فيه وفيهم .

ثامناً : إن كان الروح القدس قد ميّز القديس بالرسولية فإنه بنعمته صار يعمل
في سامعيه لا للدخول في مناقشات ومجادلات وإنما لقبول الإيمان في طاعة
وخضوع : « لإطاعة الإيمان في جميع الأمم » ع ٥ . هذا هو عمل النعمة الإلهية
أو عمل الروح القدس نفسه في المخدمين . يقول القديس يوحنا الذهبي
الفم : [أنظروا صراحة العبد ، فإنه لا يود أن ينسب شيئاً لنفسه بل لسيده ، فإن
الروح بالحق هو الذي يهب هذا . لذلك يقول السيد : « إن لي أموراً كثيرة أيضاً
لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذاك روح الحق
فهو يرشدكم إلى جميع الحق » يو ١٦ : ١٢ ... وجاء في الرسالة إلى أهل
كورنثوس : « فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة ، ولآخر كلام علم » ١ كو
١٢ : ٨ ، « الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء » ١ كو
١٢ : ١١ ^(٢٦)] .

إذن نعمة الله التي قدمت للقديس بولس « الرسولية » هي التي تعمل لطاعة
الإيمان لا في اليهود وحدهم ، وإنما « في جميع الأمم » .

هذا ويرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن قوله « في جميع الأمم » يكشف أن
الرسول إذ يتكلم عن عمل النعمة فيه كرسول إنما يضم معه بقية الرسول ، إذ تعمل
النعمة في الكل لأجل جميع الأمم ، أو ربما يقصد أنه وإن كان لا يعمل هنا في جميع

الأمم فانه حتى بعد موته لا يكف عن العمل في جميع الأمم . وربما يقصد ذهبى الفم أن الرسول يبقى في الفردوس خادماً بحبه لخلاص العالم وبصلواته غير المنقطعة من أجل الكل .

تاسعاً : دعاهم « مدعوى يسوع المسيح » ، فالفضل لمن « دعانا » مجاناً لنعمته ... كما دعاهم « مدعوين قديسين » . فإن كان شعب إسرائيل قد دُعى قديماً بالجماعة المقدسة (حز ١٢ : ١٦ ؛ لا ٢٣ : ٢ - ٤٤) بكونهم الشعب المفرز لله القدوس (لا ١١ : ٢٤ ، ١٩ : ٢) ، فإن هذا الشعب قد فشل في تحقيق القداسة إلا من خلال الرموز والنبوات ، أما الآن فقد جاء مسيحنا القدوس يدعونا للدخول فيه والثبات فيه فنحسب به أبراراً وقديسين .

ولعل الرسول في أبوته الحانية أراد أن يوضح نظرته لهم ، انه يحترمهم ويقدرهم لأنهم « مدعوو يسوع المسيح » ع ٦ ، « أحبباء الله » ع ٧ ، « مدعوون قديسين » ع ٧ ... ، كأنه يفتخر أن يكون خادماً لهم !

بحسب القديس يوحنا ذهبى الفم أن هذه الدعوة للقداسة هي كرامة فائقة ترافق المؤمنين حتى بعد عبورهم الحياة ، إذ يقول : [الكرامات الأخرى تُعطى لزمان ثم تنتهى مع الحياة الحاضرة أما هذه فيمكن أن تُقتنى بمال ... أما الكرامات التى يهبها الله ، أى عطية التقديس والتبني ، فلا يقدر حتى الموت أن يحطمها . إنها تجعل البشر مشهورين هنا ، كما ترافقنا في رحلتنا إلى الحياة العتيدة ^(٢٧)] .

هذا وسرّ تقديسنا هو قبول « النعمة والسلام » ع ٥ ... فقد كانت كلمة « نعمة » هي تحية اليونانيين ^(٢٨) ، و « سلام » أو « شام » هي تحية العبرانيين ؛ أما وقد صار الكل جسداً واحداً فلم يقبلوا « النعمة والسلام » من بعضهم البعض إنما تمتعوا بهما كعطية إلهية للجسد الواحد الذى يضم اليونانيين واليهود معاً . تقبلوا نعمة الله الفائقة أى عطاياه المجانية والتى تتجلى فى سكنى الله نفسه فى داخلهم ليعلن ملكوته فيهم باستحقاقات دم الصليب ، وسلامه السماوى الذى يوحد الانسان مع خالقه والجسد مع الروح والانسان مع أخيه ، أيا كان جنسه !

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الرسول بحكمه يبدأ بالنعمة ثم بالسلام ، إذ لا نستطيع أن ننعم بالسلام الداخلي ، بعد أن دخلنا خلال عصياننا في حرب روحية شرسة ما لم تعمل نعمة الله فينا لتهبنا بالمسيح يسوع روح الغلبة والنصرة ، فنعيش في سلام حقيقي ، كأبناء لأب سماوي . هذه هي عطية الله لنا ، ونعمته التي تستندنا في هذا الزمان الحاضر وترافقنا حتى تدخل بنا إلى الحصن الأبوي أبدياً . يقول القديس :

[إنها تحية تقدم لنا بركات بلا حصر .

هذا (السلام) هو ما أمر به المسيح الرسل أن يستخدموه كأول كلمة ينطقون بها عندما يدخلون البيوت (لو ١٠ : ٥) . لهذا يبدأ الرسول بالنعمة والسلام . فقد كانت توجد حرب ليست بهينة ، وضع المسيح لها نهاية ؛ كانت بالحقيقة حرباً متنوعة من كل صنف إستمرت زمناً طويلاً ، وقد إنتهت خلال نعمة المسيح وليس بمجهوداتنا الذاتية .

الحب جلب النعمة ، والنعمة جلبت السلام ، لذلك جاء ترتيب التحية لائقاً (النعمة والسلام) ، طالباً لهم أن يعيشوا في سلام دائم غير مترعزع ، حتى لا يشتعل لهيب حرب أخرى ، سائلاً الله أن يحفظ لهم هذه الأمور ثابتة ، قائلاً : « نعمة لكم وسلام من الله أيُّنا والرب يسوع المسيح » ع ٧ ...

عجباً ! بالقدرة حب الله ، نحن الذين كنا قبلاً أعداء ومطروحين صرنا قديسين وأبناء ! فإنه إذ يدعو الله « أبنائنا » يظهرهم أبناء له ، وعندما يدعوهم أبناء يكشف عن كنز البركات كلها ^(٢٩)] .

السلام هو عطية الله التي يلزم أن نطلبها بالصلاة ، خيِّبنا لنا إن صارت لنا الإرادة المقدسة ، وكما يقول القديس جيروم : [يلزمنا أن نقتنى السلام بالصلاة ، هذا الذي يوجد ليس بين الجميع ، بل بين من لهم الإرادة الصالحة ...] لأن مسكنه (الله) في السلام » مز ٧٦ : ١٠] .

لاحظ القديس أمبروسيوس أن النعمة والسلام قد نُسبا للأب كما للسيد المسيح ، إذ يقول : [ها أنتم ترون إننا نقول بأن نعمة الأب والإبن واحدة ، وسلام

الآب والإبن واحد ، لكن هذه النعمة وهذا السلام هما ثمر الروح كما يعلمنا الرسول نفسه ، قائلاً : « وأما ثمر الروح فهو محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة » غلا ٥ : ٢٢ (٣٠) .

٢ — إفتاحية تشجيعية

تكشف إفتاحية هذه الرسالة كما في باقي الرسائل عن جانب هام من منهج الرسول بولس في خدمته ومعاملاته ، فإنه بروح الحكمة يشجع ويسند ، حتى إن أراد أن يحاور أو يوبخ ، فإن كان يكتب في جوهر الرسالة عن مشكلة حركة اليهود التي سببت متاعب كثيرة للكنيسة ، لكن بروح الحب يكسب من يوجه إليهم رسالته ، إذ يعلن في الإفتاحية الآتي :

أولاً تزكيتهم لإيمانهم : « أولاً أشكر إلهي يسوع المسيح من جهة جميعكم ان إيمانكم ينادي به في كل العالم » ع ٨ . يبدأ بالجانب الإيجابي لا السلبي ، فلا يتحدث مثلاً عن خطورة حركة اليهود ولا عن ضعفات هذا الشعب ، إنما يعلن تزكيتهم لإيمانهم الذي صار علة كرازة في كل العالم مقدماً الشكر لله بإبنه يسوع المسيح . هذا المنهج أساسى في اللاهوت الرعوى .. أن نشجع أولاً ونسند ، مبرزين الجوانب الحية والناجحة في حياة المخدمين قبل الجوانب السلبية والخطئة .

يقدم الشكر للآب إلهه كعبادة حية ، يقدمه في يسوع المسيح ، لكي يكون مقبولاً ... إذ نقدر أن نلتقى مع الآب ولا أن نقدم له ذبيحة حب وشكر إلا خلال رأسنا يسوع المسيح موضع سروره .

وقد إستلقت نظر القديس يوحنا الذهبى الفم في تسبحة الشكر هذه أمران :

(أ) ان الرسول بولس يقدم باكورة أعماله وكلماته تسبحة شكر لله ، فيبدأ رسائله بالشكر ، والعجيب انه لا يشكر الله على عطاياه له فحسب وإنما على عطاياه للآخرين ، حاسباً ما يتمتع به الآخرون يتمتع هو به ... لذا يشكر الله هنا من أجل إيمانهم هم وكأنه مكسب له . يقول إبن كاتب قيصر في تفسيره للرسالة إلى أهل رومية : [هذا هو أول الرسالة . كان الشكر لمقدم النعم واجباً ، وكان هو أكثر منهم معرفة بقدر هذه النعمة التي وهبت لهم ، خاصة أنه يجد في إيمانهم نجاحاً

لسعيه ، إذ لم يسع إلا ليؤمنوا ، لذلك قدم الشكر عنهم بسبب إيمانهم ، ليعلمنا ان .
نفتتح أقوالنا وأفعالنا بالشكر] .

(ب) ينسب الله إلى نفسه ، إذ يقول القديس ذهبي الفم : [بأية مشاعر يقدم الشكر ، إذ لا يقول : « الله » بل « إلهي » ، الأمر الذي يفعله الأنبياء أيضاً ، حاسين بما هو عام للكل كأنه خاص بهم . وأي عجب إن فعل الأنبياء هكذا ؟ ! فإن الله نفسه يفعل هذا دائماً وبوضوح فينسب نفسه لعبيده ، قائلاً أنه إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ، كما لو كان خاصاً بهم ^(٣١)] .

ثامناً : بجانب كشفه عن جوانب نجاحهم يعلن حبه نحوهم بالصلاة من أجلهم ، مشهداً الله نفسه على أعماقه المتسعة نحوهم : « فإن الله الذي أعبدته بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي كيف بلا إنقطاع أذكركم » ع ٩ .

لم يكن ممكناً أن يذكر المخدومين — حتى وإن كان لم ينظرهم بعد حسب الجسد — بالصلاة الدائمة غير المنقطعة لو لم يكن قلبه وفكره وكل طاقاته قد تكرست وأفرزت لله ، هذا ما عناه بقوله « أعبدته بروحي » ، أي أضع نفسي بكل طاقاتي الروحية والنفسية والجسدية للعبادة لله والتمتع بإنجيله .

يلقى القديس يوحنا الذهبي الفم على هذه العبارة موضعاً نقطتين ، هما :

(أ) أن الرسول وهو يركز بالإنجيل يعبد الله بالروح والحق : [لأن طريق خدمتنا ليس بخراف وتيوس ولا بدخان وشحوم وإنما بنفس روحية ، كقول المسيح : « الله روح والذين يسجدون لله فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا » يو ٤ : ٢٤ ^(٣٢)] .

(ب) أنه يخدم إنجيل الإبن الذي هو بعينه إنجيل الآب : [قال قبلاً أنه إنجيل الآب ، أما هنا فيقول إنجيل الإبن ، فلا إختلاف بين القولين ، إذ تعلم الرسول من الصوت الطوباوي ان ما للآب هو للإبن ، وما للإبن هو للآب ، إذ قيل : « ما هو لي فهو لك ، وما هو لك فهو لي » يو ١٧ : ١٠ ^(٣٣)] .

ثالثاً : حبه مترجم عملياً ليس فقط بذكرهم المستمر بلا إنقطاع في صلواته وإنما بشوقه الحقيقي لرؤيتهم ليهمهم « هبة روحية » هي إنجيل المسيح ، الذي يشتهم ويعزهم

كما يعزّيه هو أيضاً ، الإنجيل الذى يفرح قلب السامعين والكارزين معاً ، إذ يقول : « متضرعاً دائماً فى صلواتى عسى الآن أن ييسر لى مرة بمشيئة الله أن آتى إليكم ، لأتى مشتاق أن أراكم لكى أمنحكم هبة روحية لثباتكم ، أى لتعزى بينكم بالإيمان الذى فىنا جميعاً إيمانكم وإيماني ، ع ١٠ - ١٢ .

إنهم بالحق موضوع حبه يشغلون فكره وخطته وصلواته وأيضاً تصرفاته من أجل غاية واحدة : تمتعهم بالهبة الروحية الإلهية ، إنجيل الله ! وقد حقق الله للرسول شوقه الروحى المقدس لكن بخطة إلهية فائقة ، إذ ذهب إليها كأسير من أجل الإنجيل بعد أن تعرض لضيقات كثيرة كإتكسار السفينة به (أع ٢٧ : ٤٣) ، ليقف أمام كرسى قيصر (أع ٢٨) .

يعلق القديس يوحنا الذهبى الفم على كلمات الرسول هذه لأهل رومية مبرزاً حب الرسول الشديد للكراسة خاصة بين الأمم ، لكن فى حكمة الروح يلح فى الطلب بلا إنقطاع مسلماً الأمر بين يدي الله العارف ما هو لبنيان الكنيسة ، إذ يقول : [تضرعه الدائم دون توقف بسبب عدم نواله طلبه يكشف عن حبه الشديد لهم . لكنه وهو يحب مستمر فى خضوعه لمشيئة الله مظهراً غياله عظمتة الله . فى موضع آخر يقول : « تضرعت إلى الرب ثلاثة مرات » ٢ كو ١٢ : ٨ ، وليس فقط لم ينل طلبته ، إنما قبل عدم نواله الطلبة بشكر شديد ، ففى كل الأمور كان ينظر إلى الله . هنا نال الرسول لكنه لم ينل عندما طلب بل فى وقت متأخر ، ومع هذا لم يكن متضايقاً . أشير إلى هذه لكى لا نتبرم نحن عندما لا يُستجاب لنا أو عندما تأتى الإستجابة ببطيء ، فإننا لسنا أفضل من بولس الذى كان يشكر فى الأمرين ، مسلماً نفسه فى يد مدبر الكل ، خاضعاً له تماماً ، كالطين فى يد الخزاف ، يسير حيثما يقوده الله ^(٣٤)] .

رابعاً : كان الرسول ليس فقط خاضعاً لمشيئة الله التى سمحت له بتأجيل ذهابه إلى روما بالرغم من حبه الشديد لإفتقادها ، لا بهدف أرضى وإنما بتقديم « هبة روحية » هى « إنجيل الله » ، وإنما أعلن الرسول إتضاعه بقوله : « لتعزى بينكم بالإيمان الذى فىنا جميعاً إيمانكم وإيماني » ع ١٢ .

فى إتضاع صادق بلا تزيف يشعر الرسول أنه محتاج إلى مخدوميه ، فهو يفتقدهم ليس فقط لكى يرشد ويعلم ويوصى ، وإنما أيضا ليتعزى بإيمانهم . هم محتاجون إلى نعمة الله العاملة فيه وهو محتاج إلى إيمانهم وتعزيتهم .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [يا لعظم إتضاع فكره ! لقد أظهر نفسه أنه فى حاجة إليهم وليس هو هم فقط المحتاجين إليه . يضع التلاميذ موضع المعلمين ، غير حاسباً نفسه أعلى منهم بل مقدماً كمال مساواتهم له ، لأن النفع مشترك ، يقصد انه يتعزى بهم وهم به . كيف يتحقق ذلك ؟ « بالإيمان الذى فىنا جميعاً ، إيمانكم وإيماني » . وذلك كما فى حالة النار ، فإن أضاف إنسان مشاعل إلى بعضها البعض يشتعل بالأكثر اللهب ويتقد الكل ؛ هذا أيضاً يحدث بين المؤمنين طبيعياً ^(٣٥)] . كما يقول أيضاً : [يقول هذا لا كمن هو فى حاجة إلى أى عون منهم ، وإنما لكى لا تكون لغته ثقيلة عليهم وتوبيخه عنيفاً ، لهذا يقول أنه فى حاجة إلى تعزياتهم . ربما يقول أحد أن تعزيتة تكمن فى فرحه بنمو إيمانهم ، هذا هو ما يحتاج إليه بولس ، هذا المعنى ليس بخاطيء ^(٣٦)] .

يقول ابن كاتب قيصر أن كلمة التعزية هنا تعنى الفرح والسرور ، هو يتعزى لأنه كان مضطهداً وصار رسولاً مبشراً دُعى لهذا الرجاء الصالح ، وهم يفرحون إذ كانوا قبلاً فى ضلالة عبادة الشياطين وصاروا أولاد الله ، عابدين له ، مترجين ملكوته الأبدى .

خامساً : يرى القديس أكليمندس الاسكندرى فى حديث الرسول هنا التعزية التى ينالها كما ينالونها هم خلال الإيمان المشترك ، إنما يعنى أن الإيمان يحمل حركة نمو مستمر ^(٣٧) ، إذ يرى أن هناك إيماناً مشتركاً يكون أساساً خفياً فى حياة جميع المؤمنين ، هذا الإيمان لا يحمل جموداً بل حركة نمو مستمرة ، لذا طلب التلاميذ من السيد المسيح : « زد إيماننا » . بمعنى آخر يمكننا أن نقول بأن الإيمان حركة حياة ديناميكية غير جامدة ، يعيشها المؤمن كل يوم منطلقاً من خبرة معرفة عملية وتلاقى مع المسيح إلى خبرة أعمق ، ومن قوة إلى قوة ، ومن مجد داخل إلى مجد ... مشتاقاً كل يوم أن يبلغ إلى قياس قامة ملء المسيح كقول الرسول بولس .

سادساً : إذ يعلن حبه عملياً بشوقه لزيارتهم بل ومحاولاته العملية وقد مُنِع حتى لحظات الكتابة ، يكشف عن رسالته ، بقوله : « ليكون لي ثمر فيكم أيضاً كما في سائر الأمم . إني مديون لليونانيين والبرابرة ، للحكماء والجهلاء ، فهكذا ماهو لي مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضاً ، لأني لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودى أولاً ثم لليوناني ، لأن فيه معلن برّ الله بإيمان لإيمان كما هو مكتوب : أما البار فبالإيمان يحيا » ع ١٣ — ١٧ .

(أ) إن كان الرسول قد صار له ثمر متكاثر في أُمم كثيرة لكنه مترقب الثمر أيضاً في روما بكونها عاصمة العالم الروماني الأُمى ، حاسباً الكرازة بينهم وثمرهم هو تحقيق ونجاح لمهمته الرسولية ؛ مستعد للعمل مهما بلغ الثمن ^(٣٨) خجل .

إن كانت روما كعاصمة للدولة الرومانية فيها تصب كل الشعوب أوثانها ورجاساتها وما يحملونه من انحطاط ، فقد كانت مرآة للعالم الوثني بكل شروره وبؤسه ، موضع غضب الله ، لذا أراد الرسول أن تكون هذه المدينة هي بعينها مركزاً للخدمة ، مقدماً لها مفهوم إنجيل الله في كمال قوته ^(٣٨) . بمعنى آخر يوّد الرسول أن يخدم حيث يزداد بالأكثر الشرّ ، إذ لا يريد الطريق السهل المتسع ، بل الضيق الكرب لكي تعلن قوة الإنجيل بالأكثر ، ويظهر عمل النعمة الإلهية وفاعليتها بأكثر وضوح . هذا ما نستنبطه من قوله : « ماهو لي مستعد لتبشيركم » ، بمعنى انه مستعد لإحتمال كل ضيق وألم من أجل تقديم كلمة الإنجيل ، إذ كان الرسول يدرك ان الكرازة بينهم تستوجب أتعاباً كثيرة . لذلك يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [يالها من نفس نبيلة ! لقد وضع الرسول على عاتقه أن يقوم بعمل ذي مخاطر عظيمة ، إذ يقوم برحلة عبر البحر تعترضها تجارب ومكاييد ... ومع توقعه لإحتمال هذه الأتعاب العظيمة لم يقلل هذا الأمر من همته بل كان يسرع مجاهداً ، مستعداً بذهنه لإحتمالها ^(٣٨)] .

(ب) كان القديس بولس يخجل من الصليب قبل أن يلتقى بالمصلوب الممجّد ، حاسباً الصليب عاراً لا يليق بالمسيا ملك اليهود ، أما الآن فقد أدرك أنه قوة الله للخلاص يلزم أن يكرز به للجميع .

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على كلمات الرسول قائلاً :
[انه يقول لأهل غلاطية : « حاشا لي أن افتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح » غلا ٦ : ١٤ . كان الرومانيون شديدي التعلق بالزمنيات بسبب غناهم وإمبراطوريتهم وكرامتهم ، فكانوا يحسبون ملوكهم في مصاف الآلهة حتى اقاموا لهم المعابد وقدموا لهم القرابين ، وهم يتشახون بهذا . اما بولس فكان يود ان يركز لهم بيسوع الذي ظنوا انه ابن نجار نشأ في اليهودية ، في بيت امرأة فقيرة لا يحيط بها الخدم والحشم ثم مات مية اللصوص والمجرمين ، متحملاً اصناف السخرية والاهانات ، الأمور التي حاول (بعض الرومانيون الذين تنصروا) الإختباء منها قبل ادراكهم عظمة هذه الأمور غير المنطوق بها : لهذا يقول الرسول انه لا يستحي ، إذ كان يعلمهم هم أيضاً ألا يستحوا من هذه الرسالة المجيدة ، حتى اذا مابداً هكذا بعدم الاستحاء ينتهى بهم إلى الإفتخار أيضاً . فإن سألكم أحد : أتعبدون المصلوب ؟ لا تستحوا ، ولا تنظروا إلى الأرض بل إرفعوا رؤوسكم ... أجيئوا بإعتزاز ، نعم نعبده ! ... الصليب بالنسبة لنا هو عمل المحبة اللانهائية نحو البشر ، وعلامة عناية الله غير المنطوق بها ^(٣٩)] .

(ج) أدرك الرسول أن الانجيل أو الكرازة بالصليب هو « قوة الله الخلاص » ، اختبر هذه القوة في حياته فأراد أن يقدمها للجميع ، كارزاً لليونانيين أى أصحاب الفكر الهليني ، وللبرابرة أى بقية الأمم ، يود أن يتمتع الكل بعمل الصليب : الحكماء أصحاب الفلسفات والبسطاء الذين يُحسبون كجهلاء .

إن كان الصليب قد أنقذه ، فإنه مدين للعالم كله ... حاسباً الوثنيين دائنين له ، يلتزم أن يرد لهم الدين بالكرازة لهم ليتمتعوا بما تمتع هو به !

(د) يدعو الإنجيل « قوة الله للخلاص » ، إذ هو ليس مجرد رسالة نظرية أو فلسفة فكرية تعليمية إنما « عمل إلهي ديناميكي » في حياة الإنسان ، حركة حب إلهي لا تتوقف لتبلغ به إلى شركة الأمجاد الإلهية .

(هـ) إنجيل المسيح مُقدم لليهودي أولاً ثم اليوناني ، هنا الأولوية لا تقوم على محابة الله لجنس على حساب آخر وإنما أولوية الالتزام بالمسئولية والعمل . فإن كانوا قد أئتمنوا على الناموس المكتوب وتقبلوا إعلانات ونبوات ومنهم خرج رجال الله ... فقد

لاق بهم أن يتلقفوا عمل السيد المسيح الخلاصى ويحتضنوا الصليب حتى يخرجوا إلى الأمم حاملين نير البشارة بالخلاص .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [كلمة « أولاً » ليست إلا تعبيراً عن الناحية الزمنية فقط ، إذ لا يوجد إمتياز في مقدار البر الذى يحصل عليه ؛ ولكن كمن ينزل في جرن المعمودية أولاً ثم يليه الآخر نعمة أعظم من التالى له ، إنما ينعم الكل بنعمة واحدة . هكذا يتساوى اليهودى واليونانى في مواهب النعمة متى قبلوا الإنجيل ^(٤٠)] .

(و) ماذا يعنى بقوله : « إيمان لإيمان » ؟ يرى العلامة ترتليان ^(٤١) والعلامة أوريجانوس وابن كاتب قيصر أن برّ الله بإيمان الناموس حين نُقل المؤمنين إلى الإيمان بالإنجيل ، وكأن الثمر الذى يشتهيه الرسول لكل عالم هو ذات الثمر الذى ترجاه رجال الإيمان في العهد القديم ، وقد حلّ الوقت المعين لينعم العالم به خلال الإيمان بالإنجيل الإلهى . يقول القديس أكليمندس الاسكندرى : [يعلمنا أن خلاصاً واحداً من الأنبياء إلى الإنجيل يحققه الرب الواحد عينه ^(٤٢)] . ويرى القديس أمبروسيوس ان برّ الله يعلن خلال أمانة الله في مواعيده فتنتقل أمانته الى إيمان الانسان الذى ينعم ببر الله .

يقدم لنا الرسول مفتاح كله عطية صالحة إلهية : « أما البار فبالإيمان يحيا » ع ١٧ . فالانسان الذى يرتبط بالله يحمل برّ المسيح فيه ، لكنه لا يعنى هذا انه يصير معصوماً من الخطأ كما يظن البعض ، انما يتمتع بالثمر المستمر في برّ المسيح بلا توقف . وقد حذرنا القديس أغسطينوس من فهم هذه العبارة بمعنى اننا نصير بلا خطية ^(٤٣) .

ويعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذه العبارة بالقول : [مادامت عطية الله تفوق الادراك تماماً فمن المنطق أننا نحتاج إلى الإيمان] ، [أما ترون أن عدم الايمان هو هوة سحيقة أما الإيمان فحصن حصين . لأن عدم الإيمان أهلك الآلاف بينما الإيمان لم يؤد إلى خلاص الزانية وحدها بل جعلها أيضاً أما لكثيرين] ؛

[اننا نستضيف برقة أم كل البركات وهو الإيمان لكى نكون كمن هم يسرون
فى ميناء هادىء مستقر تماماً ، محافظين على إيماننا الأرثوذكسى ، فنقود سفينتنا
باستقامة ونحظى بالبركات بالنعمة ومحبة البشر التى لربنا يسوع المسيح ^(٤٤)] .

٣ - شرور الأمم

إذ يواجه القديس بولس حركة اليهود ليعلن عمومية الخلاص لليونانى كما لليهودى ،
لم يبدأ بضعفات اليهود وشرورهم بل بالعكس يتحدث بصراحة ووضوح عن شرور
الأمم ، لكى يكون ذلك مدخلاً لنقد اليهود أيضاً فى صراحة وتقنيد كل حججهم
دون إتهامه بالمحاباة ، فقد وجه إليه هذا الإتهام : « إنك تعلم جميع اليهود الذين بين
الأمم الإرتداد عن موسى ، قائلاً أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد » أع
٢١ : ٢١ . هذا مادفع الرسول إلى البدء بإعلان شرور الأمم ومسئوليتهم عنها ،
ليس تشهيراً بهم ولا تحقيراً ، وإنما كمدخل لإجتذاب اليهود المتنصرين لقبولهم معهم فى
العضوية فى الجسد الواحد على قدم المساواة ، إذ يعلن أن الأممى كاسر للناموس
الطبيعى واليهودى كاسر للناموس الموسوى ، لذلك صار الكل فى حاجة إلى تدخل
إلهى كى يتبرروا لا بالناموس الطبيعى ولا بالناموس الموسوى وإنما بالإيمان بالمسيح
يسوع مخلص الجميع .

فى حديثه عن شرور الأمم أصحاب الناموس الطبيعى يبرز الرسول الآتى :

أولاً : ان كان الله قد أعطى اليهود الناموس الموسوى فإنه لم يهمل الأمم ولا
تركهم بلا شاهد لنفسه بينهم ، فقد أعلن نفسه خلال الطبيعة المنظورة ، إذ
يقول : « إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم ، لأن أموره غير المنظورة
ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا
عذر » ع ٢٠ .

الله لم يترك نفسه بلا شاهد فإن « السماء تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل
يديه » مز ١٩ : ١ . يعلن قدرته السرمدية ولاهوته خلال أعمال الخليقة الفائقة ،
التي أقامها بكلمته لا لإستعراض إمكانياته وإنما من أجل أعماق محبته لنا . فحب
الله الفائت غير المنظور نلمسه خلال رعايته العجيبة إذ قدم لنا هذه المصنوعات
لراحتنا .

بينما يتهم الرسول بولس البشر انهم يحجزون الحق بالاثم (ع ١٨) ، وكأن الانسان يتفنن في إختراع الطرق الأثيمة المتنوعة ليحجز « الحق » فلا يُعلن ، إذا بالله يعلن « الحب » لنا بطرق متنوعة خلال المصنوعات المباركة التى هى من عمل يديه . الانسان يستमित في حجز الحق والله يبذل لإعلان الحب السرمدى !

يرى القديس أغسطينوس في هذا القول الرسولى ان الله يقدم لنا العالم كعطية نستخدمها وليس نتلذذ بها ، فنرى خلالها اموره غير المنظورة ، نمسك بالروحيات والسماويات خلال الماديات والزمنيات ^(٤٥) .

يلقى القديس أمبروسيوس على التعبير « قدرته السرمدية » ، قائلاً : [إن كان المسيح هو قدرة الله السرمدية ، فالمسيح إذن سرمدى ^(٤٦)] .

هذا وإذا يحجز الانسان الحق بالاثم يسقط تحت الغضب الإلهى (ع ١٨) ، أما من يرجع إليه بالتوبة فيسمع الصوت الإلهى : « هلم يا شعبى أدخل مخادعك واغلق أبوابك خلفك ، إختبئ نحو لحيفة حتى يعبر الغضب ، لأنه هوذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب إثم سكان الأرض فيهم فتكشف الأرض دماءها ولا تغطي قتلاها فيما بعد » إش ٢٦ : ٢٠ ، ٢١ . ما هى المخادع التى تدخل فيها إلى الحياة السرية فى المسيح يسوع حيث فيه نختبئ من الغضب ونصير موضع سرور الآب ؟ ! وأما قوله « هوذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب ... » إنما يعنى انه يود أن يبقى فى مكانه يعلن حبه ورحمته لكن إصرار سكان الأرض على الاثم تلزمه أن يعاقب !

ثانياً : لم يستطع الأسمى خلال هذه المعرفة المعلنة بالناموس الطبيعى والمسجلة خلال المنظورات أن يخلص ، بل على العكس أخذ موقف المقاومة التى تظهر فى الآتى :

١ - « لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حققوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبى ، وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء ، وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات » ع ٢١ - ٢٣ .

هذا الإتهام كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أخطر من الإتهام السابق ، فان الأمر لم يقف عند رفض الله الذى أعلن عن محبته وقدرته خلال مصنوعات يديه ، وإنما لما عرفوا الله لم يمجّدوه أو يشكروه بل استبدلوا عبادة الله الحيّ بالعبادة الوثنية . وكما قال الله على لسان أرميا : « لأن شعبى عمل شرين : تركونى أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم أباراً أباراً مشققة لا تضبط ماءً » أر ٢ : ١٣ . أما علة إنحرافهم فهو اتكالمهم على الفكر البشرى المجرد دون عون الله ، « وبينما هو يزعمون انهم حكماء صاروا جهلاء » ، فصاروا كما يقول ذهبي الفم كمن يبحرون فى مياه مجهولة ، فتتحطم سفينتهم على صخور صلده ، إذ لمحاولوا بلوغ السماء بعدما أطفأوا النور المضىء فى داخلهم ، متكلين على ظلمة أفكارهم .

يرى القديس أغسطينوس ان سرّ هلاكهم هو جحودهم وعدم شكرهم ، إذ يقول : [بجحودهم صاروا أغبياء ، فما يهبه الله مجاناً (أى الحكمة) ينزعه عن غير الشاكرين ^(٤٧)] . كما يقول : [لقد رأوا إلى أين يجب أن يذهبوا ، لكنهم بجحودهم نسبوا هذه الرؤية التى وهبهم الله إياها لأنفسهم ، وإذا سقطوا فى الكبرياء فقدوا ما قد رأوه ، وارتدوا الى عبادة الاوثان والتماثيل والشياطين ، يعبدون المخلوق ويحتقرون الخالق ^(٤٨)] .

هذا ويرى القديس أغسطينوس ان هؤلاء الذين نسبوا لأنفسهم الحكمة فسقطوا فى العبادات الرذيلة هم الرومان واليونان والمصريون الذين مجدوا انفسهم تحت إسم الحكمة ^(٤٩) .

ب — إذ تركوا الله الذى يعلن ذاته لهم خلال الطبيعة تخلى هو أيضاً عنهم ، هذا هو ما عناه الرسول بقوله : « لذلك أسلمهم الله أيضاً فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم » ع ٢٤ . تركوه بإرادتهم ، وإذا هو يُقدر الحرية الإنسانية ويكرمها أعطاهاهم سؤل قلوبهم تركهم ، فمارسوا شهوات قلوبهم الشريرة حيث ارتكب الرجال والنساء قبائح لا تليق حتى بالطبيعة (ع ٢٦ ، ٢٧) .

ويرى القديس يوحنا كاسيان ^(٥٠) أن الانسان إذ يسقط فى الكبرياء حتى وإن كان طاهراً جسدياً يسمح الله بالتخلي عنه لكى إذ يسقط فى شهوات جسدية ظاهرة

أمام عينيه حتى يقدر أن يدرك الكبرياء الخفى الذى لا يراه .

لهذا السبب نجد كثير من الشباب يسقطون فى الرجاسات الجسدية بالرغم من مواظبتهم على وسائل الخلاص من دراسة فى الكتاب وتقديم صلوات وربما اعتراف وتناول ... لكن العلة الرئيسية لسقوطهم هو كبرياء قلوبهم . بالكبرياء يفقد الإنسان نعمة الله التى تهبه القداسة فينهار تحت ثقل شهوات جسده وفساده .

ويحدثنا القديس بفتوتىوس عن سماح الله لنا بهذا الانحراف معلناً اننا نحن السبب فى هذا الفساد إما بسبب كبريائنا أو إهمالنا ، إذ يقول : « علينا أن نعرف ان كل شيء يحدث إما بإرادته أو بسماح منه ، فكل ما هو خير يحدث بإرادة الله وعنايته ، وكل ما هو ضد ذلك يحدث بسماح منه ، متى نُزعت حماية الله عنا بسبب خطايانا أو قساوة قلوبنا أو سماحنا للشيطان أو للأهواء الجسدية المخجلة أن تتسلط علينا ، ويعلمنا الرسول بذلك ، مؤكداً : « لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان » رو ١ : ٢٥ ، وأيضاً : « كما لم يستحسنوا ان يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق » رو ١ : ٢٨ . ويقول الله بالنبي : « فلم يسمع شعبى لصوتى ، وإسرائيل لم يرضى بى ، فسلمتهم إلى قساوة قلوبهم ليسلكوا فى مؤامرات أنفسهم » مز ٨١ : ١١ ، ١٢ ^(٥١) .

يقول الأب يوحنا : [من عدل الحكم الإلهى أن تُعطى المواهب الصالحة للمتواضعين ، وتُمنع عن المتكبرين المرفوضين الذين يقول عنهم الرسول انهم مستحقون أن يُسلموا إلى ذهن مرفوض (رو ١ : ٢٨) ^(٥٢)] .

إذاً إختار الإنسان فى شره الفساد ، فحل الفساد به ، أما الله فهو « مبارك إلى الأبد أمين » ع ٢٥ ، وكأن ما يرتكبه الإنسان إنما يحل به لا بالله . وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [إن كان الفيلسوف لا يتأثر بإهانة الجهلاء له ، فكيف بالحرى الله الأزلى غير المستحيل لا تبلغ وقاحة الناس إلى طبيعته المجيدة التى لا يعترها ظل دوران ^(٥٣)] .

يقف القديس ذهبى الفم هنا قليلاً ليسألنا أن نتشبه بالله الذى يحتمل الأضرار ولا يتأثر بشرهم ، فإن طبيعته أسمى من أن تتأثر بهم ، هكذا إذ نتشبه به نحتمل نحن أيضاً شرور الأشرار ، إذ يقول : [يليق بنا ألا نحاول الهروب من الإهانات بل بالحرى

نحتملها ، لأن مثل هذا الإحتمال هو الشرف بعينه . لماذا ؟ لأنه في قدرتك أنت أن تحتمل أما تصليح الآخرين فهو من عمل الغير . أتسمع صدى الضربات التي تسقط على الماس ؟ قد تقول هذه هي طبيعة الماس . حسناً ، وأنت في مقدورك أن تتدرب على ما هو للماس بالطبيعة . ألم تسمع كيف لم تؤذ الثلاثة قتيه ؟ وكيف ظل دانيال في الجب سالماً ؟ . فما حدث هؤلاء ممكن لنا إذ يوجد حولنا أسود الشهوة والغضب مستعدة لتمزيق من يسقط تحت قدميها . إذن كن كدانيال وإثبت ، فلا تجعل الإنفعالات تنشب بأظفارها في نفسك . تقول : هذا من فعل النعمة . حقاً ، لكن النعمة تنساب خلال تدريب الإرادة ، فمتى كنا مستعدين لتدريب أنفسنا على نمط هؤلاء الرجال تنساب النعمة في داخلنا ، عندئذ تقبح الوحوش في مذلة قدامنا بالرغم من جوعها . فإن كانت الوحوش قد تراجعت أمام عبد ، أفلا تتراجع بالحري أمام أعضاء جسد المسيح (أمامنا) ؟ ! ^(٥٤)] .

جـ — ربما يتعذر البعض بأن ما يتركبه من شرور هو ثمرة ضعف الطبيعة البشرية وجريها وراء اللذات بلا ضابط ، لذا أوضح الرسول أن الإنسان في شره صار يمارس حتى ما هو مخالف للطبيعة ، يسيء للطبيعة عنها لتحول حياتهم إلى جحيم ، إذ يقول : « لأن إناثهم إستبدلن الإستعمال الطبيعي بالذى على خلاف الطبيعة ، وكذلك الذكور أيضاً تاركين إستعمال الأثى الطبيعي اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالتهم الحق » ع ٢٦ ، ٢٧ .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [هنا إذ يتحدث عن العالم يضع أمامهم اللذة الطبيعية التي كان في مقدورهم الاستمتاع بها في طمأنينة وفرح قلبي متحاشين الأعمال المخزية ، لكنهم لم يريدوا ... إذ أهانوا الطبيعة عينها ... جلبوا عاراً على الطبيعة وداسوا على القوانين الإنسانية في نفس الوقت ^(٥٥)] .

يرى القديس ذهبي الفم ان الإنسان قد حول حياته إلى حرب داخلية وجحيم لا يُطاق ، فان كان الله قد وهب بالطبيعة أن يتزوج الرجل بامرأة ويصير الإثنين جسداً واحداً في إنسجام الحب والألفة ، أهان الإثنين نفسيهما ودخل كلاهما في حرب داخلية فجرت النساء وراء بعضهن البعض وأيضاً الذكور ، فتحولت الحياة الإنسانية

إلى إنشاقات وحروب داخلية لا تنقطع تقوم ليس فقط بين الرجل وامرأته وإنما بين النساء وبعضهن البعض والذكور وبعضهم البعض ، فنالوا في أنفسهم جزاء ضلالهم المحق (ع ٢٧) . هذا ما أكدته كثير من الآباء أن الخطية تحمل فسادها فيها فتسكب من هذا الفساد على مرتكبها ليحمل عقوبته ليس فقط كأمر يصدر ضده من الخارج ، وإنما خلال ممارسته الشر عينه .

د — بعد أن قدم صورة بشعة للإنسان في شره ، إذ صار لا يطلب اللذة الطبيعية فحسب وإنما صار مفسداً للطبيعة عوض السمو بها ، فبدلاً من ان يرتفع بالروح ليسمو بغرائزه الحيوانية فيصير جسده بغرائزه مقدساً للرب صار في بشاعته مفسداً للطبيعة ، يفعل ما لا يرتكبه الحيوان خلال العلاقات الجسدية الشاذة سواء بين الإناث وبعضهن البعض أو الذكور وبعضهم البعض ... الآن يقدم لنا قائمة مرة بما ترتكبه البشرية المنحرفة ، وقد لاحظ القديس يوحنا الذهبي الفم أن الرسول يذكر في قائمته هذه التعبيرات : « مملوئين » ، « من كل » ، « مشحونين » . وكأن الآثام لم تعد أمراً عارضاً في حياة الانسان لكنها تملأ كيانه الداخلي ، وتشحنه تماماً ليرتكب لا إثماً أو إثمين وإنما « كل إثم » !

هـ — العجيب أن الخطايا والآثام تحطم سلام الإنسان وتفقده فرحه الداخلي ، لكنها في نفس الوقت تدفع مرتكبها نحو العجرفة والكبرياء ، لذلك جاءت القائمة تصفهم هكذا : [مفترين ، مبغضين لله ، ثالين ، متعظمين ...] ع ٣٠ يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [أما التشاغل مع الخطية فطامة كبرى ... إن كان الذي يعمل صلاحاً يفقد تبعه إن إنتفخ فكم يكون إثم الذي يضيف إلى خطاياه خطية التشاغل ؟ لأن مثل هذا لا يقدر أن يمارس التوبة ^(٥٦)] .

و — إن تأملنا هذه القائمة من الآثام والشرور نشعر أن البشرية إذ سلمت نفسها بنفسها للعصيان ومقاومة الله مصدر حياتها وتقديسها صارت ملهى للخطايا ، كل خطية تلهو بالانسان لتلقى به في أيدي خطايا أخرى وهكذا يصير أضحوكة كل الآثام والشرور ؛ ويمكننا هنا في شيء من الإختصار أن نورد ترتيب هذه القائمة هكذا :

* يبدأ الإنسان يلهو بلذة الجسد فيستسلم للزنا (ع ٢٩) .

* إذ يتفوق الإنسان حول لذته الجسدية يطلب ما هو لذاته حتى وإن بدى في الظاهر سخياً ومبذراً ، لكن يملكه حب الطمع ، الأمر الذى يدفعه أيضاً إلى الخبث لتحقيق غايته هذه (ع ٢٩) .

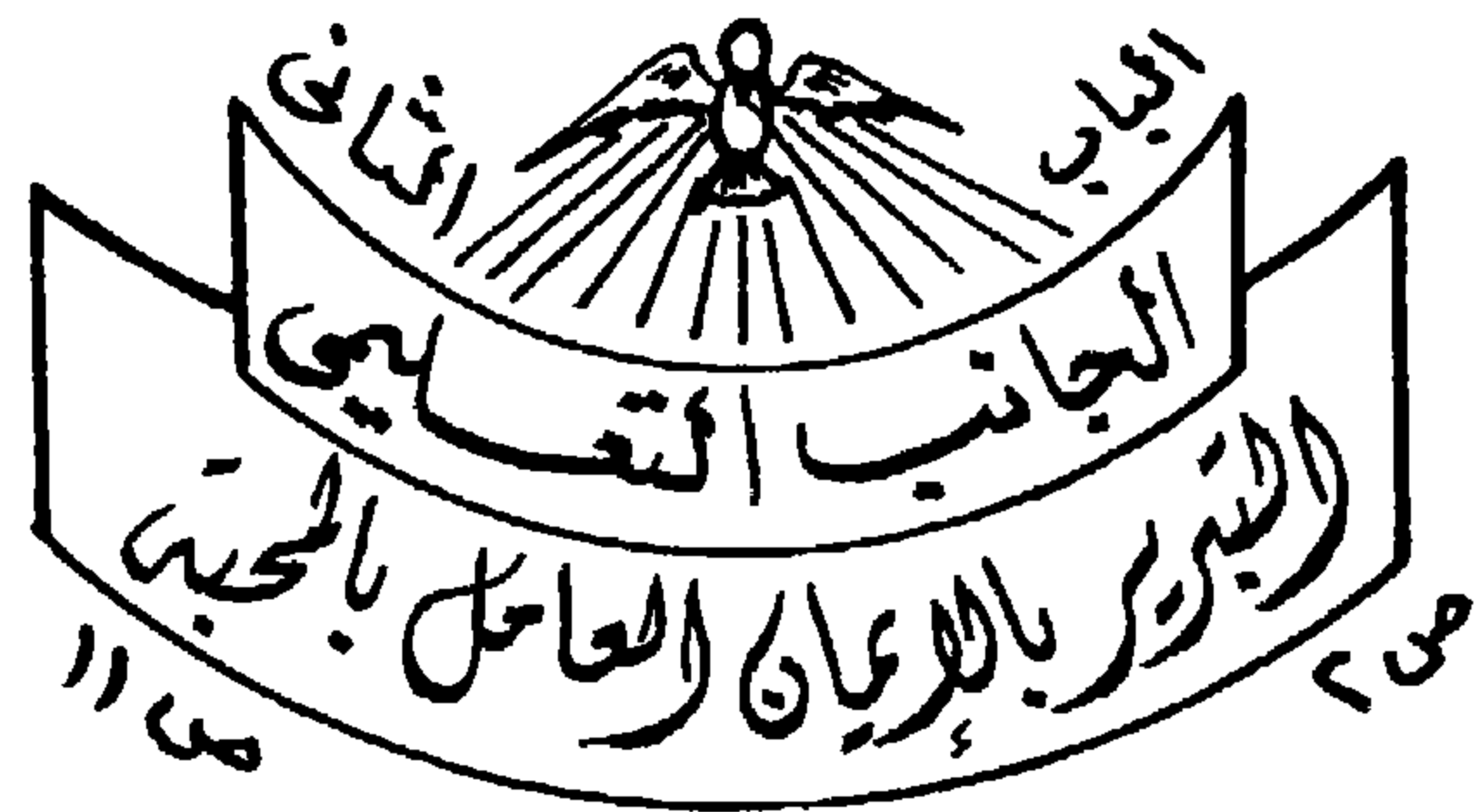
* أما الطمع فيسبب حسداً وخصاماً ومكراً وربما يؤدي إلى القتل (ع ٢٩) .
* هذا الحسد والمكر يدفع الانسان إلى الاعتداد بذاته فيصير متعاضداً (ع ٣٠) .

* حب العظمة ينحرف بالانسان الى الابتداع وترك الحق (ع ٣٠) .
* رفض الحق يدفع الانسان إلى تعدى الطبيعة فيصير غير طائع للوالدين (ع ٣٠) .

* إذ يتعدى الانسان حتى أبسط نوااميس الطبيعة يفقد الفهم (ع ٣١) ، ويكسر كل عهد طبيعى أو مكتوب ، ويخسر طبيعة الحب والحنو (ع ٣١) ، وبهذا يسقط تحت تحذير الرب : « لكثرة الإثم تفتت الحبة » مت ٢٤ : ١٢ ، فيصير أبشع من الحيوانات المفترسة التى تتحد معاً كجماعات بحكم الغريزة أما الانسان فيكره أخاه .

ز — فى هذا الإنحدار البشرى إلى ماهو أدنى من الطبيعة تبلدت القلوب البشرية فلم يستكينوا للشر فحسب وانما صاروا يفرحون بمن يسقط مثلهم ، إذ يقول الرسول : « الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت لا يفعلونها فقط بل أيضاً يسرون بالذين يعملون » ع ٣٢ .

ط — يلاحظ فى هذا السفر بوجه عام انه اذ يتحدث عن الأمم يعلن دور الناموس الطبيعى بكونه — كما يقول العلامة ترقليان ^(٥٧) — ناموس الله الذى يسود العالم منقوشاً على لوحى الطبيعة ، لذلك يقول الرسول : « لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو فى الناموس ... » ٢ : ١٤ . وفى هذا الأصحاح يتحدث عن الأمم فى شر ككاسرى ناموس الطبيعة الذين « يفعلون ما لا يليق » ١ : ٢٨ ، كأن تستبدل الإناث « الاستعمال الطبيعى بالذى على خلاف الطبيعة » ١ : ٢٦ . وعندما يتحدث الرسول عن التزام المرأة بغطاء الرأس اثناء الصلاة ، يقول : « أم ليست الطبيعة نفسها تعلمكم ... ؟ » ١ كو ١١ : ١٤ . فالمسيحى اذن ملتزم بناموس الطبيعة ، بل ويسمو ليبلغ لا الى تكميل الناموس الموسوى بل الوصية الانجيلية العاليه .



٢ - ١٠ . .

١ - اليهودى وبرّ الله

حاجة اليهودى للخلاص (٢)

الإتكالى على أبوة ابراهيم (٤ - ٦)

الإتكالى على بر الناموس (٧ ، ٨)

الإتكالى على الاختيار (٩ ، ١٠)

٢ - الأئمة وبرّ الله

١١ .



إن كان الأعمى قد سقط في شرور كثيرة ونجاسات ، مقاوماً الناموس الطبيعي ، فانه لا يليق باليهودي أن يدينه ، لأن الأول أخطأ بدون الناموس المكتوب أما الثاني فبالناموس تعدى الوصية ، وكأنه لم يخطيء فقط ولكنه أيضاً « تعدى » فصارت مسئوليته أعظم وعقابه أشد . وهذا فإن الناموس لا يبرر من يسمعه بأذنيه وإنما من يمارسه ويحفظه ويحياه (ع ١٣) . اليهودي ليس يهودياً في الظاهر (ع ٢٨) ، ولا الختان في اللحم ختانياً ، إنما اليهودي من عاش بالحق رجل الله الروحي وكان قلبه لا جسده مختوناً بالروح .

هذا ما أوضحه الرسول في هذا الأصحاح ، وهو حديث نافع لنا نحن كمؤمنين ، لأنه ان كان اليهودي الظاهر يُدان على حرفيته القاتلة بدون روح فبالأولى المسيحي إن تمسك بالشكل والإسم دون الحياة يكون أشر من اليهودي وابشع مستهيناً بالدم الكريم .

هذا الحديث يمس بالاكثير حياة الخدام والرعاة اذ يقدم تحذيراً لهم لئلا يسحبهم المجد الزمني وتلهيهم الكرامات عن الحياة الداخلية الملتزمة بالروح والحق .

- | | |
|-----------------------------|-----------|
| ١ — الناموس وإدانة الآخرين | ١ — ١١ . |
| ٢ — الناموس والحياة العملية | ١٢ — ١٦ . |
| ٣ — الناموس والتعليم | ١٧ — ٢٩ . |

+ + +

١ - الناموس وإدانة الآخرين

يعالج الرسول بولس موضوع إعتداد اليهودى بنفسه لأنه مستلم الناموس دون سواه من بقية الأمم ، ولم يدرك أن الناموس هو مرآة تفضح الخطية وتكشف عن الضعف . للأسف بدلاً من أن يستخدمه اليهودى لإكتشاف ضعفاته فيصرخ إلى الله بالتوبة طالباً عمل المخلص ، تقسى قلبه مستخدماً الناموس لفضح خطايا الآخرين . هكذا بدلاً من أن يدخل به الناموس إلى التوبة إغتصب مركز الديان وأقام نفسه لمحاكمة الآخرين تحت دعوى معرفة إرادة الله ومشيئته . إستخدم الناموس لطلب المتكئات الأولى ليقم نفسه دياناً للغير .

إدانة الآخرين هى فى ذاتها إعلان عن التعب الداخلى ، كما فعل اليهود عندما أمسكوا بالزانية فأرادوا أن يتشفوا فيها برجمها ، أما الديان فستر عليها بحبه ، لكنه لم يتركها فى خطيتها ، إنما خلال محبته الحازمة أوصاها : « ولا أنا أدينك ، إذهبى ولا تخطئ أيضاً » . هكذا شتان بين تصرف الإنسان الذى يدين أخاه مع أنه مشترك معه فى الضعفات ، وبين حكم الله الذى يطيل أناته علينا لعلنا نتوب فنفلت من الدينونة .

هكذا يربط الرسول بولس بين إدانتنا نحن للآخرين وإدانة الله الديان لنا ، مبرزاً النقاط التالية :

أولاً : إذ نقيم أنفسنا ديانين للإخوة ونحن مشتركون معهم فى الضعف ، نحكم على أنفسنا بأنفسنا خلال حكمنا على الغير ، إذ يقول : « لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان كل من يدين ، لأنك فى ما تدين غيرك تحكم على نفسك ، لأنك أنت الذى تدين تفعل تلك الأمور بعينها ... أفنتظن هذا أيها الإنسان الذى تدين الذين يفعلون مثل هذه وأنت تفعلها أنك تنجو من دينونة الله ؟ ! » ع ١ ، ٣ .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [كأن منطقته يعلن : يامن تدين الزانى وأنت نفسك ترتكب ذات الخطية ، ألسنت تدين نفسك بنفسك ، حتى وإن لم يدنك أحد ؟ ... إن كنت تعاقب إنساناً يرتكب ذنباً أقل منك فكيف لا يأخذك الله بجريرتك ويدينك بقسوة خاصة وأنت تحكم على نفسك بنفسك ؟ ! ^(٥٨)] .

ثانياً : بحكمك على أخيك ليس فقط تحكم على نفسك بذات تصرفك ، وإنما غالباً ما تخطيء أنت في الحكم لأنك تحكم حسب الظاهر ولا تعرف أعماق الآخرين ودوافعهم ، أما الله فيحكم عليك بحق ، لأنه عالم بكل أسرارك ... بمعنى آخر حتى إن حسبت نفسك أبر من أخيك فتحكم عليه وتدينه ، فغالباً ما يكون هذا الحكم ظالماً ، أما الله فهو وحده يدين البشر عن حق ، إذ يقول الرسول : « ونحن نعلم أن دينونة الله هي حسب الحق على الذين يفعلون مثل هذه » ع ٢ .

هذا وقد أبرز الرسول بولس سمات دينونة الله التي تختلف تماماً عن ادانتنا نحن للآخرين ، ألا وهي :

- أ — انه « حسب الحق » ع ٢ ، لأنه هو « الحق » عينه .
- ب — انه لا يود العقوبة إنما في غنى لطفه وامهاله وطول اناته يود ان « يقتادك إلى التوبة » ع ٤ .
- ج — انها عادلة (ع ٥) .
- د — « سيجازي كل واحد حسب أعماله » ع ٦ .
- هـ — بدون محاباة (ع ١١) .
- د — ليست حسب ما يعلمه الانسان بل حسب ما يعمل ويحيه (ع ١٣) .
- ز — يدين الأعماق الداخلية للضمير والفكر ، سرائر الناس (ع ١٥ ، ١٦) .
- ط — حسب حقيقة الإنسان الداخلي لا مظهره كمتدين أو كمعلم (ع ١٧ — ٢٩) .

ثالثاً : أخطأ اليهود خاصة قادتهم من الكتبة والفريسيين أولاً بتحويل الناموس لا إلى مجال للحياة والعمل الروحي وإنما لنقد الناس وادانتهم بروح العجرفة والكبرياء ، وثانياً بكونهم إذ ادركوا لطف الله وطول اناته اساءوا استخدام هذه المعرفة . بمعنى آخر بينما هم يقسون على الآخرين ويدينونهم إذا بهم يستهينون بحب الله وصلاحه ، إذ

يقول الرسول : « أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة » ع ٤ ... لكن طول أناة الله علينا بالرغم من تسرعنا نحن في الحكم على الآخرين لا يعنى إعفاءنا من العقاب إنما حفظه للوقت المعين . « ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة ، الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله » ع ٥ ، ٦ .

الله يطيل أناته لعلنا نتوب فإن تمسكنا بالشر زاد العقاب حيث يمتلىء كأس شرنا ، لهذا يرتعب الآباء من عدم التأديب في هذا العالم حاسيين أن عدم تأديبنا هنا إنما يحمل غضب الله في يوم الدينونة عوض العلاج الخفيف والسريع في هذا العالم بالتأديبات الزمينة ^(٥٩)

+ ليت الذين يحبون حنوه يهابون أيضاً حقه (عدله) ، فإن « الرب صالح (حلو) ومستقيم (حق) » مز ٢٥ : ٨ .

إنك تحب فيه أنه صالح (حلو) ، فلتخشه بكونه الحق ...
الرب لطيف ، طويل الأناة ، حنان ؛ وهو أيضاً البار والحق .
منحك فرصة للإصلاح ، لكنك تحب تأجيل الدينونة أكثر من إصلاحك
طرقك . هل كنت بالأمس شريراً ، فلتكن اليوم صالحاً !

القديس أغسطينوس ^(٦٠)

+ كثيراً ما أحدثكم عن صلاح الله ، لا لتستهينوا به وتفعلون ما هو على هواكم ، وإلا صار صلاحه هذا مؤذٍ لخلاصنا ، وإنما لكى لا نياس من خطايانا بل نتوب .
صلاح الله يقودك للتوبة لا لصنع شر أعظم ، فان فسدت بسبب صلاحه تهين الله أمام الناس .

+ طول الأناة تقدم لنا منافع فان لم نستفد منها نسقط تحت دينونة أشد .

القديس يوحنا الذهبي الفم ^(٦١)

+ [عدم إستخدام الله طول أناته تارة وحزمه تارة أخرى لتوبة الأشرار ، كما يستخدم أحياناً التأديب وتارة الرحمة لحساب الصالحين :]

طول أناة الله تدعو الأشرار للتوبة ، كما أن تأديب الله يدرّب الصالحين على الإحتمال .

أيضاً رحمة الله تحتضن الصالحين لتثقيفهم كما أن حزم الله يصدّ الأشرار بسقوطهم تحت العقوبة

القديس أغسطينوس (٦٢)

بمعنى آخر إن كان الانسان يميل بطبعه إلى القسوة على أخيه ، حتى إن قدم الله له كل حب وطول أناة يدين الغير ويعنفه ، فان الله على النقيض يود خلاص الجميع ويطيل أناته لعل الكل يرجع إليه بالتوبة .

لعله أيضاً أراد أن يؤكد ان الله ان كان يطيل اناته عليهم فليس ذلك علامة رضاه عنهم وإنما علامة صلاحه ينتظر توبتهم .

رابعا : إن كان الله هو الديان ، لكننا نحن الذين « نذخر لأنفسنا غضباً » ... إذ يريد الله الرحمة مقدماً كل وسيلة لعلنا نقتنيها ، أما الإنسان غير التائب فيحفظ لنفسه الغضب . يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [لاحظوا دقة التعبير : « تذخر لنفسك غضباً » ، موضحاً ان الدينونة لا تصدر عن الديان إنما هي نتيجة لعمل الخاطي ، إذ لا يقول « يذخر الله لك » وإنما « تذخر لنفسك » ... إنه يحاول اجتذابك بكل وسيلة ، فان ظللت على عنادك تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة . ولكن لا يتبادر إلى ذهنك أن غضبه إنفعال عنيف إنما هو العدالة ، هو « إستعلان » ، حيث ينال كل إنسان ما يستحقه (٦٣)] .

خامساً : إذ يتحدث عن دينونة الله للبشر يبدأ أولاً بالحديث عن الصالحين الذين يكافئون بالحياة الأبدية ، وبعد ذلك يتحدث عن الذين يسقطون تحت الغضب ، إذ يقول : « وأما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية ، وأما الذين هم من أهل التخرب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للإثم فسخط وغضب ، شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر اليهودي أولاً ثم اليوناني . مجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح اليهودي أولاً ثم اليوناني » ع ٧ - ١٠ .

كأن الله يود أن يتمتع الكل بنوال الحياة الأبدية خلال صبرهم في العمل الصالح ، فينالون مجداً وكرامة وخلوداً مع سلام أبدي ، لذلك بدأ بهذه الفئة ، أما الفئة الثانية التي تسقط تحت السخط والغضب التي تن من الشدة والضيق فهي تحكم على نفسها بهذا خلال إطاعتها للإثم ، الأمر الذي يود الله ألا يسقط أحد تحته . في هذا يختلف حكم الله على حكم الناس ، الله يتطلع أولاً إلى الصالحين والأمور الصالحة ، أما الإنسان فينظر الشر أولاً ويحكم سريعاً على الآخرين متطلعاً بالأكثر إلى عيوبهم .

لاحظ القديس إيريناؤس ان الرسول بولس قد ركز على حرية الإرادة الإنسانية في هذه الرسالة (رو ٢ : ٤ ، ٥ ، ٧) ، [لذلك يعطى الله خيرات للذين يعملون الصالح — كما يقول الرسول — فينالون المجد والكرامة لأنهم يمارسون العمل الصالح مع أنه كان في سلطانهم ألا يفعلوه فيسقطون تحت حكم الله العادل ^(٦٤) .

سادساً : يؤكد الرسول أن الله في حكمه لا يحايى : « لأن ليس عند الله محابة » ع ١١ ، فإن كان يكافىء اليهودى أولاً سواء في الخير أو الشر ، فلأن الله يدين بالأكثر من نال معرفة أوفر أو إحتمل مركز القيادة والخدمة . وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [من العدل أن من يستمتع بنصيب أوفر من المعرفة ينال نصيباً أشد من العقاب إن تعدى الناموس . ومن ثمة يكون عقابنا أشد كلما إزددنا في الحكمة والسلطان . إن كنت غنياً يُطلب منك العطاء أكثر من الفقراء ، وإن كنت صاحب حكمة أوفر تلتزم بالطاعة أكثر من غيرك ، وإن نلت سلطاناً يلزمك تقديم أعمال أكثر بهاء ^(٦٥)] .

المحابة هي من سمات البشر ، الذين ينحرفون عن الحق في الحكم مراعاة لحسب الإنسان أو نسبه أو غناه أو طلباً لمنفعة ما ، إذ يقول الرسول : « يحابون بالوجوه من أجل المنفعة » به ١٦ ؛ وقد كان ذلك محظوراً على القضاة (لا ١٩ : ١٥ ، تث ١٠ : ١٧) . يحذرنا الرسول يعقوب منها ، قائلاً : « لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح رب المجد في المحابة » يع ٢ : ١ ، أما فيستحيل أن يحايى أحداً (أف ٦ : ٩ ، كو ٣ : ٢٥) . وقد ظهر عدم محابة الله على الصليب ، إذ « هكذا أحب الله العالم (بلا محابة) حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل

من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » يو ٣ : ١٦ ، كما يقول الرسول : « الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين » رو ٨ : ٣٢ .

٢ — الناموس والحياة العملية

تحول الناموس فى حياة اليهود عن غايته الإلهية ، فعوض أن يكون علة إدراكهم لخطاياهم وشعورهم بالحاجة إلى عمل الله الخلاصى ، تحول إلى تشاغل وكبرياء بأنهم عارفوا الحق ومعلموه ، فصاروا ديّانين للأمم ، الأمر الذى أسقطهم هم تحت دينونة الله . إذن فالناموس ليس غاية فى ذاته ، إنما يليق أن نحتضنه ونحفظه لا خلال المعرفة الفكرية النظرية وإنما خلال معرفة الحياة العملية والخبرة المعاشة يومياً ، فيصير علة تكليلنا ، لهذا يقول الرسول :

أولاً : « لأن كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك ، وكل من أخطأ فى الناموس فبالناموس يُدان » ع ١٢ .

الناموس ليس مجالاً للإفتخار بل للعمل ، فإن كان الناموس يهب معرفة لوصية الله وإرادته يلتزم أصحاب الناموس أن يمارسوا الوصية وإلا سقطوا بالناموس تحت الدينونة ، فيصيروا ليس كالأمميين الذين يخطئون بدون الناموس فيهلكون وإنما أشر منهم لأنهم يخطئون بمعرفة وهم تحت الناموس . وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [هنا لا يُظهر المساواة بين اليهودى والأممى فحسب وإنما يوضح كيف أثقل الناموس كاهل اليهودى . لأن الأممى يُدان بدون الناموس ؛ هنا « بدون الناموس » تعبير عن تخفيف للعقوبة ، إذ لا يقف الناموسى شاهداً عليه ... إنما ينال جزاءه بناءً على منطق الطبيعة والعقل . أما اليهودى فيُدان بالناموس ، أى تكون محاكمته بالطبيعة والمنطق وبجانبهما الناموس ، لأن ما ناله من عناية يزيد من مسؤوليته . تأملوا إلى أى مدى يجعل اليهودى يسرع بالضرورة نحو النعمة يستنجد بها . لأنهم إن إحتجوا بأنهم يكتفون بالناموس بلا حاجة إلى النعمة يظهر لهم أنهم فى حاجة إلى النعمة أكثر من الأمميين ، لأنه بالناموس يكون عقابهم أشد ^(٦٦)] .

يقول القديس أغسطينوس : [الذين لم يسمعوا الكلمة (كلمة الانجيل) يدانون بطريقة غير التى يُدان بها الذين يسمعونها ويستخفون بها ^(٦٧)] .

يقول أيضاً^(٦٨) ان الذين هم بلا ناموس يهلكون ، الأمر الذى له صدهاء المرهب ، أما الذين تحت الناموس فيدانون بمعنى انهم بلا عذر ، وتكون دينونتهم هى الهلاك ... بهذا فدينونتهم أصعب .

ويقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [لا تكون العقوبات واحدة فى كل الخطايا بل هى متعددة ومتنوعة حسب الأوقات والأشخاص ورتبهم وفهمهم وظروفهم ... فإن إرتكب كاهن زناً تكون عقوبته مضاعفة جداً بسبب الكرامة التى نالها^(٦٩)] .
ولعل الرسول قصد بذلك سقوط الكل تحت الدينونة — الأمم واليهود — ليعلن حاجة الكل إلى الخلاص .

ثانياً : من يُخطئ فى الناموس تكون عقوبته أشد لأن الناموس أو المعرفة تشهد عليه فى يوم الدين ، لذلك فالناموس لا يبرر الإنسان لمجرد سماعه أو حفظه وإنما بتنفيذه كله ، الأمر الذى يحسب مستحيلاً على البشر . « لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون » ع ١٣ .

لاحظ دقة حديث الرسول بولس ، إذ يقول : « هم أبرار عند الله » ، فإن كثيرين يسمعون الناموس ويتلونونه على لسانهم فيتبررون أمام الناس كمتدينين ، لكن الله لا يدين الإنسان حسب مظهره وإنما حسب برّ قلبه الداخلى . فبسماعنا للوصية يمكننا أن نخدع إخوتنا وربما أنفسنا لكن هل نقدر أن نتبرر أمام الله ؟

لقد طالبت الشريعة بالطاعة الكاملة (تث ٤ : ١ ، لا ١٨ : ٥) ، وهو أمر مستحيل إذ لا يوجد انسان بلا خطية ... إذن فالحاجة ماسة إلى الذى يبرر .

ثالثاً : فى الوقت الذى فيه أظهر الناموس كثقل على اليهودى ، إذ يكون شاهداً عليه يوم الدين ، معلناً أن الاستماع له بالأذن دون القلب والعمل لن يبرره أمام الله ، رفع من شأن الأسمى الذى لم ينل الناموس المكتوب وإنما خلال الطبيعة جاهد ليمارس ما جاء فيه ، إذ يقول : « لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو فى الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم ، الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً فى قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة ، فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي

يسوع المسيح « ع ١٤ - ١٦ .

يلق القديس يوحنا الذهبي الفم ، قائلاً :

[كأنه يقول : أنا لا أرفض الناموس ، لكنني بسببه أبرر الأئمين ... مظهراً أنهم خير منهم بل يمتازون عنهم بعملهم الصلاح مع أنهم لم يأخذوا الناموس الذى يتشاخ به اليهود . فى هذا كان الأئمين جديرين بالإعجاب إن تمموا صلاح الناموس بأعمالهم لا بكلمات سمعوها ... أنظروا إذن كيف يلوم اليهود هكذا هادماً غرورهم ، مظهراً أن الأئمين الذين سعوا بإجتهد لإتمام الناموس — مع أنهم بدون الناموس — هم أولى بالكرامة منهم . هنا تزداد عجباً بحكمة الرسول الذى أظهر تفوق الأئمة على اليهودى دون أن ينطق بذلك صراحة ^(٧٠)] .

[ولكى يزيد من مخاوفهم لا يكتفى بالقول : « خطايا الناس » بل يقول : « يدين الله سرائر الناس » ، كى لا تظن انه فى مقدرك الهروب من دينونة الله ... لأن الناس يقيمون القضاء لمحاكمة الأعمال العلنية (أما الله فيدين السرائر) ... إذن ليدخل كل إنسان إلى أعماق ضميره ويحاسب نفسه بكل تدقيق ، « لكى لا ندان مع العالم » ١ كو ١١ : ٣٢ ، لأن تلك المحاكمة رهيبه ، وذلك الكرسي مخوف ، والحساب يكون مرعباً ، لأن « الأخ لا يفدى » مز ٤٩ : ٨ ... ماذا يكون شعورنا حينما نقف أمام العالم بأسره وتعلن كل سرائرنا فى مسرح مُضاء فسيح يضم من نعرفهم ومن لا نعرفهم ؟ ! ^(٧١)] .

ويرى ابن كاتب قيصر انه يقصد بالأئمة الذين إرتفعوا — بحياتهم مع الله — فوق اليهود هم « الآباء السابقون » قبل إستلام الناموس الموسوى على يدى موسى مثل إبراهيم وأيوب ويوسف ؛ آمن إبراهيم بالله وقدم ابنه ذبيحة محرقة ، وقرب أيوب عن بنيه ذبائح خشية أن يكون أحدهم قد نطق بكلمة باطلة أو أضمر فى داخله ما يغضب الله (أى ١ : ٥) ، ويوسف مارس حياة الطهارة ممتنعاً عن الشر لئلا يخطئ قدم الرب (تك ٣٩ : ٥) ... [هؤلاء عملوا بالطبيعة ما بالناموس ولم يحتاجوا إلى ناموس مكتوب ، إذ لم يدعوا نياتهم تبكتهم بل عملوا بما توجهه من الصلاح وتركوا ما تنكره من القبائح ، وهم فى هذا ليسوا مثلنا نحن الذين تبكتنا نياتنا وكتبتنا] .

يعلق أيضا ابن كاتب قيصر على العبارات السابقة موضحاً أن أفكارهم مشتكية (ع ١٥) بمعنى انها توبخهم إن فعلوا أمراً غير حسن ، إذ كانت تقوم مقام الناموس .

ويرى الأب سيرينوس في هذه العبارة تأكيداً لسلطان الإنسان على فكره ، وإلا ما كانت أفكارنا وضمائرنا تشتكي علينا ، إذ يقول : [فإذا ما جاهدنا كبشر ضد الإضطرابات والخطايا ، تصير هذه تحت سلطاننا وفق إرادتنا ، فنحارب أهواء الجسد ونهلكها ، ونأسر حشد خطايانا تحت سلطاننا ، ونطرد من صدورنا الضيوف المرعبين ، وذلك بالقوة التي لنا بصليب ربنا ، فنتمتع بالنصرة التي نراها في مثال قائد المئة (مت ٨ : ٩) روحياً ^(٧٢)] .

ويرى الأب يوسف في هذه العبارة إعلاناً عن [أن نية الإنسان هي التي تجعله يكافأ أو يُعاقب ^(٧٣)] .

ويعلق العلامة أوريجانوس على التعبير : « حسب إنجيلي » ع ١٦ ، قائلاً : [الآن ليس لدينا عمل كتابي لبولس يدعى إنجيلاً ، وإنما كل ما كرر به وما قاله هو الإنجيل ؛ وما كرر به وما قاله كان أيضاً في حكم المكتوب ؛ وما كتبه كان الإنجيل . وإن كان ما كتبه بولس إنجيلاً فإن ما كتبه بطرس أيضاً هو إنجيل ؛ وفي كلمة كل ما قيل أو كتب ليخلد معرفة حلول المسيح على الأرض وبهيبه لمجيئه الثاني أو ليقدم ذلك كحقيقة قائمه في تلك النفوس التي تريد أن تتقبل كلمة الله الواقف على الباب يقرع ويطلب أن يدخل فيها ^(٧٤)] .

٣ — الناموس والتعليم

في الأصحاح السابق عرض الرسول بولس لشُرور الأمم مؤكداً حاجتهم لنعمة الله المجانية لكي تسندهم وتدخل بهم إلى خلاص الله ، أما في هذا الأصحاح فإذا يوجه الحديث لليهود يكشف لهم انهم أكثر إحتياجاً إلى النعمة الإلهية من الأمم — إن صح هذا التعبير — فإن الناموس الذي وُهب لهم لمعاونتهم استخدموه في إدانة الآخرين لا في توبتهم ، وعوض العمل به اكتفوا بالاستماع إليه ، الأمر الذي جعل بعض الأميين المجاهدين داخلياً في ممارسة الحياة النقية يسبقونهم ، إذ فعلوا خلال طبيعته والمنطق

بما هو في الناموس ، فظهر الناموس مكتوباً في قلوبهم وضميرهم وأفكارهم بينما بقي أصحاب الناموس يسمعون له بأذانهم دون قلوبهم أو سرائرهم الداخلية ... والآن لكي يوضح الرسول بشاعة ما بلغ إليه اليهود ، يعلن انهم عوض أن يكرزوا بالناموس حياً في حياتهم صاروا معلمين به بالكلام ومقاومين له بالعمل ... حسبوا أنفسهم قادة الفكر الروحي ونوراً للعالم ومهذيين للأغبياء ومعلمين للأطفال لهم صورة العلم والحق في الناموس بينما تقدم حياتهم وسلوكهم خلاف هذا تماماً .

وبلاحظ في هذا الحديث الآتي :

أولاً : يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الرسول بولس يستخدم أسلوباً يناسبهم كأناس يدعون العلم والمعرفة وقيمون أنفسهم كمعلمين للعالم ، يتكلمون بالكل ويسخرون بهم ، إذ يقول :

[إنه لا يقول : « هوذا أنت يهودي » ، إنما « هوذا أنت تسمى يهودياً » ، « وتفتخر بالله » ع ١٧ ، أى تظن أنك محبوب لدى الله ومكرم فوق جميع الناس . يخيل إليّ أنه هنا يسخر برفق بقلة منطقهم وجنون شهوتهم وراء المجد إذ أساءوا استخدام هذه العطية ، فعوض استخدامها كوسيلة لخلاصهم جعلوها علة للتشايخ على الآخرين والإزدراء بهم ... كما يقول : « تثق أنك قائد للعميان » ، وهنا أيضاً لا يقول : « أنت قائد » بل « تثق أنك قائد » بمعنى أنك تنتفخ ، وهذا لأن كبرياء اليهود كان متشامخاً جداً . يستخدم معهم ذات الكلمات المتداولة بينهم والتي كانوا يرددونها في زهوهم . إسمعوا ما يقولونه في الإنجيل : « في الخطية وُلدت أنت بجملتك وأنت تعلمنا » يو ٩ : ٣٤ . بهذا الاستخفاف المتعالى كانوا يتطلعون إلى جميع الناس ^(٧٥)] .

[يستخدم الرسول ذات كلماتهم : « قائد للعميان ، ونور للذين في الظلمة ، ومهذب للأغبياء ، ومعلم للأطفال » ، الألفاظ التي كان اليهود يطلقونها على من يتعلمون لهم . تكراره هنا للعبارات هدفه أن يدركوا أن ما زعموه ميزة يفتخرون به هو علة دينونتهم بالأكثر ^(٧٦)] .

ثانياً : إن كان يليق بالمعلم الروحي أن يكون بالحق قائداً للعميان ونوراً للذين في الظلمة ومهذباً للأغبياء ومعلماً للأطفال ، لكنه لا يمارس هذا بذاته بل بالله نفسه

الذى يعمل فى خدامه ، إذ يدخل إلى قلوب المخدمين فيقودها بنفسه ويضيء فى داخلها ويهذبها ويدربها كأطفال صغار . وقد جاء السيد المسيح متجسداً ليقوم بهذا الدور التربوى الروحى ، لا خلال تقديم وصايا فحسب وإنما تغيير القلب وتجديده على الدوام .

+ معلم الأطفال الكامل صار طفلاً بين الأطفال لكى يهب حكمة للأغنياء .
القديس كيرلس الأورشليمى (٧٧)

ثالثاً : لا يقف الرسول عند استخدام ذات تعبيراتهم لتوبيخهم لأنهم إحتلوا مركز المعلمين للعالم الوثنى وهم لا يمارسون شيئاً مما يعلمون به وإنما انتقل بهم إلى إتهامهم انهم يهينون الله نفسه الذى يظنون أنهم يعلمون الآخرين عنه . إذ يقول : « فأنت إذن الذى تعلم غيرك ألسنت تعلم نفسك ؟ ؟ الذى تركز ألا يُسرق أتسرق ؟ ! الذى تقول أن لا يُزنى أتزنى ؟ ! الذى تستكره الأوثان أتسرق الهياكل ؟ ! الذى تفتخر بالناموس أبتعدى الناموس تهين الله ؟ ! ع ٢١ - ٢٣ .

اهتم معلموا اليهود بالوعظ دون الحياة ، ففقدت الكلمة قوتها ، لهذا بحث الرسول بولس تلميذه ثيموثاوس الأسقف : « كن قدوة للمؤمنين فى الكلام فى التصرف فى المحبة فى الروح فى الايمان فى الطهارة ، إلى ان أجيء اعكف على القراءة والوعظ والتعليم ... لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك ، لأنك إذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً ١ قى ٤ : ١٢ ، ١٣ ، ١٦ .

+ من يقوم بدور قيادى يلزم أن يكون أكثر بهاءً من أى كوكب منير .

القديس يوحنا الذهبى الفم

رابعاً : لا يقف الأمر عند إهانتهم لله خلال تعليمهم بشيء وسلوكهم بآخر ، وإنما يستند الرسول إلى الأنبياء ليكيل لهم إتهاماً جديداً : « لأن إسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم » ع ٢٤ (إش ٥٢ : ٥ ، حز ٣٦ : ٢٠ ، ٢٣ ، ٢ صم ١٢ : ٢٤) .

وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [اليهود لا يتوافقون على الله فحسب بل يدفعون الآخرين على ذلك ... يدفعونهم إلى التجديف (٧٨)] .

ولكى لا نسقط نحن في ذات هذا الخطأ علمنا ربنا يسوع أن نصلى قائلين : « ليتقدس إسمك » ، فانه لا يوجد حل وسط أما ان يتقدس إسم الله فينا أو يجدف عليه بسبينا .

+ إسم الله قدوس بطبيعته ، قلنا أو لم نقل ، لكنه أحيانا يتدنس بين الخطاة ... لذلك نصلى أن يتقدس إسم الله ، لا بأن يصير مقدساً كما لو كان غير مقدس ، وإنما أن يتقدس فينا عندما نتقدس نحن ونعمل ما يليق بالقداسة .
القديس كيرلس الأورشليمي^(٧٩)

خامساً : ما هي غاية اليهودى في تعليمه الأسمى ؟ أن ينزعه من الغرلة لينقله إلى أهل الختان ، ومن إنسان بلا ناموس إلى إنسان تحت الناموس . هذا الهدف يحققه اليهودى لكن في شكلية بلا روح . هذا ما أعلنه الرسول بولس كاشفاً عن نوعين من الختان ، ونوعين من الغرلة وأيضاً نوعين من الناموس . فاليهودى يهتم بنزع غرلة الجسد لا الروح ، وممارسة ختان الجسد لا الروح والاستماع للناموس والفخر به دون الحياة به عملياً . هكذا يميز الرسول بين الغرلة حسب الجسد ، والغرلة حسب الروح ، وأيضاً بالنسبة للختان ، وبين الاستماع للناموس وممارسته . فاليهودى يهتم بالجسد والمظهر الخارجى في حياته وأيضاً في تعليمه للأسمى ، لذلك يقول :

« فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس ، ولكن إن كنت متعدياً الناموس فقد صار ختانك غرلة .

إذاً إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس ، أفما تُحسب غرلته ختاناً ؟ ! وتكون الغرلة التى من الطبيعة وهى تكمل الناموس تدينك أنت الذى فى الكتاب والختان تتعدى الناموس ؟ !

لأن اليهودى فى الظاهر ليس هو يهودياً ، ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختاناً ،

بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى ، وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان ، الذى مدحه ليس من الناس بل من الله » ع ٢٥ — ٢٩ .

ويلاحظ فى هذا النص الرسولى الآتى :

أ — يرى القديس يوحنا الذهبي الفم^(٨٠) أن الرسول يشبه قاضياً يريد أن يصدر حكماً على أشخاص ذوى رتب ، فكان يليق به أولاً أن يجردهم من رتبهم وعندئذ يحكم عليهم ، هكذا جرد الرسول اليهود من ميزاتهم إذ كشف عن حقيقة أمرهم أنهم غير مختونين بالروح ولا متمتعين بالناموس روحياً إنما يعيشون في غرلة روحية رغم ختانهم بالجسد ... هكذا جردهم لكي يعلن دينوتهم .

بهذا لم يقلل الرسول من شأن الختان ، ولا أعطى للغرلة فوزاً على الختان ، إنما أوضح ان مختون الجسد قد يكون في غرلة من جهة الروح ، وأيضاً من في غرلة الجسد قد يكون مختوناً في الداخل روحياً ؛ وهكذا قد يصبح الختان غرلة والغرلة ختاناً !

+ كيف يصير الإنسان في غرلة بعد أن يُختتن ؟ ! يقول (الرسول) ليته لا يكون هكذا ؛ ليته لا يعيش كما لو كان أغلف ، أى كما لو كان قد اكتسى مرة أخرى باللحم الذى قُطع منه ، فلم يعد يهودياً .

القديس أغسطينوس^(٨١)

+ يتفق هذا مع قوله : « دُعِ أحد وهو مختون فلا يصر أغلف » ١ كو ٧ : ١٨ . لقد كان يهودياً ودعي مختوناً فليته لا يشاء أن يصير أغلف ، أى لا يعيش كمن هو ليس مختوناً .

القديس أغسطينوس^(٨٢)

+ عندما يخطئ اليهودى يصير ختانه غرلة ، وعندما يعمل الأممى باستقامة تُحسب غرله ختاناً . فالأمور التى يظن انها طاهرة تُحسب دنسة بالنسبة لمن لا يستخدمها بلياقة ...

العلامة أوريجانوس^(٨٣)

لقد سبق فتحدث أرميا النبي بوضوح عن ختان القلب والأذن ... الأمر الذى نرجو ان نعود إليه في تفسيرنا لسفر أرميا إن شاء الرب .

ب — يرى العلامة أوريجانوس في تعليقاته على إنجيل متى أن هذا النص الرسولى يود أن يوضح بأن اليهودى الحقيقى — ليس حسب الجنس وإنما بالروح كرجل الله —

هو ذاك الذى يُنتسب للسيد المسيح ، إذ يقول ان كلمة « يهود » جاءت منتسبة ليهوذا بن يعقوب ، لكنها الآن بالروح تخص من ينتسب لذاك الذى تجسد من سبط يهوذا ... هذا هو اليهودى فى الخفاء الذى له ختان القلب بالروح .

بنفس المعنى يقول البابا غريغوريوس (الكبير) : [الآن أسأل : ما هو إسرائيل اليوم ؟ يجيب الرسول : الذين يسلكون بالروح لا بالحرف ، يسلكون فى ناموس المسيح ، هم إسرائيل الله ^(٨٤)] .

أما سمة هذا اليهودى الروحى أو إسرائيل الجديد فهى : « الذى مدحه ليس من الناس بل من الله » ع ٢٩ . وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [لست أمنعك من شهوة المجد إنما أور لك المجد الحقيقى النابع عن الله ... لنكن أتقياء فى الخفاء ، لا أن نتثقل بالاستعراضات والمظاهر والرياء . لنخلع بالحرى ثياب الحملان ولنكن بالحقيقة حملان . ليس شئ أتفه من المجد البشرى . إن رأيت أطفالاً صغاراً ، رضّع ، فهل تشتهى مجداً منهم ؟ ! هذا هو الحادث بالنسبة لكل البشر بخصوص المجد ، لهذا دعى « المجد الباطل » ^(٨٥)] .



بعد عرض الرسول لعلاقة البشرية بالله إنتهى إلى هذا الأصحاح ليعلن أنه وإن
اختلفت خطايا البشر عن بعضهم البعض ، لكن النتيجة واحدة ، وهى سقوط
الكل تحت نير الخطية ، أى إعلان أن الكل غير بار ويحتاج إلى تبرير حقيقى فعّال .
بمعنى آخر جاء هذا الأصحاح أشبه بحكم عام على البشرية كلها انها بلا برّ
حقيقى ، فى عوز إلى من يبررها .

- ١ — الإتهام : عدم أمانتنا مع أمانة الله ١ — ٨ .
- ٢ — علة الإتهام : الكل بلا برّ ٩ — ٢٠ .
- ٣ — الحكم : دينونة الكل والحاجة إلى تبرير عام ٢١ — ٣١ .

+ + +

١ — الإتهام : عدم أمانتنا مع أمانة الله

الإتهام الموجه للبشرية كلها : انها بلا برّ أى بلا أمانة فى قبول وعد الله لها بالرغم
من برّ الله فى وعده لها ؛ فى هذا يشترك اليهودى مع الأممى ، ويتساوى الكل .
هذا الإتهام قد يسيء اليهود فهمه فيحسبونه مستهيناً بما نالوه من إمتيازات ،
لذلك جاء الإتهام مفصلاً بطريقة لائقة لا تجرح مشاعرهم ، يمكن تلخيصه فى
النقاط التالية :

أولاً : إن كان الأُمِّي قد كسر الناموس الطبيعي فهلِكَ (ص ١) ، واليهودى كسر الناموس المكتوب وإستهان بالختان الروحى فسقط فى دينونة أكثر مرارة من التى يسقط تحتها الأُمِّي ... فما الحاجة إذن لإختيار الله لشعبه ؟ وتقديمه عهد الختان والناموس المكتوب ؟ هذا هو التساؤل الذى وضعه الرسول بولس فى نهاية حديثه عن ما بلغ إليه الأُمِّي واليهودى ، لكلا يظن القارىء أن بولس الرسول يستهين بنعم الله وعطاياه فى العهد القديم . لذلك يقول الرسول :

« إذا ما هو فضل اليهودى ؟ أو ما هو نفع الختان ؟ كثير على كل وجه ، أما أولاً فلأنهم أسْتَوْمنوا على أقوال الله . فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء ؟ أقلل عدم أمانتهم يطل أمانة الله ؟ حاشاً ، بل ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً ، كما هو مكتوب : لكى تبرر فى كلامك وتغلب متى حوكت ، ع ١ - ٤ .

لقد خشى الرسول أن يُساء فهم حديثه السابق ، فيظنه البعض أنه يقلل من شأن معاملات الله مع شعبه خاصة تقديمه ناموسه كعطية يؤمنون عليها ، أو اختيارهم كشعب مقدس له ، أو دخوله فى عهد معهم مقدماً الختان علامة عهد ... لذلك أسرع ليؤكد أن العيب لا فى العطية ولا فى العاطى وإنما فى عدم أمانة من تسلمها ... بمعنى آخر انه ينتقد تصرف اليهود نحو نعم الله لا نعم الله فى ذاتها ، فإن الله فى أمانته قدم عطايا إلهية ونعم مجانية مقدسة ، لكن الإنسان فى غير أمانة أساء إستخدامها وأفسد عملها فى حياته .

يعلق القديس يوحنا الذهبى الفم على عبارات الرسول هذه ، قائلاً :

[إن كان المقصود هو أن كل هذه الأشياء بلا قيمة ، فلماذا دُعى الشعب ؟ ولماذا أُقيم عهد الختان ؟

ماذا يفعل الرسول هنا ؟ وكيف يحل هذه المشكلة ؟

يحلها بنفس الطريقة التى سبق فأتبعها ، إذ تغنى بهبات الله لا بفضل اليهود ، فيكونهم يهوداً عرفوا إرادة الله وأدركوا الأمور الأسمى ، ذلك ليس بفضل عملهم الذاتى إنما هو عمل نعمة الله . وكما قال المرتل فى المزمور : « لم يصنع هكذا بإحدى الأمم

وأحكامه لم يعرفوها . وكما أعلن موسى بسؤاله : « هل جرى مثل هذا الأمر العظيم ؟ أو هل سُمع نظيره ؟ هل سمع شعب صوت الله يتكلم من وسط النار كما سمعت أنت وعاش ؟ » تث ٤ : ٣٢ ، ٣٣ . هذا ما يفعله بولس هنا ، إذ إتبع ذات الوسيلة إذ قال بأن الختان ذو نفع إن أُقترن بفعل الصلاح (رو ٢ : ٢٥) ولم يقل ان الختان بلا نفع ، لذلك تساءل : إن كنت متعدياً الناموس فقد صار ختانك غرلة (رو ٢ : ٢٥) . كأنه يقول : يامن أختنت صار ختانك غرلة ، ولم يقل : يامن أختنت ختانك بلا نفع على الإطلاق . بهذا يطيح بالأشخاص ويؤيد الناموس ؛ هذا ما يفعله هنا إذ بعدما تساءل : ما هو فضل اليهودي ؟ لم يجب بالنفي ، بل أكد فضله ليعود فيدحضهم موضحاً عقوبتهم خلال الميزات التي نالوها .

أردف السؤال بسؤال ، قائلاً : أو ما هو نفع الختان ؟
وينجيب على السؤالين ، قائلاً : « كثير على كل وجه ، أما أولاً فلأنهم أستمثوا على أقوال الله » .

ترون إذن أنه في كل مناسبة يعدد نعم الله لا أفضال اليهود .
ما معنى : « أستمثوا » ؟ معناها أن الناموس قد وُضع بين أيديهم ، لأن الله جعل لهم قيمه فأقامهم أمناء على أقواله التي نزلت من فوق . بقوله هذا يقيم شكوى ضدهم ، إذ يهدف إلى إظهار نكرانهم للفضل بالرغم من المزايا التي وهبت لهم .

يستطرد فيقول : « فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء ، أفلعل عدم أمانتهم تبطل أمانة الله ؟ حاشاً » ع ٣ ، ٤ .

لاحظوا هنا كيف يبرز الإتهام في شكل إعتراض ، وكأنه يقول : رب معترض يتساءل : ما نفع الختان إذا ماداموا قد أساءوا إستخدامه ؟ وهو لا يقف هنا موقف المشكى العنيف ، إنما موقف من يلتزم بتبرير الله من الشكاوى النائرة ضده ، فيحولها من ضد الله إلى ضد اليهود . يقول لهم : لماذا تتذمرون من أن البعض لم يؤمنوا ؟ كيف يؤثر هذا في الله من جهة عطاياه ، فهل نكران مستخدميهما يغير من

طبيعتها ؟ أو يجعل من الأمر المكرم هواناً ؟ هذا هو معنى تساؤله : « أفعل عدوهم أمانتهم يبطل أمانة الله ؟ يجيبهم : حاشا . وكأنه يقول : لقد أكرمت فلاناً ، فلم يقبل إكرامى ، فهل يُحسب عدم قبوله الإكرام علة شكوى ضدى ؟ ! أو يقلل هذا من إكرامى ؟ ...

تأملوا إذن كيف وضعهم الرسول فى قفص الاتهام خلال ذات الأمور التى ينتفخون بها ! ... لقد عمل الله ما فى وسعه أما هم فلم يعرفوا أن ينتفعوا بأعماله معهم ، إذ يردد قول المرتل فى المزمور : « لكى تتبرر فى كلامك وتغلب متى حوكت » ^(٨٦) .

[أنظروا إلى خطة بولس فإنه لم يتهم الكل بعدم الأمانة بل قال « إن كان قوم » ع ٣ هؤلاء كانوا غير أمناء ، وهكذا يبدو الرسول غير قاسٍ فى إتهاماته حتى لا يظهر كعدو ^(٨٧)] .

هكذا لم يجتقر الرسول من العطايا الإلهية سواء بالنسبة للختان كعلامة للعهد الإلهى ان فهم روحياً وأيضاً لعطية الاقوال الإلهية ، إنما يهاجم عدم أمانة الإنسان الأمر الذى لا يبطل أمانة الله .

لم يتجاهل رجال العهد الجديد عطايا الله لرجال العهد القديم ، خاصة أقوال الله ، ففي خطاب الشماس اسطفانوس جاء حديثه عن موسى النبى هكذا : « الذى قبل أقوالاً حية ليعطينا إياها » أع ٧ : ٣٨ .

فى حب قدم الله أقوالاً حية تحمل المواعيد الإلهية ، لكن الانسان قابل الحب بالجمود ، فعصى أقوال الله ، وتجاهل حفظها روحياً وعملياً بالرغم من افتخاره بها وتمسكه بحفظها فى حرفيتها ... ومع هذا يبقى الله أميناً فى تحقيق ما وعد به .

رفض الانسان اليهودى « الحق » برفضه وعود الله الواردة فى أقواله خاصة ما جاء بالنسبة للمسيا المخلص ، فحسب كاذباً ، أما الله فيبقى صادقاً يحقق ما وعد به .

هذا ويقدم لنا القديس جيروم تفسيراً روحياً لعبارة : « ليكون الله صادقاً وكل إنسان كاذباً » ع ٤ ، معلناً انه مادام الانسان يسلك بفكره وامكانياته البشرية

الذاتية انما يعيش بالكذب ، لكنه متى إلتقى بالله « الحق » وحمل سماته ويحسب ابناً لله يتعم بالحق فيه فيكون بالله صادقاً ، إذ يقول : [إنسان القداسة يصير إلهاً ، بهذا يكف عن أن يكون إنساناً يتطق بالكذب ^(٨٨)] .

ويرى القديس كبريانوس خلال ذات العبارة انه لا يليق بنا أن نياس حين نرى البعض ينحرف عن الإيمان أو يتكبر ، إنما كرجال الله نتشدد ونسلك بالحق حتى وإن سلك كثيرون بالكذب ، فمن كلماته :

[إن كان كل إنسان كاذباً والله وحده صادق يليق بنا نحن خدام الله ، خاصة الكهنة ، ماذا تفعل سوى أن تنسى الأخطاء البشرية والكذب ونستمر في حق الله ونحفظ وصايا الرب ؟ ! ^(٨٩)] .

[إختار الرب يهوذا من بين الرسل ، وقد خان يهوذا الرب ، فهل ضعف إيمان الرسل أو وهن ثباتهم لأن يهوذا الخائن قد فشل في تبعيتهم ؟ ! هكذا فإن قداسة الشهداء وكرامتهم لا تنقصان لأن إيمان البعض قد تحطم ^(٩٠)] .

[ينصحنا بولس أيضاً ألا نضطرب حين يهلك الأشرار خارج الكنيسة ، ولا يضعف إيماننا بمفارقة غير المؤمنين لنا ... فمن جانبنا يلزمنا أن نجاهد ألا يهلك أحد تاركاً الكنيسة بسبب خطأ ارتكبه ، لكن إن هلك أحد بإرادته وخطيته ولا يود العودة أو التوبة والرجوع إلى الكنيسة فاننا لا نلأم في يوم الدين مادمننا كنا مهتمين بإصلاحه إنما يسقط هو وحده تحت الدينونة لرفضه العلاج بنصيحتنا الصالحة ^(٩١)] .

ويقدم لنا الأب بولاس أسقف يوبا Bobba بموريتانيا ذات الفكر قائلاً إنه يلزم ألا نضطرب حين يرفض إنسان إيمان الكنيسة ^(٩٢) .

يرى القديس أغسطينوس ان الكذب هنا يعنى الفراغ والصدق أو الحق يعنى الملاء ، إذ يقول : [الله الملاء والانسان فارغ . إن أراد أحد ان يمتلىء فليذهب إلى ذاك الذى هو الملاء : « تعالوا اليّ واستنبروا » (راجع مز ٣٤ : ٥) . فإن كان الانسان كاذباً فهو بهذا فارغ يطلب أن يمتلىء فيجرب بسرعة وغيره نحو الينبوع يمتلىء ^(٩٣)] .

يقول أيضا : [عندما يعيش إنسان حسب الحق يعيش لا حسب نفسه بل حسب الله القائل : « أنا هو الحق » يو ١٤ : ٦ . من يحيا حسب نفسه — أى حسب الإنسان لا الله — فبالتأكيد يعيش حسب الكذب ، ليس لأن الإنسان نفسه كذب إذ الله موجدته وخالقه وهو بالتأكيد ليس موجداً للكذب ولا خالق له إنما لأن الإنسان الذى تُخلق مستقيماً لكى يحيا حسب الله خالقه لا حسب نفسه ، أى يتمم إرادة الله لا إرادته الذاتية ، صار يعيش بغير ما تُخلق ليعيش به ، وهذا هو الكذب ... لذلك لم يُقل ان كل خطية هى كذب باطلاً ^(٩٤)] .

ثانياً : إذ عالج الرسول المشكلة الأولى وهى : ما نفع بركات الله ونعمه على اليهودى ، إن كان اليهودى قد أساء إستخدامها ، فصارت البركات وهى مقدسة ومباركة علة عقوبة أعظم لمن أساء إستخدامها ؟ إذ أظهر الرسول ان بعضاً منهم كانوا غير أمناء لكن يبقى الله أميناً بالرغم من عدم أمانتهم ، وأنه لا يليق أن نشين كرامة واهب النعم إن أساء من قبلها إستخدامها ، الآن يعالج الرسول مشكلة أخرى مشابهة للأرلى ومكملة لها وهى كما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم أن الوثنيين قد استهانوا بكلمات الرسول بولس : « حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدا » ... فحسبوا أن النتيجة الطبيعية لذلك هى أننا نخطئ لكى تزداد النعمة ، أو بمعنى آخر لنكن غير أمناء فتنجلي أمانة الله .

يقول الرسول : « ولكن إن كان إثنا يبين برّ الله ، فماذا نقول : أَلَعَلَّ الله الذى يجلب الغضب ظالم ؟ أتكلم بحسب الإنسان : حاشاً ، فكيف يدين الله العالم إذ ذاك ؟ ! فإنه إن كان صدق الله قد إزداد بكذبى لمجده ، فلماذا أَدان أنا بعد كخاطيء ؟ ! أما كان يفترى علينا ، وكما يزعم قوم أننا نقول : لنفعل السيئات لكى تأتى الخيرات ، الذين دينونتهم عادلة » ع ٥ — ٨ .

نستخلص من هذا النص الآتى :

أ — عدو الخير لا يتوقف عن محاربة خدمة السيد المسيح بكل طرق ، فإن كان اليهود يهاجمون الكرازة بدعوى أن الرسول بولس يهين انناموس ويستخف بالختان ويقاوم أمة اليهود ، فإن الأمم من جانبهم أيضا يقاومون هذا العمل بإساءة فهمه

حاسبيته أنه ينادى بفعل السيئات لكى تأتى الخيرات ، وكأن الشر هو علة الخير ، وعدم أمانتنا هو مجد لأمانة الله ، وهذا بلا شك إفتراء كاذب ... لذا إذ يعلن الرسول عن سقوط العالم كله فى الشر ليتحدث عن حاجة الجميع إلى المخلص يوضح أنه لا ينادى بما أتهم به ، مظهراً أن هذا القول يستلزم أحد أمرين : أما أن يكون الله غير عادل لأنه يجازى الإنسان على شره وعدم أمانته وهو علة نصرته الله ومجده ، أو أنه إن لم يعاقبنا تقوم نصرته على رذائلنا ... وكلا الأمران ممقوتان عند الرسول .

ب — يود الرسول تأكيد ان الله الذى يتمجد حتى فى شرنا بإعلان بره ووجهه للخطاة لا يعفى الإنسان من مسئوليته عن ارتكابه للإثم ، فقد اعتاد الإنسان منذ بدء سقوطه ان يلقي باللوم على غيره كما فعل آدم الذى ألقى باللوم على المرأة التى جعلها الله معه (تك ٣ : ١٢) وكما فعلت حواء التى ألفت باللوم على الحية .

يقول الرسول : « أتكلّم بحسب الإنسان » ع ٥ ، وكأنه إذ يلتزم بتقديم هذا الاعتراض الذى يخطر على فكر البعض انما يتكلم كإنسان متكابر على الله ، إذ ينسب لله الظلم فى ادانته للإنسان الأثيم ويفتح الباب للإنسان ان يتماذى فى ارتكاب الآثام بحجة اعلان « برّ الله » ... لهذا جاءت هذه الرسالة تؤكد أن برّ الله وأمانته فى مواعيده وفيض نعمته على الخطاة ليست فرصة للشر ، إذ يقول : « أنبقى فى الخطية لكى تكثر النعمة ؟ حاشا ، نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها ؟ ! » رو ٦ : ١ ، ٢ .

ج — يعلق القديس أكليمندس الإسكندري^(٩٥) على العبارات الرسولية التى بين أيدينا موضحاً ان الله يوقع العقوبة ليس عن انفعال إنما لتحقيق العدالة ، فالأثم يختار لنفسه ان يسقط تحت العقوبة بكامل حريته ، هو الملولم لا الله .

٢ — علة الإتهام : الكل بلا برّ

الآن بعد أن ردّ على اليهود الذين إتهموا الرسول انه يستخف بعطايا الله لهم كيهود أهل الختان وأصحاب الناموس ، كما ردّ على الأثمين الذين حسبوه ينادى بفعل الشر لكى يجلب الخير ، بدأ يؤكد من جديد فساد البشرية كلها ليعلن حاجة الكل الى طريق واحد للخلاص ، هو التمتع ببر المسيح خلال الايمان بفدائه ، إذ يقول :

« فماذا إذا ، أنحن أفضل ؟ كلا البتة . لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية .

كما هو مكتوب : انه ليس بار ولا واحد ، ليس من يفهم ، ليس من يطلب الله .

الجميع زاغوا وفسدوا معاً ، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد .
حنجرتهم قبر مفتوح ، بالسنتهم قد مكروا . سم الأصلال تحت شفاههم ،
وفمهم مملوء لعنة ومرارة .

أرجلهم سريعة إلى سفك الدم ، في طرقهم اغتصاب وسحق ، وطريق السلام لم يعرفوه .

ليس خوف الله قدام عيونهم » ع ٩ — ١٨ .

الآن إذ يعلن فساد البشرية كلها يلجأ إلى رجال العهد القديم ليقتطف كلماتهم التي تؤكد ذلك :

يلجأ إلى داود النبي القائل : « ليس من يفهم ، ليس من يطلب الله » مز ١٤ : ٢ (الترجمة السبعينية) ، وقد جاءت الترجمة العبرية : « هل من فاهم طالب الله ؟ ! » فإذا أخطأ الكل في حق الله إنطمست عيون أذهانهم فلم تعد تستطيع أن تراه ولا أن تدرك أسرار الإلهية كآدم الذي أخطأ فصار غير قادر على ادراك محبة الله واصبح هارباً من وجهة لا يقدر أن يطلبه . لكن هل ينطبق هذا على اليهود الذين صارت لهم معرفة الله بالناموس ويطلبونه خلال طقوسهم وعبادتهم غير المنقطعة ؟ يجيب المثل : « ليس من يفهم ، ليس من يطلب الله » ، غير مميز اليهودى عن الأممى ، لأن اليهودى فى حرفته لم يستطع ادراك أعماق الناموس وغايته الإلهية كما تحولت الطقوس إلى شكليات لا تمس القلب ليدرك الله ويعاينه .

ويقتطف من نفس المزمور : « الجميع زاغوا وفسدوا معاً ، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد » مز ١٤ : ٣ . مرة أخرى يؤكد أن « الجميع » بلا تمييز بين يهودى أو أممى إذ لم يفهموا ولا طلبوا سقوطاً فى « الفساد » ولم يعد للصالح

موضِعاً فيهم . هذا أيضاً ما يعلنه إشعياء النبي القائل : « كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه » إش ٥٣ : ٦ .

بعد أن تحدث عن فساد الكل بوجه عام بدأ يعلن فساد الإنسان في كليته ، فتحولت الحنجرة إلى قبر مفتوح (مز ٥ : ٩) تخرج رائحة موت ونتاج ، وانشغل اللسان بالمكر ، والشفة تحولت إلى مخزن خفي لسم الأصيل (مز ١٤٠ : ٣) ، وفمهم ينبوع لعنة ومرارة (مز ١٠ : ٧) ، وأرجلهم تسرع إلى سفك الدم (إش ٥٩ : ٧ ، أم ١ : ١٦) لا تعرف طريق السلام بل طريق السحق والمشقة ، أما أعماقهم فقدت البصيرة الداخلية فلم يعد خوف الله أمام عيونهم (مز ٣٦ : ١) . وكأن الفساد قد دبّ في حياة الإنسان الداخلية كما في أعضائه الظاهرة .

٣ — الحكم : دينونة الكل والحاجة إلى تبرير عام

إن كان الذين بلا ناموس مكتوب قد سقطوا تحت الهلاك ، والذين تحت الناموس قد صاروا تحت الدينونة ، فكيف يمكن الخلاص ؟

يقدم لنا الرسول بولس العلاج معلناً الحاجة إلى المخلص الذي يقدم حياته فدية عن العالم كله ، واهباً البرّ الإلهي لمؤمنيه ... ويلاحظ في هذا العلاج الآتي :

أولاً : يقول الرسول : « وأما الآن فقد ظهر برّ الله بدون الناموس » ع ٢١ . وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [لا يكتفى بقوله « البرّ » إنما يصفه « برّ الله » مظهرها مدى النعمة وعظمة الوعد مادام الله هو مصدرهما] .

إن كان الإنسان قد فشل في نوال البرّ خلال الناموس الطبيعي أو الناموس المكتوب ، إذ ظهر كاسراً للناموس ، فإن الله قدم برّه لنا ، باتحادنا مع الآب في ابنه البار الذي بلا خطية . نحمله في داخلنا ، ويحملنا هو فيه ، فنحسب به أبراراً . فالبر الذي صار لنا ليس وليد جهادنا الذاتي ولا طاعتنا الذاتية ، إنما هو ثمرة عمل روحه القدوس الذي يهبنا الشراكة مع الآب في ابنه ، فنحمل سمات الإبن فينا ، ويصير برّه براً لنا .

بمعنى آخر إذ فقد الكل « البر » صارت الحاجة إلى برّ الله ، الأمر الذى تحدث عنه الله بلسان النبي إشعياء :

« إسمعوا لى يا اشداء القلوب البعيدين عن البرّ ، قد قربت برّى ، لا يبعد ، وخلاصى لا يتأخر » إش ٤٦ : ١٢ ، ١٣ .

« قريب برّى ، قد برز خلاصى ... أما خلاصى فألى الأبد يكون ، وبرّى لا ينقض ... أما برى فألى الأبد يكون وخلاصى إلى دور الأدوار » إش ٥١ : ٥ - ٨ .

« احفظوا الحق واجروا العدل ، لأنه قريب مجيء خلاصى واستعلان برى » إش ٥٦ : ١ .

ثانياً : بقوله : « ظهر برّ الله » . وليس « قدم برّ الله » يعلن أن هذا البر الإلهى ليس جديداً ، إنما هو فى ذهن الله يود أن يقدمه لنا ، إنما فى الوقت المعين ، لذا يقول : « مشهوداً له من الناموس والأنبياء » . وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [يود أن يقول لهم : لا تضطربوا لأنكم لم تنالوا قبل الآن ، ولا تفزعوا ... لأن الناموس والأنبياء أشاروا إليه منذ القديم ^(٩٦)] .

هذا البر الذى أنبأ الله به على أفواه الأنبياء أعلنه فى إبنه يسوع المسيح البار لحسابنا ، إذ يقول : « برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى الذين يؤمنون ، لأنه لا فرق » ع ٢٢ . أشار الأنبياء على البر من بعيد ، اما المسيح فهو وحده جاء نائباً عنا لكى إذ يحمل المؤمنين فيه ينعمون ببر الآب الذى هو أيضاً برّ الإبن . هذا ما أعلنه السيد فى صلاته الوداعية : « أنا مجدتك على الأرض ، العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته ، والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم » يو ١٧ : ٤ ، ٥ . هذا المجد الأزلى الذى له ، يحمله الآن وهو فى الجسد كبرّ إلهى ليكون لنا براً نعيشه ونمارسه ، فنقول « الرب برنا » أر ٢٣ : ٦ ؛ ٣٣ : ١٦ ؛ ٥١ : ١٠ .

ثالثاً : جاء الحكم : « إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » ع ٢٤ ، جاء حكماً جامعاً وشاملاً لليهود وللأمم .

في موضع آخر يضم الرسول نفسه بين الخطاة بل ويحسب نفسه « أول الخطاة » ١ تي ١ : ١٥ ، بينما نجده أيضاً يقول : « من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم » في ٣ : ٦ . فكيف يحسب نفسه أول الخطاة وفي نفس الوقت بلا لوم من جهة البر الذي في الناموس ؟ يجيب القديس يوحنا الذهبي الفم انه بالنسبة لبر الله يُحسب حتى الذين يتبررون في الناموس خطاة . ويشبه ذلك بإنسان جمع مالا وحسب نفسه غنياً لكنه متى قارن نفسه بالملوك يظهر فقيراً للغاية وأول الفقراء . [بالمقارنة بالملائكة يُحسب حتى الأبرار خطاة ، فإن كان بولس الذي مارس البر الذي في الناموس هو أول الخطاة فأى إنسان آخر يحسب نفسه باراً ؟ ! ^(٩٧)] .

يقول القديس أغسطينوس : [جاء المسيح للمرضى فوجد الكل هكذا . إذن لا يفتخر أحد بصحته لئلا يتوقف الطبيب عن معالجته ... لقد وجد الجميع مرضى ، لكنه وجد نوعين من القطيع المريض ؛ نوع جاء إلى الطبيب والتصق بالمسيح وصار يسمعه ويكرمه ويتبعه فتغير ... أما النوع الآخر فكان مفتتناً بمرض الشر ولم يدرك مرضه ، هذا النوع قال لتلاميذه : « لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة ؟ ! » مت ٩ : ١١ . وقد اجابهم ذاك العارف لهم ولحالهم : « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى » ^(٩٨)] .

إن كان الرسول يعقوب يقول : « من عثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل » يع ٢ : ٧ ، فمن من البشرية لم يعثر في واحدة ؟ ! إذن الكل يحتاج إلى الطبيب ، إذ صاروا فاقدن للمجد الحقيقي : « أعوزهم مجد الله » .

صارت البشرية كلها في حالة عوز وجوع الى « المجد » ، لكن للأسف أرادوا أن يشبعوا بمجد الناس لا الله (يو ١٢ : ٤٣) .

رابعاً : يبلغ الرسول إلى غاية حديثه ، وهو حتى وإن جرح اليهودى فاقد المجد الإلهي لأن الناموس صار فاضحاً لخطاياهم عوض أن يكون مبرراً له وممجداً ، لكنه يتمتع مع الكل بعمل المسيح الفدائي خلال الدم بخطة إلهية سبق فأعدها لتظهر في ملء الأزمنة ، إذ يقول : « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي ييسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالايان بدمه لإظهار بزه » ع ٢٤ .

ان كان الحكم جماعياً بان الكل بلا استثناء قد فقد « المجد » الحقيقي وسقط في الفساد الداخلى والخارجى ، لكن الطبيب يقدم العلاج « مجاناً » ، لا لأنه علاج رخيص وانما لأن ثمنه لا يقدر ، لا يستطيع أن يدفعه سوى الابن الذى بنعمته قدم حياته كفارة عنا لظهار بره فينا . لذلك وقف السيد المسيح ينادى : « من يرد فليأخذ ماء الحياة مجاناً » رؤ ٢٢ : ١٧ ، أى ماء نعمته المجانية .

لقد جاء السيد المسيح « كفارة » عنا ، وهو مبدأ سبق فهاً له في العهد القديم ، فقد هيا الله كبشاً لابراهيم يصعده محرقة عوضاً عن ابنه (تك ٢٢ : ١٣) أو كفارة عنه . وقد أمر الله موسى أن يقدم كل واحد فدية نفسه للرب (خر ٣٠ : ١١) ، أما في العهد الجديد فيقول الرسل :

« هو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » ١ يو ٢ : ٢ .
« هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا » ١ يو ٤ : ١٠ .
« الذى لنا فيه الفداء (الكفارة) بدمه غفران الخطايا » أف ١ : ٧ ، كو ١ : ١٤ .
« عالمين انكم افتديتم لا بأشياء تفنى ... بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح » ١ بط ١ : ١٩ .

خامساً : بقوله : « ليكون باراً ويبرر من هو بالإيمان يسوع المسيح » ع ٢٦ ، يعلن أن بره سهل المنال ، يمنح للجميع . لذلك يقول القديس يوحنا الذهبي الفم مشجعاً كل مؤمن ليتمتع ببر المسيح ؛ [لا تتشكك إذن ... ولا تبتعد عن برّ الله لأنه بركة سهلة المنال وممنوحة للجميع بلا إستثناء . لا تحجل ولا تحزى ، لأنه إن كان الله يعلن استعداداه أن يفعل هذا لك ، بل ويفرح بذلك ويعتز ، فكيف تغتم أنت وتحزى وتخفى وجهك خجلاً مما يتمجد به سيدك ؟ ! ^(٩٩)] .

هذا هو عمل الله القدوس وشهوة قلبه ، إنه كقدوس يؤد أن يقدس الكل ، وقادر على ذلك لكن ليس بدون إرادتنا . يقول القديس أغسطينوس : [الله قدوس ويقدّس ، الله بار ويبرر ^(١٠٠)] .

سادساً : ينتهز الرسول هذه الفرصة ليعود فيؤكد أن برّ المسيح لا يتحقق بأعمال الناموس بل بالإيمان ، قائلاً : « فأين الافتخار ؟ قد إنتفى . بأى ناموس ؟

أبناموس الأعمال ؟ كلا ، بل بناموس الإيمان » ع ٢٧ . وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [لو كان للناموس فاعلية لظهرت قبل مجيء (الفادي) ، أما الآن وقد جاء الفادي فإنه لا يطلب غير الإيمان ، إذ زالت الحاجة إلى عمل الناموس . ومادام الكل قد سقطوا فقد جاء ليفتديهم بنعمته ، وقد جاء الآن لهذا السبب . فلو أنه جاء قبل ذلك لتحاجوا بأنه من الممكن أن يخلصوا بجهادهم الذاتي وصلاتهم طوعاً للناموس ... كأنهم أشبه بإنسان صدر عليه الحكم بالإعدام ، وبينما هو مُساق إلى المشنقة صدر العفو الملكي لكنه توافق هذا الانسان مدعياً أنه خلص نفسه بنفسه ، أفلا يسخر به الآخرون ، قائلين : كان الأولى به أن ينطق بهذا وهو في الطريق إلى المشنقة قبل صدور العفو ، أما وقد شمله العفو الملكي فلا مجال له للإفتخار . هذا هو حال اليهود إذ خانوا العهد مع أنفسهم وجاء المسيح يفديهم نازعاً عنهم سبيل الإفتخار . لأن ذاك الذي وصف نفسه أنه معلم الأطفال ومهذب الأغبياء وله صورة العلم والحق في الناموس وجد نفسه في حاجة إلى معلم ومخلص تماماً كالذين يدعى انه يعلمهم ، فكيف يفتخر بعد ؟ ! (١٠١)] .

سابعاً : إن كان الرسول يؤكد من وقت إلى آخر أنه لا خلاص بأعمال الناموس الحرفية كالختان والغسلات والتطهيرات ، إنما « بناموس الإيمان » ع ٢٧ لننعم ببرّ المسيح ... فإنه يؤكد ان للإيمان أيضاً « ناموس » ، بمعنى أن للإيمان شريعة أو قانون يلتزم به المؤمن ، وليس الإيمان حالة من التشويش أو الاستهتار . فإن كنا بالإيمان بـ المسيح قد تحررنا من عبودية حرف الناموس ، إنما لنعيش « الحرية في المسيح » ، سالكين بروح لائق بالحياة الإيمانية الخاضعة لقانون الحب أو ناموس السماء أو تدبير الروح والجاد المدقق . لهذا يعلق القديس أغسطينوس على حديث الرسول بولس : « إذا نحسب الانسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس » ع ٢٨ ، قائلاً : [توجد أعمال تبدو أنها صالحة ، لكنها إذ هي خارج الإيمان بالمسيح فهي غير صالحة ، لأنها لا تحقق غاية الأعمال الصالحة ، « لأن غاية الناموس هي المسيح للبرّ لكل من يؤمن » رو ١٠ : ٤ . لهذا لا يريدنا الله ان نميز الإيمان عن الأعمال ، انما نعلن الإيمان نفسه بكونه عملاً ، إذ الإيمان ذاته عامل بالمحبة (غلا ٥ : ٦) (١٠٢)] .

ثامناً : إذ أوضح الرسول ان الخلاص يتحقق خلال الايمان بالمسيح يسوع دون أعمال الناموس الحرفية ليفتح الباب على مصراعيه لجميع الأمم استصعب اليهود أن يدخل الأمم معهم على قدم المساواة ، لذلك تساءل الرسول : « أم الله لليهود فقط ؟ ! ع ٢٩ . وكما يعلق الذهبي القم : [كأنما يقول لهم : على أى أساس يبدو لكم تخطيطاً مبدأ خلاص الجميع ؟ أأعمل الله نجاى ؟ وهكذا يوضح لهم أنهم باحتقارهم الأُمَمِينَ إنما يهينون مجد الله لأنهم لا يريدونه إله الجميع . فإن كان إله الكل فإنه يعتنى بالكل وبالتالي يخلص الكل بذات الطريق ، أى طريق الإِيمان ^(١٠٣)] .

هكذا يجيب الرسول على إعتراضهم مظهراً أن الله « هو الذى سيرر الختان بالايمان والغرة بالإيمان » ع ٣٠ ... إنه يطر محبته على الجميع ليبرر الكل ، وكما يقول القديس أكليمندس الإسكندري : [إنه يطر نعمته الإلهية على الأبرار والظالمين (مت ٥ : ٤٥) ^(١٠٤)] .

تاسعاً : أوضح الرسول أنه إذ يعلن فتح باب الخلاص للجميع لا يستخف بالناموس ، وإن كان الناموس بأعماله الحرفية يعجز عن تحقيق الخلاص ، إذ يقول : « أفبطل الناموس بالإيمان ؟ حاشا ، بل ثبت الناموس » ع ٣٠ . إنه يثبت الناموس لا لكي يُلزم الأمم بأعمال الناموس وإنما يثبتته بتحقيق غايته . إنه هبة الله ليفضح شرنا فنكتشف حاجتنا للخلاص والخلص ، وقد جاء الإِيمان يحقق هذه الغاية في كمالها .



- ۱ — الاتکال علی أبوة إبراهيم ص ۴ — ۶ .
- ۲ — الاتکال علی استلام الناموس ص ۷ — ۸ .
- ۳ — الاتکال علی انهم شعب الله المختار ۹ — ۱۰ .

الأصحاحات ٤ - ١١

التبرير بالايمان العامل بالمحبة

إذ أعلن الرسول أن الأمم بلا غور لأن الله وهبهم الناموس الطبيعي فإذا بهم يكسرونه لا عن ضعف فحسب وإنما عن عمد وفي جسارة ، فصاروا مقاومين للحق ، عاملين ماهو ضد الطبيعة ، مفسدين حتى أجسادهم ، فرحين ومتهللين بالنفوس الساقطة معهم ، الآن يبدأ يفند أيضاً حجج اليهود ليؤكد أن البشرية كلها خاطئة وتستحق عقاب الموت ، فصار الكل متساوياً في حاجته إلى من يبرره . إن كان اليهودى والأسمى قد سقط كلاهما تحت الموت ، فهل يفتخر أحدهما على الآخر أو يتمايز الواحد عن الثاني لأن الأول لم يتبرر بناموس موسى والثاني لم يتبرر بالناموس الطبيعي ؟ !

تركزت حجج اليهود في ثلاثة أمور هي :

- ١ - إتكا لهم على بنوتهم لإبراهيم أب الآباء .
- ٢ - إتكا لهم على تسلمهم الشريعة أو الناموس الموسوى .
- ٣ - إتكا لهم على انهم شعب الله المختار دون سواهم .

وقد فند الرسول هذه الحجج ليعلم ان هذه الأمور جميعها لا تقدر أن تبرر أحداً ، وإنما في المسيح يسوع يصير جميع المؤمنين - يهوداً ويونانيين - أبناء لإبراهيم لا حسب الجسد وإنما خلال التمتع بإيمانه العمل ، وينعم الكل لا بالناموس الموسوى في حرفيته وإنما في التمتع بغايته أى الالتقاء مع المسيح مركز الناموس وغايته ، وأخيراً يدرك الكل أنهم مختارون في الرب أبناء الآب .

هكذا يخرج الرسول من حوار مع الفكر اليهودى إلى نتيجة هامة ، ان البشرية كلها موضع إهتمام الله وحبه ، حتى وإن اختلفت الوسائل التى قدمها لهم ، وانها قد سقطت بكاملها عن « البر » لكى يجده الكل في المسيح ، يجده اليهودى المنتصر كما الأسمى بلا تمييز أو محاباة .

+ + +



في الأصحاحات الثلاثة السابقة أظهر الرسول بولس فساد كل البشرية ، يستوى في ذلك اليهود كما الأمم وصار الكل في حاجة الى من يخلص ويبرر ، والآن يقدم الرسول مثلين لرجلين بارين من رجال العهد القديم أحدهما ابراهيم بكونه أب الآباء وقد تبرر خلال إيمانه وهو بعد في الغرلة قبل ممارسة اعمال الناموس خاصة الختان ، والمثل الثاني هو داود الذي نال الوعد ان من صلبه يأتي المسيح الملك وهو من أهل الختان لكنه يقدم التطويب لمن يتبرر لا بأعمال الناموس بل بالايان .

ركز الرسول بالاكتر على شخصية « إبراهيم » ، لأن اليهود كانوا يشعرون انهم أحرار لمجرد انتسابهم له بالجسد . هذه العقيدة دفعتهم إلى العجرفة والكبرياء عوض أن تدفعهم للحياة يفكر إبراهيم وإيمانه والامثال به في سلوكه ، فجاء الرسول يفند هذه العقيدة ، مظهراً ان سر قوة ابراهيم تكمن في إيمانه الحي الذي عاشه وهو في الغرلة كما عاش وهو في الختان ، لذا فهو أب لأهل الغرلة كما لأهل الختان .

- ١ — ابراهيم والإيمان ١ — ٨ .
- ٢ — ابراهيم أب جميع المؤمنين ٩ — ١٦ .
- ٣ — إيمان ابراهيم وإيماننا ١٧ — ٢٥ .

+ + +

١ — ابراهيم والإيمان

إذ كان الرسول يعلن عجز أعمال الناموس عن تقديم برّ الله ، ليفتح الباب للبشرية كلها فتنعم بهذا البر خلال الإيمان ، إنتقل إلى الحديث عن إبراهيم بكونه أول من نال عهد الختان ليوضح أن إبراهيم أيضاً لم يتبرر بالختان (أعمال الناموس) وإنما بالإيمان ، إذ يقول : « فماذا نقول ان أبانا ابراهيم قد وُجد حسب الجسد ، لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر ولكن ليس لدى الله » ع ١ ، ٢ .

ويلاحظ في حديث الرسول عن إبراهيم وإرتباطه بالإيمان الآتي :

أولاً : « فماذا نقول : ان أبانا إبراهيم قد وجد حسب الجسد ؟ » ع ١ ... وكأن الرسول بولس يحدد العلاقة التي تربطهم بابراهيم كأب إنما هي « حسب الجسد » ، الأمر الذي يضعف صلتهم به ماداموا لا ينعمون بأبوته خلال إيمانه ، وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم^(١٠٥) انه بهذا يفسح المجال أمام الأعميين ليدخلوا هم أيضاً في قرابة مع إبراهيم خلال الامتثال بإيمانه .

ثانياً : لماذا إختار الرسول بولس إبراهيم مع أنه قد سبقه هايل الذي قيل عنه « انه بار » عب ١١ : ٤ ، ونوح الذي قيل انه كان « رجلاً باراً كاملاً في أجياله » تك ٦ : ٩ ؟

يرد على ذلك ان الرسول اختار ابراهيم لعدة اسباب رئيسية منها :

أ — ان اليهود كانوا يفخرون بنسبهم لابراهيم كأب للمؤمنين ، فحينما حدثهم السيد المسيح عن الحرية ، « أجابوه : اننا ذرية ابراهيم ولم نستعبد لأحد قط ، كيف تقول أنت انكم تصيرون أحراراً ؟ ! » يو ٨ : ٣٣ ... فقد أراد الرسول أن يفند هذه الحجة .

ب — لم يُدع هايل ولا نوح أباً للمؤمنين ، أما ابراهيم فقد جاء عنه : « لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم » تك ١٧ : ٤ .

ج — لأن ابراهيم يعتبر حلقة الوصل بين أهل الغرلة وأهل الختان ، عاش متبرراً بالإيمان وهو في الغرلة ، واذ نال الوعد الإلهي وتمتع بالختان كعلاقة للعهد عاش أيضاً

متبرراً بالايان وهو فى الختان ... بهذا ضم المؤمنين من أهل الغرلة وأهل الختان فى شخصه ، خلال الإيـان .

ثالثاً : لا ينكر الرسول بولس أن لإبراهيم أن يفتخر من جهة الأعمال لكن ليس لدى الله ، لأن ما مارسه من أعمال الناموس كالختان لا فضل له فيه إنما هو عطية الله له خلال العهد الذى أقامه الله معه ، وله أيضاً أن يفتخر من جهة الإيـان ، بهذا له أن يفتخر لا معتالياً على الله وإنما يفتخر أنه إرتقى فى حضن الله ليغتصب بالإيـان مواعيد الله وعهوده ويحسب باراً فى عينيه . يقول الرسول : « لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر ، ولكن ليس لدى الله ، لأنه ماذا يقول الكتاب : فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً » ع ٢ ، ٣ .

إن قورن ابراهيم بمعاصريه من البشر فله فخر بأعماله أمام البشر ، سواء بكونه أول من اختتن كعلامة عهد بينه وبين الله أو أعظم معاصريه فى الأعمال الصالحة ... أما أمام الله ففخره الحقيقى أنه اغتصب برّ الله بإيمانه الحىّ العملى ، المعلن خلال طاعته له سواء بالعبادة له وسط جوّ وثنى أو بالخروج من أرضه وعشيرته وبيت أبيه (تك ١٢) ، أو عدم محبته للنصيب الأكبر فى معاملته مع لوط ابن أخيه (تك ١٣) أو حبه لإضافة الغرباء (تك ١٨) أو شفاعته عن إخوته فى البشرية (تك ١٨) أو تقديم ابنه ذبيحة (تك ٢٨) الخ ... هذه التصرفات جميعها وغيرها إنما كانت نابعة عن إيمانه بالله وملتزمة به ، فجاءت تمجد الله .

بمعنى آخر لم يكن لإبراهيم أن يفتخر بأعمال الناموس فى ذاتها إنما بإيمانه الحىّ العملى الذى به حُـسب باراً فى عينى الله فاحص القلب .

بهذا نوفق بين ما يقوله الرسول بولس هنا وبين ما ورد فى رسالة معلمنا يعقوب الرسول : « ألم يتبرر ابراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحق ابنه على المذبح ؟ ! فترى أن الإيـان عمل من أعماله ، وبالأعمال أكمل الإيـان ، وتمّ الكتاب القائل : فآمن ابراهيم بالله فحسب له براً ودُعـى خليل الله » يع ٢ : ٢١ — ٢٣ .

الرسول بولس يعلن أن ابراهيم لم يتبرر أمام الله خلال أعمال الناموس كالختان والتطهيرات والغسلات إنما تبرر خلال الإيـان الحىّ ، ومعلمنا يعقوب يعلن أن ابراهيم لم يتبرر خلال إيمان شفهى نظرى جامد إنما خلال الإيـان المترجم عملياً كذبيحة

اسحق ، وكأن الأعمال التى يذكرها القديس يعقوب إنما هى أعمال الايمان وليست خارج الايمان ! الرسول بولس يحذر من الاتكال على حرفة أعمال الناموس والرسول يعقوب يحذر من الاتكال على الايمان الخال من الأعمال أو الايمان النظرى غير الحى ، هذه الأعمال التى يسألنا الرسول بولس ان نمارسها بالمسيح يسوع ربنا ، إذ يقول : « لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها » أف ٢ : ١٠ .

رابعاً : إن كان أبونا ابراهيم قد آمن وأيضاً مارس أعمال الناموس إذ قبل الختان فى جسده كما ختن ذكور بيته ... لكن شتان بين الايمان وأعمال الناموس ، إذ يقول الرسول : « أما الذى يعمل فلا تحسب له أجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين » ع ٤ .

أيهما أعظم الأجرة التى ينالها الإنسان مقابل أعمال الناموس ، أم النعمة التى ينالها مقابل الايمان ؟ ! بلا شك البر أعظم من الأجرة ، لأن البر يعنى عفو الله عن آثامنا ليهبنا برّه عاملاً فينا فننال مجداً أبدياً . وقد إقتبس الرسول من المثل داود العبارة : « طوبى لمن غفرت آثامهم » ع ٧ . وكما يقول القديس ذهبي الفم : [لا يقدم بولس هذه العبارة إعتباطاً ، لكنه يود القول بأن من غفرت آثامه بالنعمة نال التطويب ، فمن آمن وتبرر يتأهل بالأكثر للبركة ، التى خلالها يُنزع الخزي ليحل المجد ^(١٠٦)] .

القول النبوى « طوبى لمن غفرت آثامهم » يكشف عن بهجة قلب المرتل بنوال برّ مجانى لا أجرة عن عمل ناموسى ، هذا البرّ هى عطية إلهية يهبها الله لمؤمنيه . يقول القديس اكليمندس الاسكندرى : « هذه الطوباوية تحلّ على الذين إختارهم الله خلال يسوع المسيح ربنا ، لأن « المحبة تستر كثرة من الخطايا » ١ بط ٤ : ٨ . هؤلاء قد إغتسلوا بواسطة ذاك الذى يريد توبة الخاطى لا موته (حز ٣٣ : ١١) ^(١٠٧)] .

خامساً : ما هو هذا الايمان الذى يبررنا ؟

+ ماذا يعنى تؤمن به ؟ الايمان به يعنى حبنا له ، وتقديرنا لسموه ، والذهاب إليه والاتحاد بأعضائه .

+ الإيمان بالمسيح هو أن تؤمن به أنه يرر الخاطي ؛ تؤمن بالشفيع الذى بدون وساطته لا يمكن أن نتصلح مع الله ؛ تؤمن بالخلص الذى جاء يطلب ويخلص ما قد هلك (لو ١٩ : ١٠) ؛ تؤمن بذاك القائل : « لا تقدر أن تفعلوا شيئاً » يو ١٥ : ٥ .

+ إيماننا نفسه بالمسيح هو عمل المسيح ، إذ هو يعمل فينا ، بالتأكيد ليس بدوننا .
إسمع الآن وإفهم : « من يؤمن بى فالأعمال التى أعملها أنا يعملها هو » .
يقول : الأعمال التى أعملها أنا أولاً ، ثم يفعلها هو بعد ذلك ، فأنا أعملها لكى يفعلونها هم أيضاً . ما هى هذه الأعمال إلا إقامة الإنسان البار من الشرير ؟ !

+ تبرر النفس بإرتفاعها نحو الله ، والتصاقها بذاك الذى يررها ... فإنها إذ تتركه تصير شريرة ، وإذ تعود إليه تبرر .
ألا يظهر لك انه متى وُجد شيء ما بارداً إذا إقترب من النار يصير دافئاً ؟ !
وعندما يُنزع من النار يبرد ؟ ! لو أن شيئاً ما كان مظلماً واقترب من النور أما يصير بهياً ؟ ! وإن نُزع عن النور يصير مظلماً ؟ ! هكذا هى النفس ، أما الله فليس هكذا !

القديس أغسطينوس (١٠٨)

سادساً : ماذا يعنى الرسول بقوله : « وأما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يرر الفاجر فإيمانه يُحسب له براً » ع ٥ ؟ هل يحثنا الرسول على تجاهل الأعمال لتبرر بالإيمان وحده ؟

نجيب على ذلك بان الرسول كان يحدث اليهود الذين تشاخوا على الأمم بأعمال الناموس بطريقة حرفية قاتلة ، فإن هذه لا تبرر الانسان إنما لو حُفظت بطريقة روحية تدفعهم لإدراك الخلاص والتبرير بالمسيح الذى كانوا ينتظرونه . هذا من جانب ومن جانب آخر فأننا كمسيحيين لا نتبرر بأعمالنا الصالحة كأعمال من عنديتنا ، والا حسبت « براً ذاتياً » تعطل خلاصنا ، إنما نمارسها بكونها ثمرة عمل الله فينا ، وكما يقول الرسول بولس : « لأن الله هو العامل فيكم » فى ٢ : ١٣ ، « نحن عاملان

مع الله » ١ كو ٣ : ٩ . لهذا يؤكد الرسول يعقوب « لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضا بدون أعمال ميت » يع ٢ : ٢٦ .

٢ — إبراهيم أب لجميع المؤمنين

إذ قارن الرسول بين أعمال الناموس والإيمان في حياة أبينا إبراهيم ليعلن سمو الإيمان ، الذى به يتبرر ، دون تجاهل لأعمال الناموس التى مارسها إبراهيم وان كانت عاجزة عن التبرير ، الآن يؤكد الربط بين الإيمان وأعمال الناموس في حياة هذا الأب دون تعارض ، قائلاً : « أخذ علامة الختان ختماً لبر الإيمان الذى كان في الغرلة » ع ٨ . فالختان هو علامة جسدية جاءت لا معارضة للإيمان بل خاتمة على إيمانه ومؤكدة له ، حتى كل من يحملها إنما يلزم أن يلتزم أيضا بالإيمان ... هذا من جانب ومن جانب آخر فإن العلامة جاءت لاحقة للإيمان ، إذ آمن إبراهيم حين كان أولاً في الغرلة ، وبقي مؤمناً أيضا وهو في الختان ، بهذا أعلن أبوته لأهل الغرلة إن قبلوا الإمتثال به في إيمانه وأيضاً لأهل الختان إن فعلوا ذات الأمر .

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذه العبارة الرسولية مظهراً أن اليهود لم يأتوا إلا كضيوف لاحقين لأهل الغرلة ، وانهم أضيفوا إليهم ، أى جاءوا إلى بيت الإيمان . مضافين إلى إبراهيم الذى قبل الإيمان وهو في الغرلة قبل الختان ، قائلاً : [لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر وكلل وهو بعد في الغرلة ، فقد جاء اليهود بعد ذلك . إذاً إبراهيم هو أب الأميين أولاً الذين ينتسبون إليه بالإيمان ، كما أنه أب اليهود ثانياً ، أى أب الجنسين ... لهذا يستكمل بولس حديثه ، قائلاً : « ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة كى يحسب لهم البر أيضاً وأباً للختان » ع ١١ ، ١٢ . هذا وينتسب الأمميون لإبراهيم لا بسبب غرلتهم وإنما لإقتدائهم بإيمانه ، كذلك اليهود لا ينتفعون بينوتهم له لكونهم مختونين مالم يؤمنوا ... إذن لك الحق في أبوة إبراهيم إن سرت في خطوات ذلك الإيمان دون تنازع ولا مشايعة لمناصرتك للناموس ^(١٠٩)] .

هذا ويرى الذهبي الفم ان الختان مجرد علامة حملها إبراهيم من أجل ضعف اليهود ، إذ يقول الرسول « ليكون أباً للختان » ، لا بمعنى أن يحملوا العلامة جسدياً .. فيصIRON أبناء له وإنما يحملون ما وراء العلامة ألا وهو إيمانه ... لأن هذه العلامة

ليست إلا ختماً للإيمان . فإن لم يسع اليهود إلى الإيمان مكتفين بالعلامة التي للجسد تصير هذه نفاية لا ضرورة لها . هكذا أيضاً لا يليق بهم إذ نالوا الختان أن يحتقروا أهل الغرلة بل أن يكونوا سنداً لهم ليكون الكل معاً في ذات الإيمان الواحد .

لقد ظن اليهود أنهم ورثة ابراهيم في نواله المواعيد الإلهية لمجرد تمتعهم بهذه العلامة أى ممارستهم لأعمال الناموس ، متجاهلين التزامهم بالاقتفاء بأيهم في إيمانه ، لهذا يقول الرسول : « لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد » ع ١٤ . بمعنى آخر إن تمسك اليهود بأعمال الناموس كعلامة لميراثهم ما لإبراهيم ، مكتفين بهذه الأعمال عند حرفيتها يسلبون الإيمان عمله ويفقدون نوالهم الوعد الإلهي الذي أُعطى لإبراهيم أن بنسله تتبارك الأمم . على العكس إن كان أهل الغرلة لم يمارسوا أعمال الناموس في حرفيتها لكنهم بالإيمان صاروا ورثة إبراهيم وحُسبوا أصحاب الوعد كأبناء له .

الإتكال على أعمال الناموس ليس فقط يفقد الإنسان عمل الإيمان الذي لإبراهيم ويحرمه التمتع بالوعد الإلهي وإنما يدخل به إلى غضب الله ، لأنه وهو يمارس الأعمال الظاهرة كالختان والغسلات يكسر شرائعه السلوكية كالوصايا العشر ، ولو وصية واحدة فيحسب متعدياً . لذلك يقول الرسول : « لأن الناموس ينشئ غضباً إذ حيث ليس ناموس ليس تعد » ع ١٥ . فبدون الناموس يخطئ الإنسان لكن الغضب ينشأ بالأكثر حيث يوجد الناموس كاشفاً للخطايا التي يرتكبها الإنسان متعدياً الوصية ، وكما قيل : « ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به » نمل ٣ : ١٠ .

يقدم لنا القديس أغسطينوس تفسيراً لهذه العبارة ، قائلاً : [قبل الناموس كان يمكن أن يدعى الإنسان خاطئاً ولم يكن ممكناً أن يُدعى متعدياً . أما وقد أخطأ بعد استلامه الناموس فلم يعد خاطئاً فحسب وإنما متعدياً أيضاً . وهكذا أضيف « التعدي » إلى « الخطية » فكثرت الخطية جداً ^(١١٠)] .

إن كان اليهود بفهمهم الحرفي لأعمال الناموس فقدوا تمتعهم بالوعد ودخلوا الى الغضب لا كخطاة فحسب وإنما كمتعدين ، فإنه من الجانب الآخر الإيمان يفتح

لهم كما لأهل الغرلة التمتع بالبنوة لإبراهيم المؤمن .

« لهذا هو من الإيمان كى يكون على سبيل النعمة ليكون الوعد وطيداً لجميع النسل ، ليس هو من الناموس فقط بل أيضاً لمن هو من إيمان إبراهيم الذى هو أب لجميعنا » ع ١٦ .

وكما يقول الذهبى الفهم انه بدون الإيمان لا يخلص أحد ، لأن الناموس بالنسبة لأهل الختان لا يررهم بل ينشئ غضباً إذ سقط الكل تحت التعدى ، لذا جاء الإيمان يرفعهم من الخطر وليس كالناموس ... كما يرفع أيضاً أهل الغرلة ، فيحسب الكل أبناءً لإبراهيم . « كما هو مكتوب إني قد جعلتك أباً للأمم كثيرة » ع ١٧ . فكما ان الله هو إله الجميع وليس خاصاً بأمة معينة هكذا بالإيمان حسب إبراهيم أباً للجميع حسب الوعد المُعطى له (تك ١٧ : ٥) .

٣ — إيمان إبراهيم وإيماننا

إن كان الايمان قد فتح الباب على مصراعيه ليدخل كل الأمم إلى النسب لإبراهيم كأبناء له ، فما هى مادة هذا الإيمان ؟

يقول الرسول : « كما هو مكتوب الى قد جعلتك أباً للأمم كثيرة ، أمام الله الذى آمن به الذى يحيى الموتى ويدعو الأشياء الغير موجودة كأنها موجودة » ع ١٧ .

إقتبس الرسول هذا الوعد : « قد جعلتك أباً للأمم كثيرة » تك ١٧ : ٥ (الترجمة السبعينية) ؛ هذا لا يتحقق حسب الطبيعة إذ هو ليس أباً للأمم حسب الجسد ، إنما حسب الإيمان .

مادة إيمانه هى أن الله « يحيى الموتى ويدعو الأشياء الغير موجودة كأنها موجودة » ... من هم الموتى الذين يحييهم ؟ أو ما هى الأشياء الغير موجودة التى يدعوها كأنها موجودة ؟

أولاً : مستودع سارة أو أحشائها أشبه بالميت الذى لا يحمل حياة ، وقد وهبه الله إسحق حياً خلال هذه الأحشاء الميتة ، وكما يقول الرسول نفسه : « واذا لم يكن

ضعيفاً في الإيمان لم يعتبره جسده وهو قد صار مماتاً إذ كان ابن نحو مئة سنة ولا
مماتية مستودع سارة » ع ١٩ .

ما ناله إبراهيم من وعد كان « على خلاف الرجاء » ، إذ لم ينظر قط إنساناً قبله
نال ابناً بهذه الطريقة ، وإنما صار هو مثلاً لمن جاء بعده . هو ترجى الله الذي يقيم
من الموت ويهب حياة فآمن بالله انه يعطيه نسلًا كما من العدم ، فاتحاً باب الرجاء لمن
جاء بعده ممن إنجبوا في شيخوختهم خلال زوجات عاقرات .

ثانياً : آمن إبراهيم بتمتعه بالأبوة ليس فقط لإسحق الذي وهبه الله إياه في فترة
شيخوخته وخلال مستودع سارة الذي كان في حكم الموت ، وإنما أيضاً لأُم كثيرة
هي بحسب الطبيعة ميتة لا تحمل بنوة لإبراهيم حسب الجسد ، لكن الله يقيمها من
هذا الموت ويقدمها لإبراهيم أبناء له .

هذا ما أوضحه الرسول بقوله : « فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء
لكي يصير أباً لأُم كثيرة كما قيل هكذا يكون نسلك » ع ١٨ . وكما يقول
القديس يوحنا الذهبي الفم انه كان على خلاف رجاء البشر في رجاء من جهة الله
آمن بالوعد ونال . فكان الإيمان هو سنده ، لم يعطه الله برهاناً ولا علامة وإنما مجرد
كلمات وعد ومع هذا لم يتردد ولا شك مرتباً مع أن العائق كان عظيماً : « ولا
بعدم إيمان إرتاب في وعد الله بل تقوى بالإيمان معطياً مجداً لله » ع ٢٠ .

بمعنى آخر ليتنا نتعلم أن الله يتم مواعيده معنا مهما كانت العوائق أو
المعطلات ، إذ « تيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً ، لذلك أيضاً
حُسب له براً » ع ٢١ ، ٢٢ .

نال إبراهيم الوعد — كما قلت — لا بميلاد إسحق كما من العدم وإنما بابوته لأُم
كثيرة لا خلال الجسد وإنما خلال الإيمان . هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن
هذه الأُم أيضاً تُحسب تحت حكم الموت وعدم الوجود بسبب وثنيها ، إذ تقبل
الإيمان تنال قيامة من الأموات ، بصيرورتها شعب الله الحي وكنيسة العهد الجديد
المقدسة ، لذلك قيل : « أرحم لورحامة (ليست مرحومة) وأقول للوعمي (ليست
شعبي أنت شعبي » هو ٢ : ٢٣ .

ثالثاً : إن كانت الخطية قد أفقدت الإنسان حياته وجعلته كمن هو غير موجود ، فبالإيمان ينعم الإنسان ببرّ المسيح كمن قد أقيم من الموت ، أو صار موجوداً بعد فقدانه ، كقول الأب عن ابنه الراجع إليه : « لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش ، وكان ضالاً فُوجد » لو ١٥ : ٣٢ . لذلك يقدم لنا القديس يوحنا الذهبي الثم في تعليقه على هذا الأصحاح سلاحاً روحياً نلتزم باستخدامه هو الإيمان باسم ربنا يسوع المسيح وقوة الصليب ، قائلاً :

[هذا السلاح لا يُخرج الحية من جحرها فحسب وإنما أيضاً يلقيها في النار (أع ٢٨ : ٥) وتُشفى الجراحات .

إن نطق أحد بهذا الاسم ولم يُشف ، فبسبب عدم إيمانه وليس عن ضعف في القول ذاته . لأن البعض إلتفوا حول يسوع وكانوا يضغطون عليه (لو ٨ : ٤٤ ، ٤٥) ولم ينتفعوا منه ، أما المرأة نازفة الدم فحتى بدون لمس حسده ، وإنما بمجرد لمس هذب ثوبه أوقفت ينبوع دمها الذي طال أمدّه .

هذا الاسم مخيف للشياطين وللسموم والأمراض . ليتنا نجد فيه سروراً فنتقوى به ...

أى عذر لنا أن نقدمه ، إن كان ظل (الرسل) وثيابهم أقاموا موتى (أع ٥ : ١٥) ، بينما صلواتنا لا تنزع عنا الشهوات ؟ ! ما هو علة هذا ؟ ! ... فان طبيعة بولس هي كطبيعتنا ، وُلد ونشأ مثلنا ، سكن على الأرض واستنشق هواءها مثلنا ، لكنه من جانب آخر كان أعظم وأفضل منا من جهة الغيرة والإيمان والحب . إذن لنقتد به ، ولنسمح للمسيح أن يتكلم خلالنا ، فإنه يرغب في هذا أكثر منا . لقد أعد هذا التعليم ويريد ألا يكون ذلك بلا نفع أو معطلاً إنما يود أن يستخدمنا ...

إن تحدث المسيح فينا وأشرق الروح القدس بنوره فينا نكون أفضل من السماء إذ لا تظهر الشمس والقمر في جسدنا بل يظهر رب الشمس والقمر والملائكة ساكناً فينا وعاملاً .

لست أنطق بهذا لكي نقيم الموتى ونظهر البرص إنما لنحقق معجزة أعظم من هذا

كله هو إعلان المحبة . لأنه حيث توجد هذه الممجدة يسكن الابن مع الآب والروح القدس ... فقد قيل : « إن إجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى أكون أنا في وسطهم » مت ١٨ : ٢٠ . يتحقق هذا من أجل الحنو الشديد ورياط الصداقات القوية ، أى من أجل من لهم حب بعضهم لبعض ...] .

إذن ليكن لنا كإبراهيم أبينا الإيمان بالوعد الإلهي ، فننال لا القدرة على عمل المعجزات إنما ما هو أعظم ننال « الحب » الحقيقي في الرب ، فننعم بسكنى الثالوث القدوس فينا كسر حياتنا وفرحنا ومجدنا أبدياً ... هذه هي القيامة الأولى التى لنفوسنا !

ويعلق القديس أغسطينوس على العبارة « يدعو الأشياء الغير موجودة كأنها موجودة » ، قائلاً : [لقد كنت غير موجود فخلقك الله ووهبك الوجود ، أفلا يهتم بك الآن وقد صرت أنت هكذا ، هذا الذى يدعو الأشياء غير موجودة كأنها موجودة ؟] (١١١) .

أخيراً ، أكد الرسول بولس أن ما كتب عن إبراهيم من جهة إيمانه بالقيامة من الأموات ، إذ آمن بالله الذى يهبه إسحق من مستودع سارة الممات ، وآمن أن يقيمه أباً على شعوب ليست من نسله حسب الجسد ، كما آمن أن الله يهب البر كحياة لمن مات بالخطية ... فإن هذا كله قد كتب من أجلنا من جهة إيماننا بالمسيح الذى يقيمنا من الموت ويهبنا به كحياة جديدة مقامة نمارسها عملياً ، إذ يقول : « ولكن لم يكتب من أجله وحده أنه حسب له ، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيُحسب لنا ، الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات ، الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا » ع ٢٤ ، ٢٥ ...

هنا يبرز النقاط التالية :

أ — غاية الحديث الإلهي عن إيمان إبراهيم هو إعلان طريق البر الحقيقي خلال الإيمان ... فقد تبرر إبراهيم بالإيمان لكى نتبرر نحن أيضاً معه كأبناء له نحمل ذات إيمانه . وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم ، لثلا يقول المستمع ، مالنا نحن بهذا ؟ لذلك ربطنا نحن بأبينا إبراهيم ، فتبرر مثله ، لأننا نؤمن بنفس الإله الذى

آمن به ابراهيم ، وثق في ذات الأمور التي وثق فيها ، فما حدث لإبراهيم ليس خاصاً به وحده وإنما يحدث مع الكل .

ب — إن كان ابراهيم قد نال وعداً بخصوص نسله ، يتحقق هذا الوعد فينا بصلب السيد المسيح وقيامته الذي هو من نسل إبراهيم حسب الجسد . إبراهيم آمن بنيل بركة مستقبله خلال نسله ، إذ يقول السيد : « أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرعى يومي فرأى وفرح » يو ٨ : ٥٦ ، أما نحن فقد تمتعنا بهذا الوعد بصلب السيد المسيح وقيامته .

يقول العلامة ترتليان : [ها أنتم ترون حكمة الله كيف ذبحت ذبحها (أم ٩ : ٢) ، البكر الإبن الوحيد يحيا ويرد الآخرين للحياة . أقول ان حكمة الله هو المسيح الذي بذل ذاته لأجل خطايانا ^(١١٢)] .

ج — إذ يحدثنا الرسول بولس عن إيمان إبراهيم ، يقدم لنا ملخصاً لإيماننا ، غالباً ما كان نصاً كنسياً تسلمه الرسل وسلموه ، ألا وهو : « أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا » ع ٢٥ .

لقد أسلم للصليب بإرادة الآب (رو ٨ : ٣٢ ؛ نمل ١ : ٣) كما بإرادته هو (غل ٢ : ٢٠ ؛ أف ٥ : ٢ ؛ تي ٢ : ١٤) ليكفر عن خطايانا (٣ : ٢٥ ، أش ٥٣ : ٥ ، ٦ ؛ عب ٩ : ٢٨ ؛ ١ بط ٢ : ٢١ ، ٢٤) ؛ واقم ليهبنا برّه عاملاً فينا ، إذ نحمل الحياة الجديدة المقامة .

+ + +



إذ يعالج الرسول بولس موضوع انتساب اليهود لأبينا إبراهيم حسب الجسد أبرز أن إبراهيم قد تبرر وهو في الغرلة وكما وهو في الختان خلال إيمانه ليحمل أبوة صادقة روحية لكل مؤمن حقيقى . والآن يود الرسول بطريقة غير جارحة أن يظهر رجل الإيمان الأعظم إبراهيم ، انه ابن آدم ، أحد هؤلاء الذين سقطوا تحت مملكة الموت بسبب عصيان آدم ، فكان محتاجاً إلى من يبرره ... بمعنى آخر خلال الظلام والرموز تبرر إبراهيم نفسه ببرّ المسيح إذ بدون إيمان لم يكن ممكناً أن يتبرر ، وكما قال القديس جيروم : [قبل مجيء المسيح كان إبراهيم في الموضع السفلية بينا بعد مجيئه صار اللص في الفردوس ^(١١٣)] .

كأن الرسول يود أن يوجه انظار الكل — اليهود والأُمم — إلى برّ المسيح الذى إشتهاه إبراهيم نفسه (يو ٨ : ٥٦) عوض الافتخار بالانتساب لإبراهيم حسب الجسد .

بدأ الأصحاح بالكشف عن ثمر برّ المسيح ، ليحدثنا عن حالنا كابناء لآدم ، من بيننا إبراهيم نفسه ، ثم عن حالنا خلال آدم الثانى أو الجديد .

- | | |
|-------------------------|-----------|
| ١ — ثمار برّ المسيح | ١ — ١١ . |
| ٢ — آدم وبنوه تحت الموت | ١٢ — ١٤ . |
| ٣ — آدم الثانى والنعمة | ١٥ — ٢١ . |

+ + +

١ — ثمار برّ المسيح

كعادة الرسول بولس قبل أن يبرز الجانب السلبي وهو خضوع آدم وبنيه تحت حكم الموت بسبب العصيان ، بما فيهم رجل الإيمان ابراهيم ، ابرز في إيجابية ثمار برّ المسيح التي يتمتع بها كل أبناء ابراهيم الروحيين ، والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

- أ — التمتع بالسلام مع الله (ع ١) .
- ب — نعمة حاضرة ورجاء لمجد أبدي (ع ٢) .
- ج — إرتفاع فوق الضيقات (ع ٣ ، ٤) .
- د — عطية الروح القدس واهب الحب (ع ٥) .
- هـ — اختبار محبة الله بالصليب (ع ٦ — ١١) .

ويلاحظ في هذه الثمار الفائقة الآتي :

أ — نعم بلقاء الثالوث القدوس ونختبر حبه وعمله فينا : (سلام مع الله الأب ، إنسكاب الحب بالروح القدس الساكن فينا ، اختبار للحب الالهي بصليب ربنا يسوع المسيح) .

ب — ثمار على مستوى أبدي إذ نعم بمصالحة ابدية ومجد أبدي ... لكننا ننال العربون حاضراً الآن في حياتنا : « هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون » ع ٢ .
الآن في أكثر تفصيل نتحدث عن هذه الثمار :

أولاً : التمتع بالسلام مع الله

« فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله برنا يسوع المسيح » ع ١ .

يبدو لي أن « السلام مع الله » هنا يحمل معنى غير السلام من الله (رو ١ : ٧) أو « سلام الله الذي يفوق كل عقل » في ٤ : ٧ ، فإن السلام الإلهي الذي نعم به إنما هو « سلامنا الداخلي » الذي يهبه الله كعطية روحية يعطى للإنسان إنسجماً في الغاية والسلوك فيعمل الإنسان بنفسه كما بجسده بسلام الله

لحساب الملوكوت ، كما يهبه سلاماً مع الآخرين مشتاقاً ان يبدل كل حياته لحسابهم في المسيح يسوع ؛ أما « السلام مع الله » فيعنى تغيير شامل لمركزنا من حالة العداوة التى كنا فيها إلى حالة بنوة وحب وصداقة ... أو تعنى إنطلاقنا من حالة الانحدار التى بلغناها بسبب خطايانا وعصياننا لندخل خلال الدم إلى حالة مصالحة مع الآب ، فنحسب بالمسيح يسوع الابن الوحيد أبناء له موضع سروره ورضاه . هذا هو أول ثمر « برّ المسيح » ، اننا نختفى فيه لنحسب أبراراً فيه ومصلحين نحيا كأبناء في سلام حقيقى مع الآب . بذات الفكر يقول معلمنا بطرس الرسول : « فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا ، البار من أجل الأثمة ، لكى يقربنا إلى الله » ١ بط ٣ : ١٨ .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [ماذا يعنى « لنا سلام » ؟ يقول البعض : ألا نكون على خلاف بإرتكاب معاصى ضد الناموس ، أما بالنسبة لى فأظن أن ماجاء هذا يخص مناقشتنا لأنه بعدما تحدث كثيراً عن موضوع الإيمان ، وقد وضعه قبل البر بالأعمال فلكلا يظن أحد من ان ماقاله يُحسب أساساً للتهاون لذلك قال : « ليكن لنا سلام » ، بمعنى « ليتنا لا نخطيء بعد » ، « ليتنا لا نعود مرة أخرى إلى حالنا القديم » ، إذ يسبب هذا حرباً مع الله . كيف يمكن تحقيق هذا ؟ إن كنا ونحن نحتمل خطايا كثيرة هكذا نتحرر منها جميعاً بالمسيح ، فإننا بالأكثر نستطيع أن نبقى على هذا الحال بالمسيح . فإن ثمة فارق بين تقبلنا السلام حيث لم يكن موجوداً ، وبين إحتفاظنا به حين يكون لدينا ، لأن نواله أصعب من الإحتفاظ به بالتأكيد ، ومع هذا فإن ما هو أصعب صار ميسوراً وتحقق . لذلك يلزمنا أن نسعى وراء ما هو أسهل بالتصاقنا بالمسيح الذى وهبنا ما هو أصعب ... إن كان قد صالحننا فى الوقت الذى كنا فيه فى حرب مع الله ، فمن المعقول أن نبقى فى حالة المصالحة (١١٤) ...] .

بمعنى آخر نحن الذين كنا فى حالة عداوة مع الآب صرنا فى سلام معه برينا يسوع ، فكم بالاكتر وقد تصالحننا معه ان نبقى هكذا ، لكن ليس بجهادنا الذاتى وإنما برينا يسوع نفسه ... لنبقى فى « سلام » كعطية إلهية وفى نفس الوقت دخول فى علاقة قربى معه ! يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [إن كان قد أحضرنا إليه

لنكون قريبين منه عندما كنا بعيدين ، كم بالأكثر يحفظنا الآن ونحن قريبون ؟ ! ^(١١٥)] .

ثانياً : نعمة حاضرة ورجاء لمجد أبدي

« الذى به أيضا قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله » ع ٢ .

لم يعد الزمن يمثل رعباً بالنسبة لنا ، فالماضى بالنسبة للكثيرين مفقود والحاضر مؤلم والمستقبل مجهول ، أما وقد دخلنا بالإيمان إلى « برّ المسيح » صار الماضى بركة لنا إذ نرى أحداث الفداء التى عبرت كتاريخ لا تزال حية وفعّالة فى أعماقنا وتصرفاتنا ، وصار الحاضر بالنسبة لنا مفرحاً إذ نسلك « بالنعمة الإلهية » متمتعين بالسلام مع الله ، أما المستقبل فمكشوف إذ نعيش على « رجاء مجد الله » . هكذا لم يعد الزمن بالنسبة لنا مرعباً ولا مفقوداً ، الماضى حاضر بالنسبة والحاضر عربون المستقبل ، والمستقبل حالّ خلال عربون الحاضر ...

الإيمان بالمصلوب فتح لنا بال « النعمة التى نحن فيها مقيمون » ، نعمة البنوة التى نلناها فى مياه المعمودية بالروح (يو ٣ : ٥) ، خلالها نختبر أحداث الصلب والقيامة كحياة واقعية حاضرة ونعتز بالتمتع بمجد الله الأبدى ، بكوننا « ورثة الله ووارثون مع المسيح » رو ٨ : ١٧ .

يلقى القديس يوحنا الذهبى الفم على هذه العبارة الرسولية قائلاً :

[إسمحو لى أن أسألكم أن تتأملوا كيف يؤكد الرسول فى كل موضع نقطتين : جانب الله ، وجانبنا . فمن جانب الله — كيفما كان — توجد أمور كثيرة ، عديدة ومتنوعة ، إذ مات من أجلنا وصالحنا وجبلنا إليه ووهبنا نعمة لا ينطق بها . أما نحن فمن جانبنا نقدم إيماناً (حياً) فقط ، لذلك يقول : « بالإيمان إلى هذه النعمة » . إخبارنى : أية نعمة هذه ؟ أنك حُسبت أهلاً لمعرفة الله ، وأُنزعت عن الخطأ وتعرفت على الحق ونلت كل بركات المعمودية ؟ ! لأن غاية إحضارنا إليه هو تقبل هذه العطايا . فإننا لم نل غفران الخطايا فحسب لنكون مصالحين ، وإنما لننال بركات لا حصر لها .

لم يقف عند هذا الحد إنما وعدنا ببركات أخرى ، بركات لا يُنطق بها ، تفوق الإدراك واللغة ، لهذا لم يحدثنا عنها . فبإشارته للنعمة أوضح ما نلناه حالياً ، ويقول : « ونفتخر (نبتهج) على رجاء مجد الله » ع ٢ يكشف عن كل الأمور العتيدة .

حسناً قال : « التى نحن فيها مقيمون » ، لأن هذه هى طبيعة نعمة الله أنها بلا نهاية ولا تعرف الحدود ، بل على الدوام تنعم بأمور أعظم ، على خلاف ما يحدث فى الأمور البشرية . أعطيك مثلاً لما أقصده : إن نال انسان سيادة ومجداً وسلطاناً لا يقيم فى هذه الأمور على الدوام إنما سرعان ما تُسحب منه . فإن لم يسحبها منه إنسان آخر يأتية الموت الذى يسحبها منه بالتأكيد . أما عطايا الله فليست من هذا النوع ، إذ لا يستطيع إنسان ولا ظروف ولا كوارث ولا حتى الشيطان أو الموت أن يسلبها ، بل بالعكس عندما يحل الموت تتأكد بالأكثر ملكيتها لها وثبوتنا فيها ويزداد تمتعنا بها أكثر فأكثر ... لهذا يقول : « نبتهج على رجاء مجد الله » ، لكى تتعلم ما هى النفس التى يليق بالمؤمن أن تكون له . ليس فقط نعرف ما هى العطايا التى تُقدم وإنما لمن تقدم ، فتمتلىء ثقة أنها قدمت فعلاً ، إذ يبتهج الإنسان بكونه قد نالها فعلاً ... وقد دعاها « مجداً » ؛ إذ هى شركة فى مجد الله ^(١١٦) ...] .

هكذا يركز القديس يوحنا الذهبى الفم على تعبير « مقيمون فيها » علامة إستمرارية عمل نعمة الله فى حياتنا متى خضعنا لها وقبلناها متجاوبين معها ، ولا يقف الأمر عن الاستمرارية وإنما تزداد قوة فينا وبهاء مع الزمن حتى متى بلغنا الخروج من هذا العالم ننعم بالشركة فى المجد الإلهى .

ثالثاً : الإرتفاع فوق الضيقات

ربما يتساءل البعض : إن كان الإيمان بالمسيح يدخل بنا إليه لنحمل برّه فينا ، فننعم بالسلام مع الله ، وإذ نقيم فى هذه النعمة ينفتح قلبنا على رجاء المجد الإلهى ، فما هو عمل هذا البرّ فى حياتنا وسط الضيقات التى لا تنقطع ؟

يجيب الرسول على هذا التساؤل معلناً ان السيد المسيح ببرّه الذى يهبه لنا لا ينزع عنا الضيقات بل يرفعنا فوق الضيقات فنجتازها أو تعبر هى بنا ونحن فى إعتراز

نراها سرّ تزكيتنا أكثر فأكثر ، فلا يتحطم رجاءها باليأس بل بالعكس يلتهب رجاءنا في المجد خلال صبرنا في الضيق ، إذ يقول : « وليس ذلك فقط بل نفتخر (نتمجد) أيضاً في الضيق عالمين أن الضيق ينشئ صبراً ، والصبر تزكية ، والتزكية رجاء » ع ٤ .

كأن عمل المسيح لا يمس المجد الأبدي فحسب وإنما يمس حياتنا اليومية لا بتغيير الظروف المحيطة بنا لننعم بسلام زمني ، وإنما بتغيير القلب الداخلي والفكر ، فتسمو فوق الآلام ، إذ نراها طريق الشركة مع المسيح المتألم وسبيل التمتع بالتزكية خلال الصبر . وكما يقول القديس بطرس : « لكي تكون تزكية إيمانكم وهي أئمن من الذهب الفاني مع أنه يُمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة والمجد » ١ بط ١ : ٧ ، ومعلمنا يعقوب : « طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة » يع ١ : ١٢ .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم :

[فانه حتى في الضيقات الحاضرة تعطينا (نعمة الله) القدرة على تلاقؤ ملاحنا ، وتجعلنا بالأكثر مستحقين لمكافأتنا ...

الآن ، لتأمل عظمة الأمور المقبلة فإنه حتى بالنسبة للأمور المسية الحزن نفرح . عظمة هي عطية الله ، ليس فيها شيء كره ، لأنه في الخيرات الخارجية يسبب الجهاد من أجلها تعباً وألماً وضيقاً كمرافق لها ، لكن الأكاليل والمكافآت ترد البهجة معها . أما هنا فالحال مختلف لأن نكهة الضيقات فيها بالنسبة لنا لا تقل عن نكهة المكافآت . ففي هذه الأيام توجد تجارب ثانوية لكن يوجد رجاء في الملكوت ؛ يحلّ الرعب الآن لكن يوجد توقع للخيرات ... إنه يعطي جزاء هنا قبل نوال الأكاليل بالقول أنه يجب أن « نتمجد (نفتخر) بالضيقات » ... مقدماً نفسه مثلاً لهم لتشجيعهم ... يتمجدون فيها ليس فقط من أجل الأمور المقبلة وإنما أيضاً من أجل الحاضر ، فإن الضيقات صالحة في ذاتها . كيف هذا ؟ لأن الضيقات تعطينا مسحة « الصبر » ، لذلك بعد قوله اننا نتمجد بالضيقات قدم السبب هكذا : « عالمين أن الضيق ينشئ صبراً » ...

« والصبر تزكية ، والتزكية رجاء » . فالضيقات التي هي (بالطبيعة) بعيدة عن الرجاء تصير تزكية للرجاء ومؤكدة له . فإن قبل نوال الأمور المقبلة ينشئ الضيق ثمراً عظيماً جداً هو « الصبر » ، فيجعل من الانسان المجرب صاحب خبرة ؛ وفي نفس الوقت يساهم إلى درجة ما في الأمور المقبلة إذ يهب رجاءً ملتهباً فينا ، فانه ليس شيء يجعل الإنسان يميل إلى الرجاء في البركات مثل الضمير الصالح ... نعم يهب رجاءً ، لكنه ليس رجاءً بشرياً غالباً ما يزول ، ويُخزي من يتوقعه ... لا فإن نصيبنا ليس هكذا ، إنما رجاؤنا أكيد وثابت ، لأن مقدم الوعد حتى إلى الأبد ، ونحن الذين نتمتع به وان كنا نموت لكننا سنقوم ثانية ، فلا يخزي رجاؤنا ^(١١٧) ...] .

يشعر القديسون ببركة الضيق في هذا العالم ، إذ يمجدهم داخلياً في عيني الله ، لكي يتجلى هذا المجد بالأكثر في الحياة العتيدة ، لذلك يقول القديس جيروم : [لا يطلب القديس الراحة بل الضيق ^(١١٨)] .

إن رجعنا الى كلمات القديس يوحنا الذهبي الفم نلاحظ نظرتة الانجيلية العجيبة لتعبير « الصبر » ، فانه لا يتطلع إليه مجرد جهاد بشري أو قدرة انسانية على احتمال الضيق وإنما يراه « مكافأة » ... كيف يكون هذا ؟ لان « الصبر » هو سمة تمس حياة السيد المسيح ، الذي قيل عنه : « احتمل الصليب مستهيناً بالخزي ... فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا في نفوسكم » عب ١٢ : ٢ ، ٣ . مرة اخرى يقول الرسول : « الرب يهدي قلوبكم إلى محبة الله وإلى صبر المسيح » ٢ تس ٣ : ٥ . اذاً فالصبر هو عطية إلهية ، او هي شركة في « صبر المسيح » تعطى عذوبة للنفس وسط الآلام ، أو قل مجداً خفياً وسط الضيقات . هذا ما اكده القديس يوحنا الحبيب بقوله : « شريككم في الضيقة وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره » رؤ ١ : ٩ .

اذن الضيق ينشئ صبراً ، هو شركة في صبر المسيح !!!

رابعاً : عطية الروح واهب الحب

إن كان السيد المسيح يعلن برّه فينا برفعنا داخلياً فوق الآلام وجعلها مصدر مجدّ حتى في هذا الزمان الحاضر ، لنحتمل الضيقات بصبر المسيح على رجاء المجد

الأبدى ، فانه من جانب آخر يهبنا بروحه القدوس « محبة الله » منسكبة في قلوبنا لكي تسندنا فلا يخزي رجاؤنا ... بمعنى آخر ان صبرنا في التجارب واحتمالنا للألم لا يقف عند قوة عزيمتنا أو إمكانياتنا البشرية إنما على عمل الله فينا ، إذ يسكب حبه بفيض على المجاهدين روحياً لأجل اسمه وبقوة نعمته .

يقول الرسول : « والرجاء لا يخزي لأن محبة الله قد إنسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » ع ٥ . سرّ القوة في الضيق ، وانفتاح الرجاء في قلوبنا عطية الروح القدس الساكن فينا ، إذ يهبنا محبة الله غير المتغيرة بفيض ، قائلاً : « إنسكبت » وكأنها تُعطى بلا حساب كمن تنسكب من السماء لتمام القلب .

+ لم يقل الرسول « قد أعطيت » بل قال : « إنسكبت في قلوبنا » ليظهر فيضها . هذه العطية التي هي العظمى ، فإنه لم يهبنا السماء ولا الأرض ولا البحر ، إنما ما هو أثمن من هذا كله ، فجعلنا نحن البشر ملائكة ، نعم بل أبناء الله وإخوة المسيح . لكن ما هي هذه العطية ؟ الروح القدس ! لم لم يكن يريد أن يقدم لنا أكاليل عظيمة على جهادنا لما وهبنا مثل هذه العطايا القادرة أن تسندنا في جهادنا . هنا يعلن دفء محبته التي يكرمنا بها لا تدريجياً ولا شيئاً فشيئاً وإنما يسكبها بفيض بكونها ينبوع بركاته ، وذلك قبل صراعنا .

هكذا وإن كنت لست مستحقاً بالمرّة لكنه لم يزدرك بك بل وهبك حب ديانك كمعين قدیر يسندك . لهذا يقول الرسول : « والرجاء لا يخزي » ، ناسباً كل شيء لمحبة الله وليس لأعمالنا الذاتية الصالحة .

بعدما أشار إلى عطية الروح القدس عاد ليتحدث ثانية عن الصليب .

القديس يوحنا الذهبي الفم^(١١٩)

+ كأنه يقول إن محبة الله قد إنسكبت في قلوبنا بالروح القدس الساكن فينا ... سامية هي فضيلة الحب المبجلة ، إذ يعلن الرسول الطوباوى يوحنا انها ليست فقط تنسب لله بل هي الله : « الله محبة » ، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه « ١ يو ٤ : ١٦ .

الأب يوسف^(١٢٠)

+ بهذا (القول الرسولى) نفهم أن الروح القدس ليس عملاً وإنما هو المدير وينبوع الحب الإلهى الفائض .

القديس أمبروسىوس (١٢١)

+ كما أن جسدك إن صار بلا روح أى بدون نفسك يكون ميتاً ، هكذا نفسك بدون الروح القدس ، أى بدون المحبة ، تُحسب ميتة .

+ إن كان حب الله المنسكب فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا يجعل النفوس الكثيرة نفساً واحدة ، والقلوب الكثيرة قلباً واحداً ، فكم بالحرى يكون الآب والإبن والروح القدس الله الواحد ، النور الواحد ، والبدء الواحد ؟ !

+ إذ نكون أعضاء تربطنا الوحدة معاً ؛ ما الذى يقيم هذه الوحدة إلا الحب الذى يربطنا معاً ؟ !

+ ليكن لك حب فيكون لك الكل ؛ وبدونه كل ما يمكن أن يكون لك لا ينفعك شيئاً . إنما ما يجب أن تعرفه هو أن الحب الذى نتكلم عنه يشير إلى الروح القدس . إسمع ما يقوله الرسول : « محبة الله قد إنسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » .

القديس أغسطينوس (١٢٢)

+ [عن عمل الروح القدس فى قلوب الشهداء بسكب حب الله فيهم] .
لقد جعلهم شهداء بالروح القدس الفعّال فيهم ، إذ يجعلهم يحتملون أتعاب الإضطهادات من كل نوع ، ويصيرون متلألئين بالنار اءلاهية ، فلا يفقدون دفء محبتهم للكراسة .

القديس أغسطينوس (١٢٣)

+ إنه يقول : « محبة الله المنسكبة فى قلوبكم » ؛ ولكى لا يظن أحد أن محبة الله هى من عندياته يضيف : « بالروح القدس المعطى لنا » . لذلك لكى تحب الله دع الله يسكن فيك ، فيكون « الحب » ذاته فيك ، بمعنى ان محبته تحرك وتلهيك وتنيرك .

+ لا تتقبل الملائكة ولا البشر الحكمة إلا بالشركة في هذه الحكمة التي نتحد بها بالروح القدس الذي يسكب الحب في قلوبنا .

القديس أغسطينوس^(١٢٤)

+ [الحب الالهى المنسكب في قلوبنا بالروح القدس يهبنا لا قدرة على تحقيق الوصايا الناموسية فحسب وإنما لذة في تحقيق الوصايا الانجيلية التي تبدو صعبة ومستحيلة :]

« لأن محبة الله قد إنسكبت في قلوبنا بالروح القدس » رو ٥ : ٥ .

بهذا يُنزع عنا كل إهتمام بأى أمر آخر ، ولا يرغب (المؤمن) في صنع ما هو ممنوع منه ، أو يهمل فيما قد أمر به . لكن إذ يكمل كل هدفه وكل إشتياقه في الحب الإلهى على الدوام ، لا يقع في التلذذ بالأمور التافهة ، بل ولا يطلب حتى الأمور المسموح له بها .

فتحت الناموس يسمح بالزوجات الشرعيات ، وهذا فيه قمع للذة والخلاعة مكتفياً الإنسان بامرأة واحدة ، لكنه لا يبطل بهذا وخزات الشهوة الجسدانية ، ويصعب إطفاء النار المتقدة والتي تمون بوقود دائم ، حتى لا تخرج إلى الخارج ... أما الذين تضرهم نعمة المخلص بحب الطهارة المقدس ، فإنهم يهلكون كل إشاوك الشهوات الجسدية بنار الحب الإلهى ...

كذلك من يقنع عند حد دفع العشور والبكور ... بالتأكد بخطيء في طريقة التوزيع أو كميته ... أما الذين لم يزداروا بنصيحة الرب بل تركوا كل ممتلكاتهم للفقراء وحملوا صليبهم وتبعوا مانح النعمة لا يكون للخطية سلطان عليهم ، إذ لا يساورهم القلق من جهة طعامهم اليومي ... فالشخص الذى يدفع العشور والبكور ... يستحيل عليه أن يتخلص من سلطان الخطية ، إما الذى تبع نعمة المخلص ، فانه يتخلص من حب الإمتلاك ...

الأب ثيوداس^(١٢٥)

خامساً : اختبار محبة الله بالصليب

إذ يتحدث الرسول عن « برّ المسيح » يربط عمل الأقتوم الثانى أى كلمة الله المتجسد (السيد المسيح) بعمل الأقتومين الأول والثالث ، فخلال برّ المسيح يعمل

الاب إذ يهبنا روحه القدوس (الاقنوم الثالث) ساكننا فينا يسكب الحب الإلهي في أعماقنا . بمعنى آخر « الإنسان » هو موضوع لذة الله الواحد المثلث الأقانيم ، يعمل فيه بلا إنقطاع ليبلغ به إلى أمجاده كأبن وحبيب وصديق حيناً معه أبدياً .

هكذا يعمل الثالوث القدوس فينا فيسكب حب الله في قلوبنا ، الذي تجلى في كمال أعماقه خلال عمل المسيح الخلاصى ، إذ يقول الرسول :

« لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين لأجل الفجار . فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار ، ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت ، فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب .

لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ، فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته .

وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً بالله برينا يسوع المسيح الذى نلنا به المصالحة » ع ٦ - ١١ .

هذا هو ما يعلنه الروح القدس فينا : محبة الله الفائقة لمصالحتنا خلال الصليب ؛ ويلاحظ في هذا الإعلان الآتى :

أ - يسمى الرسول هذا الإعلان « سكب محبة الله في قلوبنا » ، فهناك فارق بين المعرفة الفكرية للصليب التى يمكن أن تتمتع بها خلال دراسة الكتاب المقدس ، خاصة خلال شهادة الناموس والنبوات التى مهدت أفكارنا لإدراك سرّ الفداء ، أو سرّ محبة الله بالصليب ، وبين معرفة الخبرة التى يهبها الروح لأعماقنا فى الداخل ، حيث ينطلق بالنفس إلى الصليب لتلتقى بعريسها المصلوب وتذكر حبه لها شخصياً ، فتلهب بنيران المحبة الحقة ، وتشتهى أن ترد الحب بالحب .

ب - هذه المحبة التى يسكبها الروح فينا ليست بمجديدة بالنسبة لله ، فهى فى تديره الأزلى ، لكنه حققها فى الوقت المناسب لخلاصنا ، أو « فى الوقت المعين » ، أو فى « ملء الزمان » ، اذ قيل : « ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ، ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبني » غل ٤ : ٤ ، ٥ .

ج — قدم الله هذا الحب من أجلنا ، وقد دعانا « ضعفاء » ، « الفجار » ، فمن جهة كنا ضعفاء مغلوبين بالخطية ساقطين تحت سلطان عبوديتها ، وفي نفس الوقت « فجاراً » إذ لم نستسلم لها عن ضعف فحسب وإنما إلهيت فينا فصرنا نمارسها بعنف بكمال حریتنا ، عن معرفة أيضاً وفي تهور .

كخطاة نشعر اننا ضعفاء في حاجة إلى طبيب يعالج ضعفنا واهباً إيانا القوة عوض الضعف ؛ وفجار نحتاج إلى القدوس يهبنا الاتحاد معه لينزع فسادنا وتجبرنا ممارسين قداسته فينا .

د — أراد إظهار عظمة محبة الله لنا ، إذ قدم السيد المسيح حياته لنا ونحن ضعفاء وفجار ، فبحسب المنطق البشري بالجهد أو بالكاد يمكن لأحد أن يموت عن بار ، وربما يجسر أحد ويخاطر بحياته من أجل صالح ، أما أن يموت أحد عن فاجر شرير ، فهذا يبدو مستحيلاً !

ما الفارق بين البار والصالح ؟ جاء في كتب رباني اليهود أن البار هو من يقول لجاره كل ما هو لي فهو لي وكل ما هو لك فهو لك ، وأن الصالح يقول لجاره كل ما هو لك فهو لك وكل ما هو لي فهو لك^(١٢٦) . بمعنى آخر البار يسلك بالعدل ، فيعطى كل إنسان حقه ، متمسكاً بحقه هو أيضاً ، أما الصالح فيسلك بالحب يود أن يعطى ماله للآخرين . أما في مفهومنا المسيحي فالبار هو من يحمل برّ المسيح فيه ، والصالح هو من يحمل صلاح المسيح فيه ؛ وكأن البر والصلاح في حياتنا هما تجلي سمنا المسيح في حياتنا .

لم يمت السيد المسيح من أجل صالحين وأبرار وإنما من أجل الخطاة المقاومين له ، الذي حملوا له العداوة .

+ إن كان من أجل إنسان فاضل لا يسرع أحد بالموت عنه ، فتأمل محبة سيدك إذ صُلب لا من أجل أناس فضلاء بل من أجل خطاة وأعداء .

القديس يوحنا الذهبي الفم^(١٢٧)

+ أحبنا حتى ونحن نمارس العداوة ضده ، ونرتكب الإثم ، ومع ذلك فبحق كامل قيل : « يارب أبغضت جميع فاعلي الإثم » مز ٥ : ٥ . بهذا فإنه لأمر عجيب

والله إنه حتى حيث يبغضنا يحبنا ، إذ هو يبغض فينا ما لم يخلقنا عليه ...
يبغض ما لم يصنعه فينا ، ويحب ما خلقه فينا (يبغض الشر ويحب النفس
مشتاقاً إلى خلاصها) .

القديس أغسطينوس (١٢٨)

هـ — إذ يحدثنا الرسول عن « برّ المسيح » الذى تُعلن مكافأته بكمالها فى الحياة
العتيدة الأبدية ، يرى القديس يوحنا الذهبى الفم (١٢٩) ان الرسول أراد فى هذا
الأصحاح تأكيد التمتع بالوعود الإلهية الخاصة بالمجد الأبدى ، وذلك بالبراهين
التالية :

- * الإيمان بالله الذى وعد أنه قادر أن يحقق وعده (ع ١) .
- * النعمة التى وهبت لنا ونحن مقيمون فيها فعلاً (ع ٢) .
- * الضيقات التى تقدم لنا رجاءً (ع ٣ ، ٤) .
- * عطية الروح القدس الذى نلناه يسكب حباً فى قلوبنا (ع ٥) .
- * أخيراً موت المسيح بطريقة مملوءة حباً ، فقد مات ، ومات من أجل الخطاة لا
الأبرار ، مات ليصالحنا ويخلصنا ويبررنا فيجعلنا خالدين وأبناء وورثة ... دون حاجة
إلى أن يموت مرة أخرى .

هكذا ينتقل بنا الرسول من برهان إلى آخر ، تارة خلال إيماننا بالله الذى وهبنا
سلاماً معه فصرنا قريين إليه ، وأخرى خلال نعمته العملية التى نقيم فيها فتفتح
بصيرتنا للرجاء فى السمويات ، وثالثة خلال عمله معنا وسط الضيق فيحوله إلى مجد
نتذوق عربونه ، ورابعاً خلال روحه القدوس الساكن فينا يعلن حب الله بلا حدود ،
وأخيراً خلال التأمل فى حراجات الرب وصلبه ! هذه البراهين كلها تدفعنا نحو الثقة
الكاملة فى مواعيده الإلهية للتمتع بشركة أمجاده .

و — لا يقف الأمر عند اليقين بنوال الامجاد الأبدية ، إنما يقول
الرسول : « وليس ذلك فقط بل نفتخر (نفرح) أيضاً بالله بربنا يسوع المسيح
الذى نلنا به الآن المصالحة » ع ١١ ... ماذا يعنى هذا ؟

يرى القديس يوحنا الذهبى الفم اننا ليس فقط ننعم ببركات الخلاص هنا ،
نترجى الامجاد الابدية انما يصير الله نفسه مجدنا وفخرنا وفرحنا ... تعامل معنا

كصديق مع أصدقائه ، وحبيب مع محبوبيه ، حتى اننا نفرح به أكثر من الملكوت (لو أن الملكوت أمر غير الله) ، نريد شخص الله ذاته .

بمعنى آخر نلنا المصالحة لا لننعم بشيء إنما ما هو أعظم أننا صرنا أحبباء الله ليس فقط نقف بجوار مجده كالقوات السماوية المحبة له ، إنما نحمله ساكناً فينا جالساً على العرش !

ز — اذ يتأمل القديس كبريانوس في محبة الله هذه كما وردت في هذه العبارات الرسولية ، يقول : [إذ نتأمل محبته ورحمته يليق بنا ألا نكون قساة ولا عنفاء ولا صارمين في تبكيت الإخوة بل نحزن مع الحزاني ، ونبكي مع الباكين ، ونرفعهم قدر ما نستطيع خلال عون وتعزية حبنا لهم ، فلا نكون قساة جداً ومتشبتين معهم نصدهم في توبتهم كما لا نكون متراخين جداً ومتساهلين بتهور في قبول الشركة ^(١٣٠)] .

٢ — آدم وبنوه تحت الموت

حديث الرسول بولس عن البنوة الجسدية لإبراهيم نقلنا إلى حاجة إبراهيم نفسه إلى برّ المسيح خلال الإيمان ، موضحاً ثمر برّ المسيح في حياة المؤمن ... والآن يوضح الرسول خضوع كل بني آدم — بما فيهم إبراهيم طبعاً — للموت ، لكي يعلن حاجة الكل إلى نعمة المسيح وبره ، إذ يقول :

« من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع .

فانه حتى الناموس كانت الخطية في العالم ، على أن الخطية لا تحسب إذ لم يكن ناموس .

لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى ، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم الذي هو مثال الآتي » ع ١٢ — ١٤ .

في هذا الحديث أوضح الرسول الآتي :

أولاً : فضح علة دخول الموت إلى البشرية وسلطانه عليها لكي يبرز بعد ذلك

قوة تبريرنا بالسيد المسيح غالب الموت . يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [كما يبذل أفضل الأطباء كل الجهد لاكتشاف مصدر الأمراض ويبلغون أصل الداء عينه هكذا فعل الطوبايوى بولس أيضاً ، فبعدما قال أننا قد تبررنا ، مؤكداً ذلك خلال البطريك (إبراهيم) ، والروح (القدس) ، وموت المسيح (لأنه ما كان ليموت إلا ليبر) ، أخذ بعد ذلك يؤكد ما سبق أن أوضحه بإسهاب خلال مصادر أخرى ، محققاً هدفه ببرهان آخر مضاد أى الموت والخطية ^(١٣١)] .

كأن الرسول يسأل : متى دخل الموت ؟ وكيف غلب ؟ ، فيجيب : « من أجل ذلك كأنما بانسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » ع ١٢ . لقد أظهر أن الخطية بدأت بالإنسان الأول وتملك الموت غالباً إياه ، وقد صار الكل مخطئين وإن لم يسقطوا في ذات المعصية ... صارت الخطية منتشرة في الطبيعة البشرية لكنها غير مكتشفة حتى جاء الناموس فظهرت بعصيان الإنسان لوصايا معينة : « فانه حتى الناموس كانت الخطية في العالم على أن الخطية لا تحسب إن لم يكن ناموس » ع ١٣ .

دبت بذار الموت مع الخطية منذ آدم لكن الموت لم يكن ثمرة عصيان للناموس بل ثمرة عصيان أبينا آدم ... ملك الموت على الذين لم يخطئوا بعصيان الناموس إنما خلال شبه تعدى آدم الذى هو مثال الآتى (ع ١٤) .

+ فى آدم سقطت أنا ، وفيه طردت من الفردوس ، وفيه مت ، فكيف يردنى الرب إلا بأن يمجدينى فى آدم مذنباً ، إذ كنت هكذا ، أما الآن ففى المسيح أتربر أنا .

القديس أمبروسيوس ^(١٣٢)

+ لذلك يقول : « إفرحوا أنا قد غلبت العالم » يو ١٦ : ٣٣ . هذا قاله كمصارع لائق ليس بكونه الله فحسب وإنما بإظهار جسدنا (الذى إلتحف به) كغالب للألم والموت والفساد .

لقد دخلت الخطية إلى العالم بالجسد ، وملك الموت بالخطية على جميع الناس ، لكن دنيت الخطية بذات الجسد فى شبهه (شبه جسد الخطية) ، فقد غلبت الخطية ، وطرد الموت من سلطانه ، ونزع الفساد بدفن الجسد

وظهور بكر القيامة ، وبدأ أساس البرّ في العالم بالإيمان ، والكراسة بملكوت السموات بين البشر ، وقيام الصداقة بين الله والناس .

القديس غريغوريوس صانع العجائب (١٣٣)

+ حتى الأطفال الذين لا يخطئون في حياتهم الشخصية إنما حسب الجنس البشرى العالم يكسرون عهد الله ، إذ أخطأ الكل في واحد .

القديس أغسطينوس (١٣٤)

ثانياً : يرى القديس إيريناؤس (١٣٥) انه بالخطية « ملك الموت من آدم إلى موسى » ع ١٤ ، أما وقد جاء الناموس في العصر الموسوى فقد إنفضحت الخطية وظهرت أنها خاطئة وأعلن أن الموت ليس ملكاً حقيقياً إنما هو مغتصب ومجرم يمثل ثقلاً على الإنسان .

ثالثاً : ماذا يقصد بعبارة « آدم الذى هو مثال الآتى » ع ١٤ ؟ يجب القديس يوحنا الذهبى الفم أنه كما بواحد صار الحكم على الكل بواحد أيضاً صار البرّ لكل المؤمنين . كما سقط الكل تحت الموت مع أنهم لم يأكلوا مع آدم من الشجرة ، هكذا قدم الخلاص للعالم دون فضل من جانبهم ، إنما يرجع الفضل لبرّ المسيح الذى يهبه خلال شجرة الصليب .

يؤكد القديس الذهبى الفم انه لا يفهم من هذا أن الخطية والنعمة متساويان ، ولا الموت والحياة عديلان ، لأن الشيطان والله ليسا متساويين !

رابعاً : ان كان الموت قد ملك على البشرية بسبب آدم ، فقد جاء كلمة الله متجسداً كآدم الثانى لينزع عن الانسان هذا السلطان القاتل :

+ من آدم إلى موسى ملك الموت ، لكن حضور الكلمة حطّم الموت (٢ تي ١ : ١٠) . لم يعد بعد في آدم يموت جميعنا (١ كو ١٥ : ٢٢) إنما صرنا في المسيح يحيا جميعنا .

القديس البابا أثناسيوس (١٣٦)

+ منذ القديم : « تسلط الموت من آدم إلى موسى » ، أما الآن فالصوت الإلهى يقول : « اليوم تكون معى في الفردوس » لو ٢٣ : ٤٣ . إذ يشعر القديس

بهذه النعمة يقول : « لولا أن الرب كان معي لهلكت نفسي في الهاوية » مز ٩٤ : ١٧ .

القديس البابا أثناسيوس (١٣٧)

+ إذ أخطأ الإنسان وسقط صار كل شيء في إرتباك بسقوطه ، وتسلب الموت من آدم إلى موسى ، ولعنت الأرض ، وانفتح الجحيم ، وأُغلق الفردوس ، وتكدرت السماء وأخيراً فسد الإنسان وتوحش (مز ٤٩ : ١٢) بينما تعظم الشيطان ضدنا . لذلك فإن الله في حبه الحاني لم يرد للإنسان الذي نُحلق على صورته ان يهلك ، فقال : « من أرسل ؟ ومن يذهب من أجلنا ؟ ! » إش ٦ : ٨ . وإذا صمت الكل قال الابن : « هأنذا أرسلني » ، عندئذ قيل له : « اذهب وسلم إليه الإنسان ، حتى إذ صار الكلمة جسداً ، فبأخذه الجسد أصلح الإنسان بكليته . لقد أُسلم إليه الانسان كما إلى طبيب ليشفيه من لدغة الحية ، فبهب الحياة وقيمه من الموت ويضيء عليه وينير الظلمة . إذ صار جسداً جدد الطبيعة العاقلة ... وردّ كل الأشياء إلى الصلاح والكمال .

القديس البابا أثناسيوس (١٣٨)

٣ — آدم الثاني والنعمة

إذ عرض لآثار الخطية الأولى التي إرتكبها آدم الأول فملك الموت على الكل ، حتى على الذين هم بلا ناموس مكتوب حيث لا يوجد عصيان ضد وصية معينة معلنة ، يعود فيعرض لآثار النعمة الإلهية التي يقدمها آدم الثاني ليخلص العالم من موت الخطية ويهب المؤمنين الحياة الأبدية ، مظهراً الفارق بين فاعلية الخطية وفاعلية النعمة .

« ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة ، لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد إزدادت للكثيرين » ع ١٥ .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [ما يقوله هو هكذا : إن كان للخطية آثاراً بعيدة المدى هكذا وهي خطية إنسان واحد ، فكم بالأولى تكون النعمة ، نعمة الله ، التي هي نعمة الآب والابن أيضاً يكون لها فيض ؟ ! ... ربما معاقبة إنسان من

أجل خطأ إرتكبه آخر يبدو غير مقبول ، لكن ما هو أكثر قبولاً ومنطقياً أن يخلص إنسان بسبب آخر ^(١٣٩) ...] .

« وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية ، لأن الحكم من واحد للدينونة ، وأما الهبة فمن جرى خطايا للتبرير » ع ١٦ .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [للخطية قوتها إذ تجلب الموت والدينونة ، وأما النعمة فلا تبرر خطية واحدة فحسب وإنما الخطايا التي تبعها أيضاً . وكلا يُقهر من الكلمتين « كما » ، « هكذا » تساوى البركات مع الشرور ، وكلا عند سماعك « آدم » تظن أن الخطية التي إرتكبها آدم هي وحدها التي تغفر ، لذلك يقول : « من جرى خطايا كثيرة للتبرير ... فقد تحقق التبرير بعد إرتكاب خطايا بلا حصر بعد الخطية التي أرتكبت في الفردوس .

حيث يوجد البر تتبعه بالضرورة الحياة بكل وسيلة ، ويرافقه بركات بلا حصر ، وذلك كما انه حيث توجد الخطية يحدث الموت . البر هو أكثر من الحياة ، وهو أصل الحياة ...

سبق فقال أنه إن كان بخطية واحد مات الكل فبالأولى نعمة الواحد لها سلطان أن تخلص ... عاد فأوضح أن النعمة ليست فقط تنزع الخطايا وإنما تهب البر . فالمسيح لم يقدم خيراً بقدر ما جلب آدم من أضرار ، وإنما أكثر جداً بما لا يقاس ^(١٤٠)] .

إن كنا قد ورثنا عن آدم عصيانه ، إنما حملنا هذه الطبيعة فينا ، لذا جاء السيد المسيح بنعمته يقدم لنا « طاعته » لنحيّاها ، فنحمل طاعة المسيح فينا ، لا كفضيلة خارجية وإنما كطبيعة تمس كيانتنا ، إذ يقول الرسول : « لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً » ع ١٩ . هذه الطبيعة المتبررة الجديدة ، طبيعة الطاعة للآب بإبنه ، تحمل إنعكاساً على كل تصرفاتنا فنشهى الطاعة لو أمكن للجميع ، وكما يقول القديس أمبروسيوس : [إذ كان هو مطيعاً ليتهم يقبلون تدير الطاعة ، الأمر الذي نلتصق به ، قائلين للذين يثيرون الشر ضدنا من جهة الامبراطور : « نحن نعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله » . نقدم الجزية لقيصر ولا ننكرها ، وننتهي للكنيسة التي

لا تخص قيصر. ، فإن هيكَل الله لا يمكن أن يكون من حق قيصر ^(١٤١)] .

عاد ليؤكد مرة أخرى انه لا وجه للمقارنة بين الضرر الذى أصابنا من الخطية مهما بلغ بالنسبة للخير الذى ننعم به خلال برّ المسيح ونعمته ، إذ يقول : « لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد ، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح » ع ١٧ .

يشرح القديس يوحنا الذهبى الفم هذه العبارة موضحاً ان الرسول لم يقل هنا « النعمة » بل « فيض النعمة » ، لأننا لم نل بنعمته زوال الخطية فحسب وإنما نلنا ما هو أكثر :

أ — نلنا التحرر من العقاب .

ب — التحرر من الشر .

ج — الميلاد الجديد من فوق (يو ٣ : ٣) .

د — القيامة أو الحياة المقامة .

وهبنا الخلاص والتبني والتقديس فصرنا إخوة للإبن الوحيد الجنس وشركاءه فى الميراث ، وحُسبنا جسداً له وهو الرأس ، وهكذا إتحدنا به .

هذا كله دعى الرسول بولس ان يقول : « فيض النعمة » مظهراً ان ما نلناه ليس مجرد دواء لتضميد الجراحات وإنما للتمتع بالصحة والسلامة والكمال والكرامة والمجد ، الأمور التى تفوق طبيعتنا . كل عطية من هذه كفيلة أن تنزع عنا الموت ، أما كونه يهبنا هذا كله ، فهذا يعنى انه لم يعد للموت أدنى أثر أو ظل .

يقول القديس الذهبى الفم أننا فى هذا نشبه انساناً مدينأً بعشر وزنات وإذا لم يكن له ما يوفى الدين سجن هو وزوجته وأولاده ، فجاء آخر لا ليسدد الدين فحسب وإنما ليهبه عشرة آلاف وزنة ذهبية ، ويقوده من السجن إلى العرش ، ويهبه سلطاناً عظيماً ، ويجعله شريكاً معه فى الأجداد العلوية وكل عظمة ، حتى لم يعد بعد يذكر موضوع الدين . هكذا يدفع لنا السيد أكثر مما علينا ، نعم قدر ما يتسع محيط بلا حدود مُقارنا بحفرة صغيرة .

لقد غطت هبات الله على موضوع الخطية والموت ... فصار يشغلنا عظم فيض نعمته الخاصة بالحياة الأبدية .

يحدثنا القديس جيروم على بركات فيض نعمة المسيح أو عمل إنجيله الذى يهدم موت الخطية ، قائلاً : [أما تحت المسيح — أى تحت إنجيله — ففتح لنا باب الفردوس وصار الموت مصحوباً بالفرح لا بالغم ^(١٤٢)] .

إذ قدم لنا الرسول مقارنة بين أثر الخطية وأثر النعمة الإلهية لنجد أنفسنا وقد قدم لنا السيد المسيح فيض نعمته لا نعود نخاف الخطية ولا نهرب الموت كأثر لها بل ننشغل بالأعجاد التى أعدتها لنا نعمته الفائقة ، عاد ليقارن بين الناموس والنعمة ، قائلاً : « وأما الناموس فدخل لكى تكثر الخطية ، ولكن حيث كثرت الخطية إزدادت النعمة جداً ، حتى كما ملكت الخطية فى الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا » ع ٢٠ ، ٢١ .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم بأن الناموس قد أُعطى بحق لكى ينقص العصيان ويتدمر لكن النتيجة جاءت عكسية ، لا بسبب طبيعة الناموس وإنما بسبب إهمال الذين قبلوه . جاء يكشف المعصية ويدين العصاة متهماً إياهم بالأكثر . لكننا لا نخاف لأن الناموس لم يوضح لكى تزداد عقوبتنا وإنما لكى نتقبل النعمة التى إزدادت جداً ، إذ لم تقدم لنا إعفاءً من العقاب فحسب وإنما وهبتنا الحياة . صرنا أشبه بإنسان كان محموراً فلم يُشف من مرضه فحسب وإنما نال جمالاً وقوة وكرامة ، كما نشبه إنساناً جائعاً لم ينل غذاء ليقوته فحسب وإنما تمتع بغنى عظيم وسلطان .

ربما يتساءل البعض : كيف كثرت الخطية بالناموس ؟ لأنه قدم وصايا كثيرة بلا حصر وقد عُصيت ، فإزداد العصيان .

كشف الناموس أيضاً أصل الموت والحياة ، اذ أظهر أن الخطية تسلحت بالموت لتبيد البر ، لكن النعمة حطمت سلاح الموت ووهبتنا البر على مستوى الحياة الأبدية الخالدة .

يقدم لنا القديس أغسطينوس تفسيراً لازدياد الخطية بالناموس ، إذ

يقول : [جاء الناموس لكي تكثر المعصية ، لأن المنع جعل الشهوة تزداد ، وصيرها عنفية (رو ٧ : ٧) . وهكذا صارت المعصية التي لم تكن بدون الناموس رغم وجود الخطية (حتى قبل الناموس) « إذ حيث ليس ناموس ليس أيضا تعد » رو ٥ : ٢٠ . وهكذا زادت قوة الخطية وذلك بالناموس ، وعدم مساعدة النعمة ، والمنع من الخطية ، لذلك يقول الرسول « وقوة الخطية هي الناموس » ١ كو ١٥ : ٥٦ .

إذن لا عجب إن كان ضعف الإنسان يجعل من الناموس الصالح ما يزيد من الشر ، مع أنه قد عهد إليه به لينفذ الناموس .

حقا إذ هم جاهلون بـير الله (رو ١٠ : ٣) الذي يهبه للضعفاء ، ويريدون أن يقيموا برهم الذاتي ، الأمر الذي يتجنبه الضعفاء ، صاروا غير خاضعين لبر الله وفاسدين ومتكبرين . لكن الناموس كمعلم يقود الذين صاروا مجرمين إلى النعمة ، طالبين « الطيب » لأنه بهم جراحات خطيرة ، فيعطيهـم الرب عذوبة في عمل الخير عوض لذة الشهوة المهلكة ، حتى تكون لهم بالعفة بهجة أعظم ، وتعطى أرضهم ثمرها (مز ١٣٥ : ١٢) الذي منه يقتات الجندي (الروح) الذي يهزم الخطية بمساعدة الرب (١٤٣) [



إذ فند الرسول بولس حجة اليهود من جهة بنوتهم لإبراهيم الحرّ جسدياً ،
موضحاً أن إبراهيم قد تبرر وهو في الغرلة بالإيمان كما تبرر بذات الإيمان وهو في
الختان ، لذا فهو أب أهل الغرلة كما هو أب أهل الختان ، هو أب الجميع ، فإن أردنا
البنوة لإبراهيم نلتزم أن نتبرر معه بالإيمان . الآن يرفعنا الرسول من البنوة لإبراهيم إلى
البنوة لله نفسه في مياه المعمودية التي يتمتع بها الأُمَمُ المنتصر كما اليهودى المنتصر ،
ليعيش الكل كأبناء لله في جدة الحياة ، يمارسون حياة المسيح المقامة ، مقدمين
أجسادهم آلات برّ لله بعد أن كانت آلات إثم للخطية . هذا هو مفهوم الحرية
الجديد : ليس الإنتساب جسدياً لإبراهيم وإنما ممارسة الحياة المقدسة بالنعمة الإلهية
بروح البنوة .

- ١ — الحياة الجديدة بالمعمودية ١ — ١٤ .
٢ — الحرية في المسيح يسوع ١٥ — ٢٣ .

+ + +

١ — الحياة الجديدة بالمعمودية

إذ سبق فتحدث في الأصحاح السابق عن فيض نعمة الله المجانية التي لا تقف
عند غسلنا من الخطية ومحو آثارها ، أى الموت ، إنما تفيض فينا بغنى عطايا إلهية بلا
حصر إذ تهبنا برّ الله وتقدم لنا الحياة أبدياً بشركة أمجاد إلهية وميراث سماوى فائق ...

بهذا أكد الرسول ليس فقط تفوق آثار النعمة أثر الخطية وإنما أكد إلزامنا ونحن نتمسك بالنعمة أن نحيا كما يليق بمن نالها ، مقدسين في الرب . هذا ما عاد ليؤكد به بأكثر وضوح في هذا الأصحاح مبرزاً بنوتنا لله التي نالها خلال نعمة المعمودية ، إذ يقول :

« فماذا نقول ؟ أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة ؟ حاشا !
نحن الذين متنا عن الخطية ، كيف نعيش بعد فيها ؟ !
أم تجهلون أننا كل من إعتد ليسوع المسيح إعتدنا لموته ؟ !
فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب
هكذا نسلك نحن أيضاً بمجد الحياة » ع ١ - ٤ .

إن كان الله بكثرة رحمته أفاض بنعمته علينا لينزع عنا كل أثر للخطية فتمجد فينا نحن الخطاة ، هذا لا يدفعنا للإستهتار بالخطية أو التهاون في الجهاد ضدها إنما يليق بنا أن نتركها سالكين كما يليق بنا كأولاد لله نلنا بنعمته البنوة له . هكذا يضع الرسول بولس « المعمودية » أمامنا لنذكر مركزنا الجديد خلال النعمة فنحيا في جدة الحياة كأولاد لله ...

هذا هو عمل الكنيسة تجاه المؤمنين ، كأمر نحو أولادها ، تأكيد نعمة الله المجانية كباعث حقيقة للجهاد بلا إنقطاع ، وتذكير الكل بمركزهم الجديد خلال مياه المعمودية ليعيشوا كل زمان غربتهم سالكين بقوة القيامة كأولاد لله ، في جهاد غير منقطع .
يقول القديس يوحنا الذهبي الفم^(١٤٤) أن المعمودية قد أمانت الخطية فينا ، ولكي تظل الخطية ميتة يليق بنا أن نجاهد بلا إنقطاع ، فلا نطيع الخطية بالمرة ، بل نقف أمامها جامدين كالموتى .

+ « ماذا يعنى « إعتدنا لموته » ؟

يقصد موتنا نحن كما مات هو . فالمعمودية هي الصليب ، وما كان الصليب والدفن بالنسبة للمسيح تكون المعمودية بالنسبة لنا ، ولو أن التطابق ليس تماماً . لأنه هو مات ودفن بالجسد ، أما نحن فنمارس الإثنين (الموت والدفن) بالنسبة للخطية .

لم يقل « متحدين معه بموته » وإنما قال « بشبه موته » ع ٥ ، فإن هذا وذاك هما موت ، لكن موضوع الموت مختلف ، المسيح مات بالجسد أما نحن فنموت عن الخطية التي من عنديتنا .

القديس يوحنا الذهبي الفم^(١٤٥)

+ واضح أن من يعتمد يُصلب فيه ابن الله ، فإن جسدنا لا يقدر أن يطرد الخطية ما لم يصلب مع يسوع المسيح .

القديس أمبروسيوس^(١٤٦)

+ لندفن مع المسيح بالمعمودية لنقوم معه !
لننزل معه لكي نرتفع أيضاً معه !
لنصعد معه فنتمجّد أيضاً معه !

القديس غريغوريوس النزينزي^(١٤٧)

+ الآن إن كنا نمثل لموته فالخطية التي فينا تكون بالتأكيد جثثاً ميتة ، تُجرح برمح المعمودية كما ضرب فينحاس الغيور الزاني بالرمح (عد ٢٥ : ٦ ، ٦) .

القديس غريغوريوس أسقف نيصص^(١٤٨)

ويلاحظ في حديثه عن تمتعنا بالحياة الجديدة في مياه المعمودية الآتي :

أولاً : يربط الرسول بين الصلب والدفن والقيامة ، أو بين الموت مع السيد المسيح والحياة معه بقوة قيامته . فإن كانت المعمودية هي دفن فهي في نفس الوقت قيامة ، بهذا نفهم طريق المسيح كطريق كرب وفي نفس الوقت طريق مبهج ، لأنه طريق الألم مع المسيح والقيامة معه . هذا من جانب ومن جانب آخر فإن تمتعنا بقيامته ليس أمراً مستقبلياً فحسب إنما هي حياة حاضرة نعيشها في حياتنا اليومية .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [إذ يلمح هنا عن إلزامنا بالسلوك المدقق يشير إلى موضوع القيامة ... فإنه يقصد بكلماته هكذا : أتؤمن أن المسيح مات وقام ؟ آمن بهذا من جهة نفسك ، فالقيامة كالصلب والدفن هي خاصة بك . إن كنت تشترك في الموت والدفن فبالأولى أن تشترك في القيامة والحياة . إن كانت الخطية ، الأمر الأصعب ، قد أزيلت فبلا شك ينزع الموت الأمر

الأقل (فتال القيامة) ... الآن إذ يقدم لنا القيامة فإنه يسألنا أمراً آخر هو تغيير (تجديد) عاداتنا هنا (بكونها قيامة عاملة فينا) . فعندما يصير الزاني عفيفاً والطماع رحوماً والعنيف مطيعاً ، بهذا تكون القيامة عاملة هنا كعربون للقيامة الأخرى . كيف يُحسب هذا قيامة ؟ لأن الخطية تموت والبر يقوم ، الإنسان القديم ينتهى والجديد الملائكى يعيش ^(١٤٩)] .

يكمل القديس يوحنا الذهبى الفم حديثه عن الموت مع المسيح والقيامة معه في جرن المعمودية مبرزاً دورنا الإيجابى فى « الإيمانه » ، فان كان السيد المسيح يهبنا أن نموت معه فى المعمودية إنما ليقدم لنا إمكانية السلوك هكذا والجهاد كل أيام غربتنا بلا توقف حتى لا نفقد نعمة المعمودية أو ثمرها فينا ... أى حتى لا نفقد تمتعنا بالموت مع المسيح . يقول القديس الذهبى الفم : [يتحدث الرسول عن نوعين من الإيمانه والموت ، الأولى هى عمل المسيح (فينا) فى المعمودية ، والثانى نمارسه بشغف بعد المعمودية ؛ فدفن خطايانا السابقة هو هبة منه ، لكن أن نبقي أمواتاً عن الخطية بعد المعمودية فيلزم أن يكون موضع شغفنا لنجد الله نفسه معيناً لنا . فان سلطان المعمودية لا يقف عند محو معاصينا السالفة إنما تهبنا آماناً من جهة المعاصي اللاحقة . بالنسبة للخطايا السابقة نساهم نحن بالإيمان لكي تُمحي ، وهكذا أيضاً بالنسبة للخطايا اللاحقة يلزمك إظهار تغيير نيتك مؤكداً أنك لا تدنس نفسك بعد . هذا هو ما يشير به عليك الرسول بقوله : « إن كنا قد إتحدنا (زرعنا) معه فى شبه موته نصير أيضاً بقيامته » ع ٥ . ألا تلاحظ كيف يستثير سامعه ليقوده إلى سيده محتملاً آلاماً كثيرة ليصير على شبهه ؟ ! لهذا لم يقل : « إتحدنا (زرعنا) معه فى موته » لئلا تعارضه بل قال : « فى شبه موته » . لأن جوهراً لا يموت بل « إنسان الخطية » أى « الشر » هو الذى يموت .

« إن كنا قد زرعنا معه » ؛ فبإشارته للزرع هنا يلمح إلى الثمر الذى ينتج عنه ، فكما أن جسد (المسيح) بدفنه فى الأرض قدم لنا ثمر الخلاص للعالم ، هكذا نحن أيضاً إذ ندفن فى المعمودية نحمل ثمر البر والتقديس والتبني وبركات بلا حصر ، كما نحمل بعد ذلك عطية القيامة .

نحن دفنا فى المياه أما هو ففى الأرض ، نحن دُفنا عن الخطية أما هو فمن جهة

الجسد ، لذلك لم يقل : « زُرْعنا معه في موته » وإنما « في شبه موته » ... لكنه لم يقل « نصير أيضا في شبه قيامته » بل « بقيامته » ذاتها ^(١٥٠) ...] .

ثانياً : غاية المعمودية اننا إذ نُصَلب مع السيد المسيح ننعم بالحياة المقامة الجديدة ، فنعيش هنا بفكر سماوى متمتعين بعربون الميراث الابدى .

+ الغنوسى (صاحب المعرفة الروحية الحقّة) لن يضع غايته الرئيسية في الحياة (الزمنية) إنما يبقى على الدوام سعيداً ومطوّباً وصديقاً ملوكياً لله .

القديس أكليمنضس الاسكندرى ^(١٥١)

+ يتقبل المعمدون الميراث ، هؤلاء الذين يعتمدون بموت المسيح ويدفنون معه ليقوموا معه . لذا فهم ورثة الله ووارثون مع المسيح (رو ٨ : ١٧) ، ورثة الله لأنّ نعمة المسيح توهب لهم ؛ وورثة مع المسيح لأنهم يتجددون بحياته ، وهم أيضاً ورثة المسيح إذ وهبهم الميراث بموته كما لو كانوا ورثة للموصى .

القديس أمبروسىوس ^(١٥٢)

ثالثاً : إذ أراد الرسول تأكيد حقيقة القيامة لم يقل « نصير أيضا بشبه قيامته » بل « بقيامته » عينا ، قدم لنا عربون هذه القيامة المقبلة خلال حياتنا الزمنية ، قائلاً : « عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضا للخطية ، لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية ، فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن اننا سنحيا أيضاً معه » ع ٦ — ٨ . ثمت هنا عن الخطية فنحيا للبر ... هذه هي القيامة الأولى التى يدعوها الرسول « جدة الحياة » ع ٤ ، عربون القيامة الأخيرة .

« جسد الخطية » الذى يطل هو شرور الانسان وآثامه التى عاشت فيه فمات روحياً ... بالمعمودية يموت الانسان القديم بهذا الجسد أى « الآثام » ليمارس قوة القيامة كحياة جديدة ، بفكر جديد وتسبحة جديدة .

يقول القديس جيروم : [حتى التسبحة التى نتغنى بها جديدة (رؤ ١٤ : ٣) إذ نخلع الإنسان القديم (أف ٤ : ٢٢) ، فلا نسير فى عتق الحرف بل فى جدة الروح (رو ٧ : ٦) ... انه لا يسعفى الوقت لأحاول تقديم كل

عبارات الكتب المقدسة الخاصة بفاعلية المعمودية شارحاً لك التعاليم السرية الخاصة بهذا الميلاد الجديد الذى هو ميلاد ثانٍ لكنه يُحسب الأول فى المسيح ^(١٥٣)] .

وقد حاول كثير من الآباء تأكيد أن الذى يموت فى المعمودية ليس « الجسد » إنما « جسد الخطية » ، مظهرين خطأ بعض الأفكار الغنوسية التى تنظر إلى الجسد (الجسم) كعنصر ظلمة يجب الخلاص منه ومقاومته . فاننا نؤمن بأن الله لم يخلق فينا عنصر ظلمة ولا شراً وإن الجسد بأحاسيسه وعواطفه وقدراته هو من صنع الله الصالح إنما نحن أفسدناه بانحراف الاحاسيس والعواطف عن غايتها وهى الحب الى الشهوة والدنس . وكما يقول العلامة ترقليان فى مقاله عن « قيامة الجسد » : [الجسد ليس مضاداً للخلاص بل أعمال الجسد (المنحرفة) . عندما تُنزع عنه هذه

الأعمال المسببة للموت يظهر الجسد فى آمان ويتحرر من كل عله الموت ^(١٥٤)] . ويكمل حديثه بافاضة ^(١٥٥) مؤكداً أن الذى يصلب مع المسيح ليس هيكل الجسد ولا كيانه الذاتى إنما سلوكه الاخلاقى (أو الطبيعة الفاسدة التى طرأت عليه) وأحاسيس الخطية التى طرأت عليه ، مدلاً على ذلك بأن الرسول لم يقل : « كى لا نعود نستعبد أيضاً للجسد » بل قال : « للخطية » ع ٦ . وأيضاً لم يقل : « احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الجسد » وإنما قال : « عن الخطية » ع ١١ . وقد سبق لى معالجة هذا الموضوع فى مقدمة كتاب « العفة » للقديس أغسطينوس الذى سبق لى ترجمته ونشره .

رابعاً : إن كنا نقبل أن نبقى فى حالة « موت عن الخطية » فما هى المكافأة ؟ « فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه » ع ٨ . وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم انه إذ يتطلب منا الرسول أن نقوم بهذا الدور البطولى أن نموت عن الخطية فنصير بالنسبة لها كمن هو مُلقى جامداً بلا حراك ، فلا نشوّه عطية الله التى وهبت لنا فى المعمودية يقدم لنا الإكليل : « الحياة مع المسيح » ، قائلاً « سنحيا أيضاً معه » . [حقاً حتى قبل نوالنا الإكليل فإن الشركة مع سيدنا هى فى ذاتها أعظم إكليل ^(١٥٦)] .

خامساً : لئلا يستثقل المؤمن هذا الطريق : « الموت مع المسيح » ، خاصة وانه يطالبنا به كل أيام غربتنا بعد تمتعنا بالدفن معه فى المعمودية ، أوضح الرسول

جانبيين : الأول أن هذا الموت هو « مع المسيح » ، يرافقنا الطريق بكونه الحياة والقيامة فلا يستطيع الموت أن يحطمنا ، والثاني أن المسيح مات مرة واحدة عن خطايانا وقام فلا يعود يموت ثانية هكذا يهبنا قوة القيامة والغلبة على الخطية ، بهذا لا يكون موتنا عن الخطية حرماناً أو خسارة بل ممارسة لقوة الغلبة والنصرة التي لنا بالمسيح غالب الخطية والموت . هذا هو ما قصده الرسول بقوله : « عالمين أن المسيح بعدما أُقيم من الأموات لا يموت أيضاً ، لا يسود عليه الموت بعد ، لأن الموت الذى ماته قد ماته للخطية مرة واحدة ، والحياة التى يحيها فيحيها الله ، كذلك أنتم أيضاً إحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا » ع ٩ - ١١ .

أكد الرسول أن السيد المسيح لم يميت عن ضعف خاص به إنما « للخطية » لكي يحطم خطايانا ويبدد قوتها ، لهذا لم يعد لها سلطانا علينا مادامنا فى إتحاد معه . حقاً الخطية خاطئة جداً وعنيفة بسببها مات المسيح عنا مرة واحدة ، لكنه بموته هدم سلطانها ، فلا نخاف السير معه فى هذا الطريق .

لقد مات المسيح مرة واحدة بلا تكرار ، لأنه لم يميت عن ضعف بل عن قوة الحب البازل ، لكي إذ لا يموت مرة أخرى يهبنا ونحن نشترك معه فى موته أن نشاركه قيامته التى لا يغلبها الموت .

+ هذه هى نعمة الله ، وهذه هى طرق الله فى إصلاح بنى البشر ، فإنه تألم ليحرر الذين يتألمون فيه ،

نزل لكي يرفعنا ،

قبل أن يولد حتى نحب ذاك الذى هو ليس (بإنسان مولود عادى) ،

نزل إلى حيث (الموت) ليهبنا عدم الموت ،

صار ضعيفاً لأجلنا حتى ننال قوة ...

أخيراً صار إنساناً حتى نقوم مرة أخرى نحن الذين نموت كبشر ، ولا يعود

يملك الموت علينا ، إذ تعلن الكلمات الرسولية قائلة : « لا يسود علينا الموت

بعد » (راجع ع ٩ ، ١٤) .

القدس البابا أثناسيوس الرسولى (١٥٧)

لقد أكد الرسول ان المسيح مات مرة واحدة عن الخطية ، لهذا ففي سرّ الافخارستيا نقبل السيد المسيح الذى مات مرة على الصليب ، فنقبل ذات عمل الصليب الذى لا يتكرر إنما هو ممتد في حياة الكنيسة كسرّ غلبتها على الخطية والموت ، ويبقى سرّ تسييحها الذى لا ينقطع حتى في الأبدية .

مات السيد المسيح مرة واحدة عن الخطية مقدماً ذبيحة الحب بإسمنا ، هذه التى يشتهى أن يقدمها في حياة شعبه وخدامه . يروى لنا القديس أمبروسيوس^(١٥٨) قصة لقاء السيد المسيح مع القديس بطرس عند أبواب روما وهو خارج تحت ضغط المؤمنين ليهرب من الإستشهاد ، فرأى السيد حاملاً صليبه ، فعرف انه يريد أن يصلب في شخص خادمه لهذا عاد إلى روما وقدم نفسه للموت من أجل المسيح وتمجّد ربنا يسوع بصلبه .

سادساً : إن كان المسيح قد مات « للخطية » كى لا يكون لها سلطان علينا ، فانه لا يليق بنا إلا أن نسلم القلب عرشاً له بعد أن ملكت عليه الخطية زماناً . نمت عن الخطية فلا تملك علينا بعد ولنحيا لله بالمسيح يسوع ربنا الذى يملك فينا ويقم مملكته داخل قلوبنا ، مقدمين كل أعضاء جسدنا وكل طاقاتنا وعواطفنا لحساب ملكوته كآلات برّ لله بعد أن كانت خاضعة للشهوات كآلات اثم للخطية .

هذا ما عناه الرسول بولس بقوله : « كذلك أنتم أيضاً إحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا . إذن لا تملكن الخطية في جسدكم المائت لكى تطيعوها في شهواته ، ولا تقدموا أعضائكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضائكم آلات برّ لله ، فإن الخطية لن تسودكم . لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة » ع ١١ - ١٤ .

يوضح الرسول ان المسيح يسوع ربنا هو الذى يهبنا الموت عن الخطية والحياة للآب كأبناء له ؛ وهو الذى يحطم الشهوة الشريرة لا الجسد ذاته ، محولاً أعضاء الجسد من آلات إثم للخطية إلى آلات برّ لله ، لهذا وجب أن يملك هو فينا لا الخطية .

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم في قول الرسول « لا تملكن الخطية » إعلاناً عن إستعباد الخطية للإنسان ، إذ تود أن تحكمه بالقوة والقهر ... لذا من يعود إليها

بعدما تمتع بنعمة المسيح يكون كمن قذف بالتاج من على رأسه ليحنى رقبتة لعبودية امرأة مجنونة مهلهلة الثياب وعنيفة . أما قوله « في جسدكم المائت » إنما لكى يوضح الرسول أن الجهاد مؤقت وله نهاية مادام مرتبط بجسدنا الزمنى .

فيما يلى بعض مقتطفات للآباء بخصوص ملكية المسيح فينا وملكية الخطية علينا :

+ لا يجسر أحد أن يقول: « ملكى وإلهى » مز ٥ : ١ إلا ذاك الذى لا تملك الخطية فى جسده المائت ...

أنت تملك فى ، أما الخطية فلا تملك ، لأنك أنت إلهى !
أنت هو إلهى ، لأن بطنى ليست إلهاً لى ولا الذهب ولا الشهوة !
أنت هو الفضيلة ، أود أن اقتنيك !
أنت هو إلهى ، أنت هو فضيلتى !

القديس جيروم (١٥٩)

+ إنها كرامة عظيمة وشرف كبير أن يكون الإنسان عبداً للرب لا للخطية .

+ « قلب الملك فى يد الرب » أم ٢١ : ١ .

لنكن ملوكاً فنحكم جسدنا (من الخطية) ونخضعه ، فيكون قلبنا فى يد الله .

القديس جيروم (١٦٠)

+ هذا هو عملنا الحالى مادامت حياتنا مستترة ، ألا نملك الخطية أو شهوة الخطية فى جسدنا المائت ، فأننا إن كنا نطيع شهوتها تملك علينا .

شهوة الخطية فينا لكننا لا نسمح لها أن تملك علينا ، ورغبتها موجودة لكن يلزم ألا نطيعها حتى لا تسيطر علينا . فإذا لا نسمح للشهوة أن تغتصب أعضائنا بل للعفة ان تطلبها كحق لها ، بهذا تكون أعضاؤنا آلات برّ لله وليست آلات إثم للخطية . بهذا لا تسودنا الخطية ، لأننا لسنا تحت الناموس الذى يأمر بما هو للخير دون أن يهبه ، بل تحت النعمة التى تهبنا بما يأمر به الناموس ، وهى قادرة على السيطرة على (الإرادة) .

+ مادامت الخطية بالضرورة موجودة فى أعضائك فلا تجعل لها سلطان عليك لتملك وإنما على الأقل أطردها ولا تطع متطلباتها .

هل يثور فيك الغضب ؟ لا تُخضع له لسانك بالنطق بكلمة شريرة ، ولا تُخضع له يدك أو قدمك كأن تضرب بهما . ما كان يمكن للغضب غير المتعقل أن يثور فيك لو لم توجد الخطيئة في أعضائك ، لكن أطردها قوتها الحاكمة ، فلا يكون لها أسلحة لمحاربتك ، عندئذ تتعلم هي ألا تثور فيك إذ تجد نفسها بلا أسلحة ...

هكذا يليق بكل أحد أن يجاهد إذ يرغبى الكمال ، حتى إذ تجد الشهوة نفسها بلا إستجابة من الأعضاء تقل يوماً فيوماً خلال رحلتها .
القديس أغسطينوس (١٦١)

+ « إذن لا تملك الخطيئة في جسدك المائت » ع ١٢ ...
لم يقل : « لا تدعها توجد هناك » لأنها هي موجودة فعلاً .
+ مادمت تحمل جسداً قابلاً للموت تحاربك الخطيئة ؛ لكن ليتك لا تجعلها تملك ... أى إقطع رغباتها . فإن بدأت تطيعها تملك عليك .
ماذا يعنى « تطيع » ؟ تخضع أعضائك كآلات إثم للخطيئة .
القديس أغسطينوس (١٦٢)

سابعاً : مرة أخرى يؤكد الرسول ان الدعوة للموت مع المسيح لا تعنى تحطيم كيان الجسد بل تقديسه ، فقد رأينا فى الحديث عن المعمودية ان الانسان العتيق الذى يُصلب (ع ٦) إنما يبطل جسد الخطيئة لا اعضاء الجسد فى ذاتها ، والآن إذ يتحدث عن الجهاد بعد المعمودية خلال امكانيات المعمودية أو خلال « عمل النعمة فينا يؤكد أن الدعوة للموت مع المسيح ليست دعوة سلبية للخسارة والتبديد وإنما دعوة ايجابية للربح . فالموت هنا هو ربح ، إذ فيه تمتع بالمعية مع المسيح المصلوب القائم من الأموات ، القادر لا على تحطيم اعضاء الجسم كآلات إثم للخطيئة وإنما بالحري يقيمها آلات برّ الله ، واهباً إياها تقديساً من عندياته .

يقول الرسول : « ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطيئة بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات برّ الله » ع ١٣ .

والعجيب قبل أن يطالبنا بتقديم اعضاءنا آلات برّ الله يطالبنا بتقديم « ذواتنا لله كأحياء من الأموات » ، بمعنى انه لن تتقدس اعضاءنا الجسدية ما لم يتقدس كياننا

ككل ، ونقبل القيامة عاملة في نفوسنا كما في فكرنا وجسدنا الخ ...
+ الأعضاء عينها التي إعتدنا أن نخدم بها الخطية ونجلب بها ثمرة الموت يريدنا الله أن
نستخدمها للطاعة للبر فنثمر للحياة .

القديس إيريناؤس (١٦٣)

يرى القديس غريغوريوس أسقف نيصص انه إذ يتقدس الانسان في كليته ،
خاصة النفس تتحول الاعضاء الجسدية من آلات اثم الى آلات بر لمجد الله ، فتكون
كالنفس كامرأة التي وجدت الدرهم المفقود (لو ١٥) فدعت جيرانها ليفرحوا معها
ويشاركونها بهبتها بالدرهم . هكذا أعضاؤنا اشبه بالجيران ، ندعوها لتمارس فرحنا
بخلاص الرب عملياً !

ثامناً : يختم الرسول بولس حديثه عن عمل المعمودية الملتحم بالجهاد الروحي ،
قائلاً : « فَإِنَّ الْخَطِيئَةَ لَنْ تَسُودَكُمْ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ » ع
١٤ ، مؤكداً الامكانيات الجديدة التي صارت لنا خلال النعمة التي تعمل فينا في
مياه المعمودية كما في جهادنا اليومي ، الإمكانيات الواهبة للغلبة والنصرة .

٢ - الحرية في المسيح يسوع

إذ ركز الرسول بولس أنظارنا نحو المعمودية كأبناء لله نمارس هذه البنية خلال موتنا
مع المسيح وحياتنا معه كل أيام غربتنا ، أراد أن يوضح مفهومنا خاطئاً إستقر في
ذهن اليهود ألا وهو انهم أحرار لمجرد انتسابهم لإبراهيم جسدياً ، الأمر الذي وضح في
حوارهم مع السيد المسيح حين أعلن لهم : « انكم إن ثبتتم في كلامي فبالحقيقة
تكونون تلاميذي ، وتعرفون الحق والحق يحرركم » يو ٨ : ٣١ ، ٣٢ ، « أجابوه : إننا
ذرية إبراهيم ولم نُستعبد لأحد قط ، كيف تقول أنت إنكم تصيرون أحراراً ؟ » أجابهم
يسوع : الحق الحق أقول لكم أن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية ، والعبد لا
يبقى في البيت إلى الأبد ، أما الابن فيبقى إلى الأبد ، فإن حرركم الابن فبالحقيقة
تكونون أحراراً » يو ٨ : ٣٣ - ٣٦ .

يلاحظ في حديث الرسول بولس هنا عن الحرية التي صارت لنا في المسيح يسوع
الآتي :

أولاً : يستخدم الرسول أسلوب التشجيع ، إذ يقول : « فشكراً لله إنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها ، وإذا أعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر » ع ١٧ ، ١٨ . وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم انه يعود فيدخل الثقة في نفوسهم بعد أن أزعجهم بالخزي وأرعبهم بالعقاب مظهراً لهم انهم بالفعل نالوا الحرية من شرور كثيرة بفضل النعمة الإلهية ، لذا وجب عليهم تقديم الشكر لله على هذه العطية . بمعنى آخر إن كان الرسول يدعونا للحرية ، فإنه يدعونا لحياة نمارسها بالنعمة ، يجب أن تزداد وتلهب فينا .

ثانياً : بقوله « أطعتم من القلب » يشير إلى أن الحرية التي نمارسها لا تتحقق عن قوة أو إضطرار ، إنما تُمارس خلال الحب « القلب » بكمال إرادتنا ... فالحرية في المسيح هي عبودية للبر (ع ١٨) لكنها عبودية الحب الاختياري وليس عبودية العنف الالزامي ؛ عبودية النضوج والالتزام بلا استهتار أو تسيّب !

+ لا يقل المسيحي إنني حرّ ، أفعل ما يحلو لي ، ليس لأحد أن يكبح إرادتي مادمت حراً . إن كنت بهذه الحرية ترتكب خطية فأنت عبد للخطية . لا تفسد حريتك بالتحرر للخطية إنما لإستخدامها في عدم إرتكاب الخطية . « فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الإخوة ، غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة إخدموا بعضكم بعضاً » غلا ٥ : ١٢ .

القديس أغسطينوس (١٦٤)

ثالثاً : ما هي صورة التعليم التي تسلمناها لنطيعها من القلب ؟ « إذ اعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر » ... أي خروج بالنعمة من حالة العبودية القاسية التي أذلنا بها الخطية إلى حالة عبودية للبر يتهج بها قلبنا بالحب الداخلي .

رابعاً : يقول الرسول : « أتكلم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم » ع ١٩ . وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم ان الرسول يتكلم معهم بكونه إنساناً ، يشاركهم ذات العمل ، فهو لا يتحدث متعالياً عن أمر عسير صارم إنما يوصيهم كإنسان يحمل معهم ذات طبيعتهم ، وله خبرة عملية أنه كان قبلاً يستخدم أعضائه للخدمة الإثم وقد تحررت فصارت أعضاؤه متعبدة للبر .

خامساً : يقارن الرسول بين العبودية للإثم والعبودية للبر ، فيرى الأولى قاسية ومغزية إذ يقول « تستحقون منها » ع ٢١ ونهايتها الموت (ع ٢١ ، أما الثانية فعلى العكس تهب تقديساً ونهايتها حياة أبدية (ع ٢١) . فإن كانت الأولى تثمر عاراً وموتاً فالثانية تثمر قداسة وحياة أبدية . ويرى الأب موسى ان الثمر الثاني يحمل مستويين : الهدف النهائي وهو الحياة الأبدية وأما الهدف الحالى فهو « القداسة » التى هى « نقاوة القلب » والتى بدونها لن ننعم بالحياة الأبدية ^(١٦٥) . وكأن العبودية للبر تسندنا فى زماننا الحاضر بثمرها الذى للبر حيث تهب القلب نقاوة فيقدر على معاينة الله ، وتدخل بنا إلى العالم الأبدى إذ تهبنا « الحياة الأبدية » .

سادساً : إذ يتحدث الرسول بولس هنا عن « الحياة الابدية » ع ٢٤ كعطية مجانية للنعمة ، يتساءل القديس أغسطينوس : كيف يمكن ان تكون « الحياة الأبدية » جزاءً لأعمال صالحة (مت ١٦ : ٢٧) وفى نفس الوقت عطية مجانية للنعمة ؟ وقد جاءت اجابته باسهاب فى كتابه عن « النعمة والارادة الحرة » ^(١٦٦) ، نقتطف منها الآتى :

[يبدو لى أن هذا السؤال لا يمكن حله مطلقاً ما لم نفهم انه حتى الأعمال الصالحة التى نجازى عنها بالحياة الأبدية هى من عمل نعمة الله ، لأنه عن ماذا قال الرب يسوع : « بدونى لا تقدرُونَ أن تفعلوا شيئاً » يو ١٥ : ٥ ؟ !

والرسول نفسه بعدما قال : « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله ، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » أف ٢ : ٨ - ١٠ رأى بالطبع أن البشر يمكنهم أن يفهموا من هذه العبارة أن الأعمال الصالحة ليست هامة للمؤمنين إنما يكفيهم الإيمان وحده ، وفى نفس الوقت يرى أولئك المفتخرون بأعمالهم كما لو أنهم قادرون وحدهم على تنفيذها ، لهذا وفق بين هذه الآراء بعضها البعض ... مكملًا : « لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها » ...

إسمع الآن وأفهم إن عبارة : « ليس من أعمال » قيلت عن الأعمال التى تظن ان مصدرها هو أنت وحدك . لكن لتفتكر فى الأعمال التى يشكّلها الله فيك . عن

هذه يقول : « نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع » لأعمال صالحة قد سبق فأعدها الله لكى تسلك فيها ...

على أى الأحوال تُعطى الحياة الأبدية هكذا (كجزاء لأعمال صالحة) لأن الله يعمل أعمالاً صالحة فى إناس صالحين ، قيل عنهم : « الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل مسرته » ، حتى ان المزمور المطروح أمامنا يقول : « الذى يكللك بالرحمة والرأفة » مز ١٠٣ : ٤ ، إذ من خلال رحمته تنفذ الأعمال الصالحة التى بها تنال الإكليل] .

+ + +



بعد تفنيده للحجة الأولى لليهود الخاصة بينوتهم لإبراهيم الحّر رافعاً إياهم إلى البنوة للتمتع بالحرية الحقّة ، أخذ يفند الحجة الثانية الخاصة بإستلامهم الناموس الموسوى دون سواهم ، معلناً أن الناموس يفضح الخطية ولايعالجها ، لذا فهو يبرر الخطاة ، إنما يقودهم إلى المسيح لينعموا ببره .

- | | |
|----------------------------------|-----------|
| ١ — الحاجة إلى التحرر من الناموس | ١ — ٦ . |
| ٢ — الناموس يفضح الخطية | ٧ — ١٣ . |
| ٣ — ناموس الله وناموس الخطية | ١٤ — ٢٥ . |

+ + +

١ — الحاجة إلى التحرر من الناموس

الناموس الذى يفتخرون به يمثل رجلاً يحكم على إمرأته الخاطئة بالموت ؛ إنه يدينها ! فالحاجة الآن إلى التحرر من حكمة هذا بدخول آخر كرجل لها بعد أن يموت حكم الأول فتتحرر من سلطانه . بمعنى آخر يلزم أن يتحرر الإنسان من حكم حرفية الناموس ليتقبل العريس الآخر ربنا يسوع .

« أم تجهلون أيها الأخوة ، لأنى أكلم العارفين بالناموس ، أن الناموس يسود على الإنسان مادام حياً . فإن المرأة التى تحت رجل هى مرتبطة بالناموس بالرجل الحى ، ولكن إن مات الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل ، فإذا مادام الرجل حياً تدعى زانية إن صارت لرجل آخر ، ولكن إن مات الرجل فهى حرة من الناموس حتى أنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر . إذاً يا إخوتى أنتم أيضاً قدمتم الناموس بجسد المسيح لكى تصيروا لآخر للذى قد أقيم من الأموات لشمر لله » ع ١ - ٤ .

يلاحظ فى هذا النص الرسولى :

أولاً : إذ كان الرسول بولس يعالج موضوع إفتخار اليهود على الأمم بكونهم مستلمى الناموس أراد وهو يحطم كبرياءهم هذا ألا يهاجم الناموس ذاته لأنه ناموس الله المقدس ، إنما يهاجم مستخدميه . يظهر ذلك فى دقة العبارات التى إستخدمها الرسول هنا وهو يتحدث عن الناموس ، إذ نراه يكتب بحساسية شديدة :

١ - وهو يقدم مثل المرأة المرتبطة برجل كمثال للأمة اليهودية المرتبطة بالناموس ، يقول : « لأنى أكلم العارفين بالناموس » ع ١ ... كأنه فى نفس المثال يتحدث ناموسياً ، عن أمور واضحة يحكم فيها الناموس نفسه ، أو بمعنى آخر يعلن الرسول أنه يقبل حكم الناموس ذاته فى هذا الأمر ، أو يلتجئ إلى حكم الناموس لأنه عادل ومقدس .

ب - فى مثل المرأة المرتبطة برجل إكتفى بذكر موت الرجل لتحرر المرأة من سلطانه فلا تحسب زانية إن تزوجت آخر فإن المرأة هنا تشير إلى الكنيسة سواء على مستوى الجماعة أو كل عضو فيها ، فالمؤمن لا يقدر أن يرتبط بحرف الناموس وأعماله الرمزية مع أعمال النعمة الإلهية ، والا حسب كإمرأة اقترنت بعريسين

هذا ويلاحظ دقة تعبير الرسول بولس فإن اذ يتحدث عن إقتران الإنسان بالناموس لم يتعرض لموت الناموس نفسه كى يتحرر الإنسان منه ، بل فى دقة بالغة يقول : « قدمتم للناموس » وكأن الذى يموت هو الانسان للناموس ليحيا للمسيح . قال هذا حتى لا يظن أحد أن الرسول يقاوم الناموس لنفسه ويطلب

الخلاص منه ، إنما الحرية من حكمه ، ومن حرفيته القاتلة .

مرة أخرى يقول : « إن الناموس يسود على الإنسان مادام حياً » ع ١ ، لكن إن مات الإنسان فلا يخضع لشرائع الناموس الحرفية وأعماله .

ثانياً : في المثال الذى بين أيدينا يقدم لنا الرسول امرأة ورجلين ، فإن المرأة تبقى تحت ناموس الرجل الأول مادام حياً ، فإن مات تحررت من سلطانه لترتبط بالآخر ، ولا تحسب هذه الأرملة زانية . فإن كانت المرأة تمثل جماعة المؤمنين ، والرجل الأول هو الناموس والثانى هو السيد المسيح ، فإن المؤمنين إذ يرتبطون بالناموس يخضعون لأعماله ويسقطون تحت الحكم الصادر منه لذا صارت الحاجة ان يتحرر المؤمنون من هذا السلطان أى حرفية أعماله وإيفاء الحكم الصادر منه بموتنا كى ترتبط بالثانى أى السيد المسيح القائم من الأموات . وقد تحقق هذا الموت للناموس والتحرر منه خلال موت المسيح عنا إيفاء للحكم الصادر ناموسياً ضدنا ! بهذا لم يكسر المسيح الناموس بل أكمله ، وحقق غايته ، بدخوله هو كعريس للجماعة المقدسة خلال موته بالصليب ، لتعيش معه عروساً متحدة معه أبدياً بلا انفصال عنه .

إذن موتنا للناموس لحساب إتحادنا مع السيد المسيح لايعنى إنهياراً للناموس إنما يعنى تحقيق غايته بتقديمتنا للرجل الآخر الذى أُقيم من الأموات لتقوم معه .

أكد الرسول التزامنا بالزواج الثانى ، قائلاً :

« إنكم لستم لأنفسكم » ١ كو ٦ : ١٩ .

« قد أشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس » ١ كو ٧ : ٢٣ .

« وهو مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى

مات لأجلهم وقام » ٢ كو ٥ : ١٥ .

ثانياً :

هذا الزواج أنجب ثمرأ لحساب الله ، إذ يقول : « لشمر الله » ع ٤ ، على عكس الزواج السابق حين كان المؤمنون تحت سلطان الرجل الأول ، أى تحت الناموس الموسوى فانهم لم يستطيعوا أن يثمروا لله لا لسبب خاص بالناموس ذاته وإنما بسبب

طبيعة العصيان التي كانت لهم ، لذا جاء الثمر هو : « حكم الناموس علينا بالموت » .

يقارن الرسول بين الثمرين : ثمر الإتحاد بالرجل الأول المعلن حكمه علينا بسبب شر طبيعتنا وثمر الإتحاد بالثاني الذي يحررنا من الحكم الناموسى مقدماً لنا إمكانيات جديدة : « لنثمر لله ، لأنه لما كنا في الجسد كانت أهواء الخطايا التي بالناموس تعمل في أعضائنا لكي نثمر للموت ، وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبد بمجدة الروح لابعث الحرف » ع ٤-٦ .

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم : [هأنتم ترون ماقد نلناه من الزوج السابق ! إنه لم يقل : « لما كنا في الناموس » ، إذ في كل عبارة يحجم عن أن يعطى فرصة للهرطقة (بإحتقار الناموس) ، بل يقول « لما كنا في الجسد » ، أى كنا في الأفعال الشريرة ، في الحياة الجسدانية . مايقوله لا يعنى انهم كانوا قبلاً في الجسد وإنهم الآن بدون أجسام ، إنما يقصد بقوله هذا انه ليس الناموس هو سبب الخطايا وفي نفس الوقت لايجر من خزيها ، إذ قام بدور المتهم القاسى بفضح خطاياهم ، حيث أن الذين يرتبطون به أكثر لايفكرون في الطاعة نهائياً، الأمر الذى يكشف نهاية عصيانهم بصورة أقوى . هذا ما جعله لايقول : « كانت أهواء الخطايا التي أنتجها الناموس » بل قال « كانت أهواء الخطايا التي بالناموس (خلاله) » بمعنى أنه خلال الناموس صارت ظاهرة ومعلنة . كذلك لم يتهم الجسد ذاته ، إذ لم يقل « الأهواء التي إرتكبتها الأعضاء » وإنما التي « تعمل في أعضائنا » ، ليظهر أن أصل الضرر جاء من موضع آخر هى الأفكار التي تعمل فينا وليست الأعضاء التي تعمل الأهواء فيها . فإن النفس تقوم بدور اللاعب على القيثارة التي هى الجسد ، فتلزمه بذلك . فالنغم غير المنسجم لاينسب للأخير (القيثارة) بل للأول (النفس) أكثر من الأخير^(١٦٧)] .

هكذا وإن أعلن الرسول بولس الحاجة إلى التحرر من الناموس ، الرجل الأول ، لكنه لايلقى باللوم على الناموس ولا أعضاء الجسم ، إنما العيب هو في النفس التي تقود الأهواء فينا أكثر مما للجسد ... وإن كان الأخير ملتزم بالمسئولية مع النفس لكن ليس المسئول الأول .

إذ تحقق الزواج الثاني يقول الرسول : « وأما الآن فقد تحررنا من الناموس » ع ٦ ، وقد جاءت الكلمة اليونانية للتحرير هنا بمعنى انه « لم يعد هناك أثر أو فاعلية » .

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذه العبارة بالقول : [أنظر كيف يستبعد هنا الناموس والجسد ، إذ لم يقل إن الناموس صار بلا فاعلية ، ولا الجسد بلا فاعلية ، وإنما نحن صرنا بلا فاعلية (أى خلصنا) . كيف خلصنا ؟ بموت الإنسان القديم ودفنه ، هذا الذى كان ممسكاً بالخطية ، هذا ما يعنيه بقوله : « إذ مات الذى كنا ممسكين فيه » . كأنه يقول بأن القيد الذى كنا ممسكين به قد إنكسر وتبدد (مات) ، حتى أن الخطية التى كنا ممسكين بها لاتعود تمسك بنا . لكن لاترجعوا إلى الوراء أو تهملوا ، فقد تحررتم لتصيروا عبيداً لكن ليس بذات الطريقة السابقة وإنما « بمحبة الروح لابتغى الحرف » .

إذن عندما أخطأ آدم وسقط جسمه تحت الموت والآلام تقبل خسائر جسدية كثيرة ، وصار الحصان (الجسم) أقل حيوية وأقل طاعة . ولكن إذ جاء المسيح جعله أكثر رشاقة بالنسبة لنا خلال المعمودية ، رافعاً إياه بجناح الروح (القدس) . بهذا لم تعد العلامات الخاصة بسباق الجرى هى بعينها القديمة ، إذ لم يكن السباق سهلاً كما هو الآن (لأن الحصان صار أكثر رشاقة) . لهذا السبب لم يطلب منهم أن يتركوا القتل فقط كما فى القديم وإنما حتى الغضب ؛ لا يتركوا الزنا فحسب وإنما يتخلوا حتى عن النظرة غير الطاهرة ؛ يمتنعوا لاعن القسم الباطل فقط وإنما حتى عن القسم الصادق (مت ٥ : ٢١ ، ٢٧ ، ٣٣) . أما من جهة الأصدقاء فيأمرهم أن يحبوا حتى أعداءهم . فى كل الأمور أعطانا أرضاً أوسع للجري عليها فإن لم نطع يهدد بجهنم ، مظهراً أن هذه الأمور نصارع من أجلها إلزامياً مثل العزوبية والفقر ، يأمرنا أن نتممها لذلك يقول : « إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » مت ٥ : ٢٠ . ومن لا يدخل الملكوت بالضرورة يلقي فى جهنم . لذلك يقول بولس أيضاً : « فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة » رو ٦ : ١٤ . وهنا أيضاً يقول : « حتى نعبد بمحبة الروح لابتغى الحرف » ع ٦ ، فإنه لم يعد الحرف الذى يدين ، أى الناموس

القديم ، وإنما الروح الذى يعين . لهذا السبب إن وجد بين القدماء إنسان بتول كان هذا الأمر غريباً تماماً ، أما الآن فقد صار هذا الأمر منتشرًا فى كل أنحاء العالم . قديماً قليلون بالكاد كانوا يحترقون الموت ، أما الآن (فى عهد القديس ذهبيى الفم) فيوجد فى القرى والمدن طغيمات من الشهداء بلا حصر ، لا من الرجال فحسب وإنما أيضا من النساء^(١٦٨)] .

الآن إنعتقنا من الحرف وتمتعنا بجدية الروح ، وكأنا بملحس عبد رئيس الكهنة الذى قُطعت أذنه اليمنى كما بالسيف (يو ١٨ : ١٠) لمسك الرب بنفسه أذنه ويشفيه ، وكما يقول القديس أغسطينوس^(١٦٩) كانت رمزاً لتجديد السمع ، بنزع الفكر الحرفى القديم والتمتع بالفكر الروحى الجديد .

٢ — الناموس يفضح الخطية

خشى الرسول بولس لكلا يسىء القارىء فهم عبارته « وأما الآن فقد تحررنا من الناموس » ع ٦ ، لكلا يُظن أن الرسول يهاجم الناموس أو يقلل من قدسيته ، لذلك قدم سؤالاً : فماذا نقول ؟ هل الناموس خطية ؟ ع ٧ ، وجاءت الإجابة واضحة وصرخة : « حاشا » إذن فلماذا يفرح بتحريره من الناموس ؟

أولاً : لأن الناموس يفضح الخطية ولا يعالجها هو عرفنى على الخطية التى إرتكبتها وربما لم أكن أدركها (ع ٧) .

ثانياً : لأن الناموس إذ قدم لى الوصية كشف طبيعة العصيان التى فى (ع ٨-١١)، فربما لو لم توجد وصية معينة تمنعنى من شىء لأهتم بعمله ، إنما وجود الوصية يثير فى طبيعتى (كل شىء ممنوع مرغوب) هنا العيب لافى الوصية التى أثارتنى وإنما فى طبيعة العصيان الخفية فى داخلى والتى لم يكن لها أن تظهر مالم توجد وصية .

أبرز الرسول بولس هاتين النقطتين بكل وضوح فى هذا الأصحاح (ع ٧-١٣) وقد علق عليهما القديس يوحنا الذهبي الفم ، قائلاً :

[سبق فقال : « كانت أهواء الخطايا التي بالناموس تعمل في أعضائنا » ٥: ٧ « فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة » ٦: ١٤ « حيث ليس ناموس ليس أيضا تعد » ٤ : ١٥ « وأما الناموس فقد دخل لكي تكثر الخطية » ٥ : ٢٠ « لأن الناموس ينشئ غضباً » ٤ : ١٥ ، فثلاً يسيء هذا كله للناموس ، ولكي يصحح الشك الذي ينشأ عن هذه الأقوال قدم إعتراضاً ، قائلاً : « فماذا نقول ؟ هل الناموس خطية ؟ حاشا » ع ٧ . قبل أن يقدم البرهان استخدام هذا القسم « حاشا God Forbid » ، لكي يسترضى السامع ، ملاطفاً من إضطرب للسؤال

هنا لا يقول : « فماذا أقول ، وإنما » فماذا نقول ؟ كأنه أمامهم مداولة وحكم ، حيث اجتمعوا معاً ، وجاء الإعتراض لأمته ، وإنما خلال المناقشة بسبب ظروف الحال . فإنه لا ينكر أحد أن الحرف يقتل والروح يحيى (٢ كو ٣ : ٦) ، إذ هذا واضح تماماً ، ولا يقبل المناقشة . فإن كان هذا حقيقة معترف بها ، فماذا نقول عن الناموس ؟ هل الناموس خطية ؟ حاشا ! وضع لنا إذن هذا الأمر الصعب ! ...

يقول إن الناموس ليس خطية ، « بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس » « فإننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لاثنته » ع ٧ . ألا تلاحظ كيف إنه لم يظهر الناموس كديان للخطية وإنما أيضا إلى حد ما كمصدر لها ، لكن لا عن خطأ من جانبه هو (وإنما من جانب ضعفنا وعصياننا) ... هذا جاء عن ضعفنا لا عن عيب في الناموس ، لأنه عندما نشته شيئا ونمنع منه تلهب الشهوة بالأكثر . هذا لا ينبع عن الناموس لأنه يمنعنا ليحفظنا منها ، وإنما الخطية هي من إهمالك وسوء تصرفك ، مستخدما ما هو صالح للضد . العيب ليس في الطبيب بل في المريض الذي لا يسيء استخدام الدواء ، فإن الناموس لم يعط لإشعال الشهوة بل لإطفائها ، وإن كان ما قد حدث هو العكس . فاللوم ينسب لنا لا للناموس فإن عمل الطبيب يقف عند المنع لكن على المريض أن يضبط نفسه .

ولكن ماذا إن كانت الخطية قد اتخذت فرصة بالوصية ؟ بالتأكيد يوجد أشرار كثيرون إتخذوا من الوصايا الصالحة فرصة ليزدادوا شراً . هذا هو الطريق الذى به أهلك الشيطان يهوذا بإغراقه في محبة الطمع وجعله يسرق ما هو للفقراء . فما حدث

لم يكن بسبب الثقة التي أعطيت له بتسليمه الصندوق وإنما بسبب شر روحه .
وأيضاً حواء بإحضارها ما يأكله آدم طُرد من الفردوس ، لكن لم تكن الشجرة هي
السبب وإن كان ما حدث قد إتخذ الشجرة فرصة لتحقيقه

لو كان الناموس ملوماً لأن الخطية وجدت فرصة به ، لإنطبق هذا أيضاً على
العهد الجديد ، ففي العهد الجديد نجد الآف القوانين أكثر أهمية

عندما قال الرب : « لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم
خطية » يو ١٥ : ٢٢ ، وجدت الخطية مجالاً في مجيء الرب وحديثه معهم ، ومع ذلك
فقد صار عقابهم أشد . وأيضاً عندما تحدث بولس الرسول عن النعمة قال : « فكم
عقاباً أشراً تظنون أنه يُحسب مستحقاً من داس إبن
الله ؟ ! » عب ١٠ : ٢٩ (١٧٠) [.

+ لقد أستلمت الناموس ، وأنت تود ان تحتفظ به لكنك لاتقدر . بهذا تترك
كبريائك وتترك ضعفك . إذن إجرِ إلى الطبيب وإغسل وجهك . لتشتق إلى
المسيح ولتعترف به ، آمن متكلاً عليه ، فانه إذ تتمتع بالروح بعد الحرف
(السابق) تخلص .

+ إننا نصغى إلى الناموس ، فان لم توجد نعمة انما نصغى للعقاب الذى يحل
بنا .

القديس أغسطينوس (١٧١)

يكمل القديس يوحنا الذهبى الفم حديثه السابق ، متساءلاً : إن كان الإنسان
لم يعرف الشهوة قبل الناموس ، فلماذا صار الطوفان ؟ ولماذا كان حرق سدوم ؟
ويجيب على هذا التساؤل بان الإنسان يعرف الخطية (بالناموس الطبيعى) لكن جاء
الناموس يحدد الشهوة ويكشفها مقدماً للإنسان معرفة دقيقة ، فصار الناموس جنباً
إلى جنب مع الناموس الطبيعى يضيف على الإنسان إتهاماً أشد ، هذا مادعى
الرسول ان يقول : « أما أنا فكنت بدون ناموس عاشاً قبلاً » ع ٩ ، إذ لم تكن
هناك معرفة دقيقة ومحددة ولا إتهام صريح ضدى يحكم على بالموت . فبقوله « كنت
عاشاً قبلاً » تعنى إننى لم أكن تحت إدانة الناموس الدقيقة والصارمة التى تستوجب
موتى .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [لم يعط للخطية وجودها ، إذ كانت موجودة من قبل لكنه أشار إلى تلك التي هربت من ملاحظتنا . هذا يُعتبر مدحاً للناموس ، إذ كان الناس يخطئون قبله وهم لا يدركون . ولما جاء الناموس فإنهم وإن لم ينتفعوا منه بشيء إلا أنه عرفهم عليها بدقة مظهراً انهم يخطئون . هذا ليس بالأمر الهين لتحريرهم من الشر . فإن كانوا لم يتحرروا فالأمر لا يخص الناموس الذي حدد كل شيء بهذا الهدف ، وإنما يسقط بالإتهام كله على أرواحهم

لذلك يقول : « فُوجدت الوصية التي للحياة هي نفسها لي للموت » ع ١٠ . لم يقل « جاءت الوصية للموت » أو « صارت للموت » بل قال : « فُوجدت »

كأنه يقول : إن أردت أن تعرف غايتها فهي تقود للحياة وأعطيت بهذه الغاية ، فإن وُجدت للموت إنما الخطأ فيمن إستلم الوصية ، وليس في الوصية التي تقود للحياة .

هذه النقطة سلط الرسول عليها ضوءاً جديداً ، بقوله : « لأن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلتني » ع ١١ . لاحظ أنه في كل موضع يرر الناموس من الاتهام ويحفظه من الخطية .

« إذاً الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة » ع ١٢ لأنه وإن كان اليهود غير طاهرين خلال الناموس ، وإن كانوا ظالمين وطامعين ، فإن هذا لا يفسد صلاح الناموس ، تماماً كما أن عدم أمانتهم لا يبطل أمانة الله^(١٧٢) .

لقد أظهر قدسية الناموس وصلاحه وعدله ، مادحاً إياه ، لأنه وإن كانت الخطية وجدت الفرصة في الوصية لتقتلني ، لكنها بالأكثر إنفضحت فظهر شرها بقتلي وبهذا يقودنا الناموس إلى ضرورة الخلاص منها ، إذ يقول : « فهل صار لي الصالح موتاً ؟ حاشا ! بل الخطية ، لكي تظهر خطية ، منشئة لي بالصالح موتاً لكي تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية » ع ١٣ . هكذا حوّل الرسول الاتهام من الناموس الصالح إلى الخطية الخاطئة جداً ، أو بمعنى آخر ركز أنظارنا على أنفسنا في الداخل ، فانه بشرنا يتحول حتى ماهو صالح إلى ضررنا . وكما يقول القديس أغسطينوس : [النقطة موضوع الإهتمام ليس مانتسلمه بل الشخص الذي يتسلم

الشيء فإنه حتى الأمور الصالحة تكون ضارة ، والضارة تكون مفيدة حسب شخصية من يتقبلها . ها أنت ترى الشر قد جاء خلال الصالح (الناموس) مادام الذى يتقبله إنما يتقبله بطريقة خاطئة^(١٧٣)] .

٣ — ناموس الله وناموس الخطية

إذ أظهر في بداية هذا الإصحاح الحاجة إلى التحرر من الناموس الذى فضح خطايائى وأصدر حكمه على بالموت ، عاد ليؤكد أن العيب ليس فى الناموس وإنما فى الخطية العاملة فى ، والآن يمدح الرسول الناموس الإلهى ، ويعلن عن ناموس الخطية الكائن فى أعضائى ، لكى إذ أكتشفه أُلجأ إلى المخلص القادر وحده أن ينقذنى منه .

« فإننا نعلم أن الناموس روحى وأما أنا فجسدى ، مبيع تحت الخطية » ع ١٤ . وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم^(١٧٤) أن الرسول بقوله هذا يعلن أنه لاجابة للتدليل على أن « الناموس روحى » ، فإنه بعيد كل البعد عن كونه مصدراً للخطية ، أو علة للشروع الحادثة . إنه « روحى » ، معلم للفضيلة ومضاد للرديلة ؛ يقودنا بعيداً عن كل أنواع الخطايا بالتهديد والنصح والتأديب والإصلاح ويمدحه للفضيلة . إذن من أين جاءت الخطية مادام الناموس معلماً هكذا ؟ ! إنها منا نحن : « وأما أنا فجسدى ، مبيع تحت الخطية » . لقد تقبلت الشهوات الجسدية وأستعبدت للخطية ، صرت غارقاً فى أعماقها ، ساقطاً تحت ناموسها ، فحسبت جسدياً .

+ لعنة الله الأصلية (بسقوط أبونا فى العصيان) جعلتنا جسدانيين ، وحُكم علينا بالأشواك والحسك ؛ وقد باعنا أبونا بذلك التعاقد التعيس حتى إننا صرنا عاجزين عن فعل الصلاح الذى نريده ، إذ صرنا ننقطع أحياناً عن تذكر الله العظيم السمو مضطرين إلى الانشغال بما يخص الضعف البشرى . وبينما نشتى الطهارة نتزعج غالباً بغير إرادتنا بالشهوات الطبيعية التى لانريد حتى أن نعرفها ، لذلك نحن نعلم أنه ليس ساكن فى أجسادنا شيء صالح (رو ٧: ١٨)، أى ليس ساكن فيه السلام الأبدى الدائم الذى لهذا التأمل المذكور . الأب ثيودور^(١٧٥)

+ « أما أنا فجسديّ ، مبيع تحت الخطية » ع ١٤ . هذا يعنى :
 « بكونى إنساناً جسدياً موضوع بين الخير والشر كوكيل حر ، لى سلطان أن
 أختار ماأريد . فإنه » هأنذا أجعل أمامكم طريق الحياة وطريق الموت « أر
 ٢١ : ٨ ؛ جا ١٥ : ٨ ؛ تث ٣٠ : ١٥) ، بمعنى أن الموت يأتى ثمرة
 لعصيان الناموس الروحى أو الوصية والطاعة للناموس الجسدى أى مشورة
 الحية . فبمثل هذا إختيار أنا مبيع للشيطان ، ساقط تحت الخطية . هكذا
 أمسك الشر بى ، والتصق بى ، وسكن فى ، وسلمنى العدل للشرير
 بآنتهاكى للناموس .

الأب ميثودوس (١٧٦)

والآن ماذا فعل ناموس الخطية فى ؟

أول : شوه معرفتى ، إذ يقول الرسول : « لأنى لست أعرف ما أنا أفعله ، إذ
 لست أفعل ماأريده بل ما أبغضه فأياه أفعل » ع ١٥ .

ماذا يقصد الرسول بهذا ؟

١ - أفقدت الخطية نقاوة البصيرة الداخلية ، فصارت معرفتها للخطية غير
 دقيقة ، لذا يقول « لست أعرف ما أنا أفعله » لاجمعنى أن الإنسان يجهل
 الخطية ، وإلا لما دين عنها ، وإنما قبل الناموس لم يكن قادراً على معرفتها بدقة ،
 وذلك كما سبق فقال : « فإننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لآتشته » ٧ :
 ٧ . وكما يقول القديس يوحنا ذهبى الفم كان الإنسان قبل الناموس لايعرف الخطية
 بحق ودقة لذلك أيضا كان العقاب أقل قسوة من الذين يخطئون وهم تحت الناموس
 عارفون الخطية .

ب - ربما يقصد هنا بقوله « لست أعرف » لامعرفة الفكر النظرى ، فانه بناموس
 الطبيعة يعرف الإنسان الخطية ، لكنه يقصد معرفة الإنسان القادر عن الإحجام عنها
 ومقاومتها ليعمل البر عوض الشر ، لهذا يكمل الرسول حديثه : « إذ لست أفعل
 ماأريده بل ما أبغضه فأياه أفعل » وكأنه يقول صرت كمن بلا معرفة لأننى
 أمارس ماأبغضه وذلك كمن يشرب الخمر وهو يعرف إنها مؤذية لصحته ،
 لكن إستعباده لها جعله كمن يجهل آثارها عليه .

ثانياً : أفقدتني الإرادة الصالحة العاملة ، إذ لم يقف الأمر عند تشويه المعرفة ، سواء بأفساد البصيرة الداخلية أو بالعجز عن التمتع بالمعرفة المقدسة خلال الخبرة ، وإنما أيضاً تسيطر على إرادتي فتفسد إمكانية العمل الصالح في حياتي ، وأحسب كمن يعمل بلا إرادة ، إذ سلمت نفسي بنفسى عبداً لها .

يليق بنا - كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم - ألا نفهم العبارات الواردة هنا حرفياً ، فنظن أن الإنسان مصير ، يمارس الشر إلزاماً ، وإلا كان سقوطه تحت الدينونة غير عادل . حينما يقول : « لست أفعل ماأريده » ع ١٥ لاينكر الرسول حرية الإرادة الإنسانية كمن يخطيء قسراً وجبراً ، وإلا كان الرسول قد أكمل الحديث هكذا : « بل ما أُجبر عليه وألزم به فأياه أفعل » إنما قال « بل ما أبغضه فأياه أفعل » ، فانه لاينكر ما للخطية من سلطان أفقده قوة الإرادة لكن في نفس الوقت لايتصرف جبراً بغير إرادته .

الخطية مخادعة تجتذبه وتجعله يلتزم بممارستها وإن كان في نفس الوقت يبغضها بحسب الناموس الطبيعي العامل فيه كما بحسب الناموس المكتوب ، لهذا يكمل قائلاً : « فإن كنت أفعل ماأريده فأني أصادق الناموس أنه حسن » ع ١٦ . كأنه يقول إن كنت بالناموس الطبيعي أكره الخطية التي أمارسها فإن الناموس المكتوب أو الموسوى يصادق على الناموس الطبيعي الذي يبغض الخطية ، لذا فالناموس حسن .

ربما يتساءل البعض : إن كان الإنسان قبل التمتع بالنعمة يستطيع تحت ظل الناموس المكتوب أو الموسوى أن يقول بأن الخطية شوهت معرفتي وأفقدتني الإرادة الصالحة والعاملة حتى كنت لأفعل ماأريده بل ماأبغضه (ع ١٥) ، فهل ينطبق هذا القول الرسولى علينا ونحن في عهد النعمة ؟ أو بمعنى آخر هل هذا القول يناسب الخطاة الذين لم يتمتعوا بعد بعمل الله فيهم أم يثن منه الجميع ؟

يجيب الأب ثيوفانس في حديث طويل في مناظرات القديس يوحنا كاسيان (١٧٧) موضحا الآتي

١ - يرى الأب ثيودور أن الرسول ينطق بهذه الكلمات عن نفسه حتى بعد تحوله إلى الإيمان ليس لأن الوضع لم يتغير ، إنما لأنه وأن كان الرسول قد تمتع بفيض من الفضائل أشبه بالجواهر والبركات الإلهية ، لكنه إذ يتطلع إلى ما سيناله أبدياً يحسب مالدیه تافهاً وقليلًا . فالرسول مع ممارسته للحياة المقدسة في الرب لكنه ينبغي أن يبلغ رؤية الله وجهاً لوجه ، لا يشغله شيئاً حتى وإن كان أمراً صالحاً لضروريات الحياة .

ب - إذ يقارن الرسول بولس صلاحه بصلاح الله الفائت يرى أنه « ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » لو ١٨ : ١٩ ، فيحسب الرسول نفسه تحت الضعف .

ج - كلما تمتع الإنسان بالنمو الروحي إزداد نقاوة داخلية وفي نفس الوقت إزداد حساسية لاتفه الخطايا ، إن صح هذا التعبير كلما إرتفع الإنسان روحياً يخشى بالأكثر من السقوط لا عن يأس أو خوف وإنما عن حذر لئلا تكون سقطته مرة .

هذا الرأي لا يمثل فكراً خاصاً بالأب ثيودور وإنما خاص بالكنيسة الجامعة ، فإنها تنظر إلى ماورد في هذا الجزء من الإصحاح (٧ : ١٤ - ٢٥) أنه وإن كان ينطبق على الانسان وهو تحت الناموس لكنه ينطبق بطريقة ما على كل عضو في الكنيسة لازال في الجسد ، لكن الفارق في الحالتين كبير . فتحت الناموس تعرف الإنسان على الصلاح ووقف موقف العاجز عن ممارسته ، أما في عهد النعمة فقد صارت له معرفة أعظم وإمكانيات على مستوى فائق وقدرة على التحرك بالنعمة الإلهية وعمل الروح القدس فيه ، لكنه ليس معصوماً من الخطأ ، إنما يبقى يرتفع كما بجناحي الروح منطلقاً من مجد إلى مجد لعله يبلغ قياس قامة ملء المسيح ، وفي هذا مع شعوره بعمل الله العظيم فيه لكنه يدرك أنه لم يبلغ بعد تمام إشتياقه في الرب فيئن في الداخل مقدماً التوبة بلا إنقطاع ، شاعراً مع الرسول بولس أنه أول الخطاة لكن في غير يأس .

+ جزئياً نحن في حرية ، وجزئياً في عبودية .

ليست الحرية كاملة بعد ولا نقية بالتمام ، لأننا لم ندخل بعد الأبدية . نحن لانزال في الضعف جزئياً ، لكننا نلنا الحرية جزئياً . ماقد إرتكبتاه من

خطايا قد غسل في المعمودية سابقا ، لكن هل قد محى كل الشر وبقينا بلا ضعف ؟ !

القديس أغسطينوس (١٧٨)

+ توجد فينا شهوة شريرة ، ولكن بعدم موافقتنا لها لانعيش أشراراً .
توجد فينا شهوة الخطية ، وبعدم طاعتنا لها لانكمل الشر ، لكن وجودها يعنى
إننا لم نكمل الخير بعد ؛ وقد أظهر الرسول الأمرين :

أ - اتنا لن نكمل الخير مادمننا نشتهى الشر .

ب - ولم نكمل الشر مادمننا لانطيع مثل هذه الشهوة .

وقد أظهر الأمر الأول بقوله : « لأن الإرادة حاضرة عندي ، وأما أن أفعل الحسنى
فلست أجد » ع ١٨ ، وأظهر الأمر الثانى بقوله : « إسلخوا بالروح فلا تكملوا
شهوة الجسد » غلا ٥ : ١٦ . ففى النص الأول لم يقل إن الحسنى (الخير) غير
موجودة إنما لم يكملها (ان أفعل لست أجد) ، وفى الثانى لم يقل إن شهوة الجسد
غير موجودة بل قال « فلا تكملوا » .

لهذا فإن الشهوات الشريرة تجد لها موضعاً فينا حيث توجد اللذات غير
المشروعة ، ولكننا لانكمل هذه الشهوات عندما نقاومها بالذهن خادمين ناموس
الله .

كذلك فإن الخير يجد له موضعاً فينا حينما لاتكون للذة الخاطئة مكاناً وذلك
بغلبة اللذة الصالحة عليها . ولكن تكميل الخير لايتحقق تماماً طالما هذا
الجسد - خادم ناموس الخطية - يستميل الشهوة الشريرة . فمع أننا نقاومها لكنها
تتحرك ، بل مقاومتنا لها علامة تحركها فينا .

لهذا يكون كمال الخير بهلاك الشر تماماً ، فيعلوا الواحد ويبيد الثانى .

فإن ظننا أن هذا يتم فى هذه الحياة نكون مخدوعين ، إنما يتحقق بصورته الكاملة
حينما لا يكون بعد موت بل حياة أبدية فهناك فى الملكوت سيكون الخير فى أعلى

درجاته ، ولا يكون شر قط في ذلك الوقت ، وفي ذلك الموضع لا يكون بعد
جهاد للعفة وضبط النفس .

إذن، الجسد ليس شراً متى تجنب الشر أى الخطأ الذى به يصير الانسان نخطئاً، وإنما
هو أوجده . لأن كلا جانبي الانسان - الجسد والنفس - خلقهما الله الصالح
صالحين ، أما الانسان فصنع الشر وبذلك صار شريراً .

القديس أغسطينوس (١٧٩)

+ « لأنى لست أعرف ما أنا أفعله ، إذ لست أفعل ما أريده بل ما أيقضه
فإياه أفعل ، ع ١٥ .

لا يفهم هذا التعبير عن فعل الشر وإنما عن التفكير فيه ، فإنه ليس في سلطاننا أن
نفكر في الأمور غير اللائقة أو لا نفكر ، إنما في سلطاننا أن نتفقد ما بقكرنا أو نمتنع
عن التنفيذ . نحن لا نقدر أن نمنع الفكر عن أن يأتينا من الخارج إلى ذهننا لكننا
قادرون أن نمتنع عن طاعته أو ممارسته .

في سلطاننا أن نريد ألا نفكر في هذه الأمور لكننا لا نقدر أن نطردها بحيث
لا ترجع إلينا في ذهننا ثانية . لهذا كما قلت ليس في سلطاننا أن نفكر أو لا نفكر
فيها ؛ هذا هو معنى العبارة : « لست أفعل الصالح الذى أريده » . فأنى لأريد أن
أفكر فيما يضرني لكن « لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست
أريده فإياه أفعل » . فأنا لأريد أن أفكر (بالشر) ومع هذا فأنى أفكر بمالا أريده .

تأمل أليس عن هذه الأمور عينها يتوسل داود لله في حزن إذ هو يفكر فيما
لا يريده ، فيقول : « من الخطايا المستورة يارب طهرني ، من الغرائب إحفظ عبدك حتى
لا يتسلطوا على ، فحينئذ أكون بلا عيب وأنتقى من خطية عظيمة » مز
١٩ : ١٢ ، ١٣ . كما يقول الرسول في موضع آخر : « هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع
ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح » ٢ كو ١٠ : ٥ .

الأب ميثوديوس (١٨٠)

ثالثاً : أفسد جسدى

لم يقف عمل ناموس الخطية عند تشويه المعرفة الروحية وتحطيم قوة الإرادة الصالحة ، وإنما بسكنى الخطية فى داخلى صار ناموسها عاملاً فى أعضائى ، فصارت آلات إثم تعمل لحسابه ، هذا ما يصرخ منه الرسول طالباً الخلاص من هذا الفساد لابتحطيم أعضاء جسده بل بتقديسها لحساب الله بعدما عملت لحساب الخطية هذا الأمر لا يستطيع الناموس الطبيعى ولا الموسوى أن يهبه ، إنما هى نعمة الله التى تقدر الجسد مع النفس .

يشكو الرسول حاله ، قائلاً : « فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فى ، فإنى أعلم أنه ليس ساكن فى ، أى فى جسدى ، شئ صالح ، لأن الإرادة حاضرة عندى وأما أن أفعل الحسنى فلست أجده » ع ١٧ ، ١٨ .

وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم أن الرسول لم يقل ان جسده هو الذى يفعل هذا بل « الخطية الساكنة فى » ، لأن الله خلق الجسد صالحاً ، ليس شراً فى ذاته ، لكن إذ دخلت الخطية لم يعد يسكن فيه شئ صالح .

يؤكد نفس القديس أن الجسد وإن كان ليس فى عظمة النفس لكنه ليس مضاداً للنفس ولا هو فى ذاته شر بل يسند النفس ، وكأنه بالقيثارة التى فى يدي العازف والسفينة التى بين يدي الربان ، لا يضاد من يستخدمه وكأن الجسد مع النفس متحملان المسئولية معاً .

مرة أخرى يود الرسول أن يؤكد أنه لا بالجسد فى ذاته شراً ولا النفس أيضاً وإنما الانسان فى كليته إذ قبل الشر فى حياته بإراداته أفسد حياته وحطم قوة الإرادة الصالحة لتعمل الخطية فيه وتقوده حسب هواها ، إذ يقول :

« لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده فأياه أفعل ، فإن كنت مالمست أريده إياه أفعل أنا بل الخطية الساكنة فى » ع ١٩ ، ٢٠ .

فالمشكلة أيضا ليست في الجسد وإنما في الخطية التي سكنت فيّ فأفسدت النفس والجسد معاً ، لذلك إذ جاء السيد المسيح حملني معه ليصلب الخطية التي سكنت فيّ ويسكن هو في داخلي ، فعوض الأنين والصراخ « لست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فيّ » أقول : « فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ » غلا ٢ : ٢٠ . فإن كنا قد سبق فسلمنا أعماقنا للخطية لثمت مع غالب الخطية فيملك هو فينا ونستتر ونحن فيه ، كقول الرسول : « لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله ، متى أظهر المسيح حياتنا ، فحينئذ تظهرون أنتم أيضا في المجد » كو ٣ : ٣ ، ٤ .

هذا وقد أكد آباء الكنيسة أن الانسان مادام في زمان الجهاد لن يعصم من الخطأ ، إنما يبقى بنعمة الله مجاهدا لينطلق من نصره إلى نصره ، صارخاً إلى الله بلا إنقطاع ليعينه من ضعفه حتى يكمل أيام غربته بسلام . ويحدثنا الأب بينوفوس كيف تسند نعمة الله المؤمنين المجاهدين فيتخلصون من خطاياهم السابقة ، بل ويليق بهم ألا يذكروها ، لكن يبقى المؤمنون تحت الضعف في بعض الأمور كالتى يدعوها النبي بالسهوات والخطايا المستترة (مز ١٩ : ١٢) ، لذا يقول الحكيم : « الصديق يسقط في اليوم سبع مرات ويقوم » أم ١٤ : ١٦ ، فالتوبة عنها لا تنتهى . [لأنه سواء عن جهل أو نسيان أو بالتفكير أو الكلام أم بمجرد الإشتياق أو عن ضرورة أو عن ضعف الجسد أو نجاسة في حلم ... هذه الأمور غالباً مانسقط فيها كل يوم بغير إرادتنا أو بإرادتنا^(١٨١)] .

أخيراً إذ يستبعد الرسول كل إتهام عن الناموس وأيضا عن طبيعة جسده ، ويجعل من الخطية التى سيطرت عليه وغلبته وسكنت فيه مقاوماً للناموس ، أعلن تهله بالناموس بالرغم من هزيمته بناموس الخطية ، مقدماً الشكر للسيد المسيح الذى يهبه النصره على ناموس الخطية ، إذ يقول :

فإني أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن ، ولكنى أرى ناموساً آخر في أعضائى . ويحى أنا الإنسان الشقى ، من ينقذنى من جسد هذا الموت . أشكر الله بيسوع المسيح ربنا . إذاً أنا نفسى بذهنى أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية » ع ٢٢ - ٢٥ .

ماذ يعنى أنا نفسى بذهنى أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية ؟
بالنعمة الإلهية التى صارت لى فى المسيح يسوع تقدست حياتى ، وإن كانت الخطية
لاتكف عن محاربتى مادمتم بعد فى الجسد هذا هو مفهوم النصره بالنعمة
الإلهية ، النصره المرتبطة بجهاد لاينقطع مادمنا فى الجسد لكنه جهاد الرب
الساكن فىنا .

+ إن كان (الرسول) يخاف إغراءات الجسد فهل نحن فى آمان ؟ !
+ أتريد أن تعرف أن لنا أجساداً هى بعينها كأجساد القديسين ... كلنا نلتزم
بالمصارعة ليتقبل كل مكافأته حسب جهاده .

القديس جيروم (١٨٢)

+ حتى الرسول كان يقمع جسده ويضبطه لئلا بعدما كرز للآخرين يصير هو
نفسه مرفوضاً (١ كو ٩ : ٢٧) ، وإذ يشعر بعنف الأهواء الحسية يتحدث
باسم الجنس البشرى ، قائلاً : « ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من
جسد هذا الموت ؟ ! »

+ إن كان الرسول الإناء المختار ، المفرز لإنجيل المسيح (غلا ١ : ١٥) بسبب
وخزات الجسد وإغراءاته للرزيلة يقمع جسده ويضبطه لئلا بعدما كرز للآخرين
يصير هو نفسه مرفوضاً ، ومع هذا نجده يرى ناموساً آخر يعمل فى أعضائه
ضد ناموس ذهنه . ويسببه فى ناموس الخطية (ع ٢٣) ، وإن كان وهو فى
عرى وصوم وجوع وسجن وجلدات وعذابات كثيرة يعود إلى نفسه ليصرح :
انا الانسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟ ! فهل تظن أنه يليق
بك أن تترك حذرك ؟ !

القديس جيروم (١٨٣)

+ كلنا نشعر بهذا ، كن ليس كلنا نخلص .
يالى من إنسان شقى مالم أطلب الدواء !
لنا طبيب ، فلنطلب الدواء . دواؤنا هو نعمة الله ، وجسد الموت هو جسدنا .
لنكن غرباء عن المسيح . فاننا حتى وإن كنا فى الجسد لكننا لیتنا لانتبع أمور

الجسد إنما نطلب عطايا النعمة : « أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً ، ولكن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم » في ١ : ٢٣ ، ٢٤ .
القديس أمبروسيوس (١٨٤)

+ يقول الرسول « أنا نفسي » ع ٢٥ ، اذ لا يوجد إثنان من طبيعتين مختلفتين (واحد بطبعه صالح وآخر بطبعه شرير) ، إذ لم يأتيا عن مصدرين مختلفين .

يقول : « بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية » ع ٢٥ ، مادمت أكون مسترخياً إذ يحارب (ناموس الخطية) الخلاص .
القديس أغسطينوس (١٨٥)

+ عندما يشعر القديسون أن ثقل الأفكار الأرضية يضايقهم ، وانهم يرتدون بعيداً عن سمو أذهانهم منقادين بغير إرادتهم أو بالحرى لاشعورياً إلى ناموس الخطية والموت ، وتعوقهم الأعمال الأرضية التي هي نافعة وصالحة عن معاينة الله ، فانهم يثنون إلى الله باستمرار ، معترفين بإنسحاق قلب لا بالكلام بل بقلوبهم أنهم خطاة . وبينما هم بغير إنقطاع يلتمسون من رحمة الله الصفح عما يقتربونه يوماً فيوماً بسبب الضعف الجسدي ، يزرفون دموعاً حقيقية للتوبة بغير إنقطاع

كذلك يدركون بالخبرة أنه بسبب ثقل الجسد يعجزون بقوتهم البشرية أن يبلغوا النهاية المطلوبة ، وأن يكونوا متحدين — حسب إشتياق قلوبهم — بذلك الصلاح الرئيسي الأسمى ، وإذ ينقادون بعيداً عن رؤيته مأسورين بالأمور العالمية يتوجهون إلى مراحم الله « الذي يبرر الفاجر » رو ٤ : ٥ ، ويصرخون مع الرسول : « وبجي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت ؟ ! اشكر الله بيسوع المسيح ربنا » رو ٧ : ٢٤ ، ٢٥ . لأنهم يشعرون بأنهم على الدوام لا يستطيعون أن يكملوا الصلاح الذي يريدونه ، إنما يسقطون في الشر الذي لا يريدونه والذي يكرهونه ، أي الأفكار الزائفة والاهتمام بالأمور الجسدية .

إنهم بالحقيقة يسرون بناموس الله بحسب الإنسان الباطن الذي يسمو فوق كل المنظورات ، ويسعون على الدوام ليكونوا متحدين بالله وحده ، لكنهم « يرون ناموساً

آخر في أعضائهم ، ، أى منغرس في طبيعتهم البشرية « يحارب ناموس ذهنهم » رو ٧ : ٢٢ ، ٢٣ ، أى يأسر أفكارهم إلى ناموس الخطية العنيف ، ويلزمهم أن يتخلوا عن ذلك الصلاح الأعظم ويرضخوا للأفكار الأرضية التى وإن ظهرت هامة ومفيدة ونحتاج إليها في العبادة إلا أنها تقف عائقاً عن التأمل في ذلك الصلاح الذى يسحر أنظار القديسين ، فيرونها شريرة ويحاولون تجنبها

اننى أقول أن هذا الناموس المنغرس في أعضاء البشر جميعاً الذى يحارب ناموس أذهاننا ويعوقها عن رؤية الله

الأب ثيودور (١٨٦)

+ أخيراً فإن الرسول الطوباوى يعبر بوضوح أنه قال هذا عن الناس المقدسين والكاملين ومن على شاكلته ، فيشير بأصبعه إلى نفسه ويتدرج في الحال : « إذا أنا نفسى » ع ٢٥ ، أى انا الذى أقول هذا أقدم أسرارى الخاصة مكشوفة ، لاسريرة شخص آخر . هذا الأسلوب أعتاد الرسول أن يستعمله بغير كلفة كلما أراد أن يشير بالأخص إلى نفسه (٢ كو ١٠ : ١ : ١٢ : ١٣ ، ١٦ ؛ غل ٥ : ٢ ، رو ٩ : ٢) .

إذا « أنا نفسى » تحمل بالتأكيد : أنا الذى تعرفونه بأنه رسول المسيح ، الذى تبجلونه بأعظم احترام ، والذى تعتقدون بأنه من إسمى الشخصيات وأبرعها كشخص يتكلم فيه المسيح ، مع أنى أخدم ناموس الله بالذهن ومع ذلك أعترف بأننى بالجسد أخدم ناموس الخطية ، بمعنى أن حالتى البشرية تجذبنى أحياناً من الأشياء السماوية الأرضية ، وينحدر سمو ذهنى إلى الأهتمام بأمور تافهة . وبناموس الخطية هذا أجد بأننى فى كل لحظة أؤخذ هكذا مأسوراً بالرغم من مثابرتى باشتياق راسخ نحو ناموس الله ، ولكننى لاستطيع بأية وسيلة أن أنجو من سلطان هذا الأسر مالم أهرب دائماً إلى رحمة المخلص .

لذلك يحزن جميع القديسين بتنهيدات يومية من أجل ضعف طبيعتهم هذا . وبينما هم يستقصون أفكارهم المتنقلة ومكنونات ضمائرهم وخلواتهم العميقة يصرخون متضرعين : « لاتدخل فى المحاكمة مع عبدك فإنه لن يتبرر قدامك حتى » مز ١٤٣ : ٢

ها أنت ترى إذن كيف يعترف جميع القديسين بصدق أن جميع الناس كما هم أيضاً خطاة ، ومنع ذلك لا يأسون أبداً من خلاصهم ، بل يبحثون عن تطهير كامل بنعمة الله ورحمته

لا يوجد أحد — مهما كان مقدساً — في هذه الحياة بلا خطية . وقد أخبرنا أيضاً تعليم المخلص الذي منح تلاميذه نموذج الصلاة الكاملة ، إذ نقول : « وإغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا » مت ٦ : ١٢ .

إذن إذ قدم هذه كصلاة حقيقية يمارسها قديسون ، كما يجب أن نعتقد دون أدنى شك ، فمن يمكنه أن يبقى عنيداً ووقحاً ومنتفخاً بكبرياء الشيطان ، فيظن أنه بلا خطية

الأب ثيودور (١٨٧)

مفهوم الجسد هنا

+ يلزمنا أن نأخذ كلمة « الجسد » هنا بمعنى الإنسان أو المادة الملموسة ، إنما يقصد الإرادة الشهوانية أو الرغبة الشهوانية .

الأب دانيال (١٨٨)

+ لننصت إلى الرسول القائل « فاني أعلم أنه ليس ساكن فيّ أي في . جسدي ، شيء صالح » ع ١٨ ، فان ما يقصده الرسول هنا بالتأكيد هو « خطأ الجسد » الذي يوجد في الشيء الصالح « الجسد » . فان زال هذا الخطأ من الجسد ، لا يكون الجسد فاسداً ولا مخطئاً .

وقد كشف المعلم نفسه انه يقصد بهذا (أي الجسد) طبيعتنا (أي كياننا كله) ، إذ يقول في البداية « فاني أعلم أنه ليس فيّ ثم يوضح « فيّ » ب « أي في جسدي » ، وهكذا يسمى جسده أنه هو himself ، ولا يمكن أن يكون الإنسان عدو نفسه .

فعندما يُقمع الخطأ ، يصير جسدنا محبوباً ، إذ يلزمنا أن نعتني به كقول الرسول « فانه لم يبغض أحد جسده » أف ٥ : ٢٩ .

وفي موضع آخر « إذاً أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ، ولكن بالجسد ناموس الخطية » ع ٢٥ . ليسمع من لهم آذان ، فانه يقول « إذاً أنا نفسي » أنا بالذهن ، وأنا بالجسد ولكن كيف يخدم بالجسد ناموس الخطية ؟ ! هل بقبوله شهوة الجسد وتكميلها ؟ ! حاشا ! بل لأن حركات الشهوة التي لايريدها هي كائنة فيه ، وإذ هو لايوافقها فإنه بذهنه يخدم ناموس الله ولا يسلمه أعضائه لتكون آلات إثم للخطية .

القديس أغسطينوس (١٨٩)

البهجة بناموس الله

إن كان ناموس الخطية الذي بالنعمة نجاهد بلا انقطاع لكي يكمل تحررنا منه ، فان هذا الناموس لايقدر أن يحطم بهجة خلاصنا وسرورنا بناموس الله العامل في داخلنا ، إذ يقول الرسول : « فاني أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن » ع ٢٢ . هكذا لايفقد الانسان بهجته وسلامه وسط الجهاد ضد ناموس الخطية .

+ نملك نوعاً من السلام مادمننا نسر بناموس الله بحسب الانسان الداخلي ، لكنه ليس سلاماً كاملاً ، لأننا نرى ناموساً آخر في اعضائنا يحارب ناموس ذهننا .
القديس أغسطينوس (١٩٠)

+ إذ نكون أحراراً نسر بناموس الله ، لأن الحرية فرح
لتكن بهجتك في الله ولتكن حراً .
لاتخف العقوبة بل حب البر .
ألا تقدر أن تحب البر ؟ خف إذن من العقوبة لعلك تبلغ حب البر .
القديس أغسطينوس (١٩١)

+ إذن بسبب حسن نقول إن عذوبة الله مخفية فيك لقد وجد ناموس (الخطية) له موضعاً في أعضائك يقاوم ناموس ذهنك ويسبيك . لهذا فإن العذوبة التي بالنسبة لك مخفية يشرب منها الملائكة القديسون بينما لاتقدر أنت تستذوقها بسبب السبي

القديس أغسطينوس (١٩٢)



في الأصحاح السابق بعد أن أبرز الرسول دور الناموس كفاضح للخطية دون معالج لها ، قدم لنا صورة قائمة للغاية من جهة ناموس الخطية كمفسد لحياتنا كلها ومثير لشهوات الجسد ضد كل إشتياق روحي ، والآن إذ ينتقل بنا إلى السيد المسيح الغالب وحده لهذا الناموس يشرق علينا بالإمكانات الإلهية التي تعمل في حياة المؤمن . لهذا إن كان بعض الدارسين يحسبون هذه الرسالة في كليتها هي « كاتدرائية الإيمان المسيحي » ، فيرى البعض في هذا الأصحاح « قدس الأقداس » أو المذبح الروحي ، عليه يقدم المؤمن الحقيقي ذبيحة الحب والفرح والشكر وسط مصارعته ضد الشر وضيقاته الزمنية

لقد قدم لنا هذا السفر بقوة إمكانات الحياة المقدسة في الرب ، أو تمتعنا ببر المسيح غالب ناموس الخطية ، فاتحاً باب الرجاء في المجد الأبدى ، ملهياً القلب بمحبة المسيح الفائقة

١ - ١٧ .

١٨ - ٢٧ .

٢٨ - ٣٤ .

٣٥ - ٣٩ .

١ - المسيح وناموس الروح

٢ - تجديد الخليقة وعمل الروح

٣ - المسيح المبرر

٤ - محبتنا للمسيح المبرر

١ - المسيح وناموس الروح

إن كانت الخطية قد سيطرت على الإنسان ؛ سكنت فيه ، وأخضعته لناموسها ، فصار الانسان جسدياً (٧ : ١٤) يسلك بنفسه كما بجسده تحت مذلة شهوات الجسد وحُسب مبيعاً للخطية ، فقد جاء السيد المسيح لالينزع ناموس الخطية من أعماقنا فحسب وإنما ليقم « ناموس روح الحياة » ع ٢ ، الذى يعطى للمؤمن إمكانية « السلوك ليس حسب الجسد بل حسب الروح » ، فيحسب الإنسان فى كليته ، بجسده ونفسه إنساناً روحانياً أو روحياً .

أزال السيد المسيح ناموس الخطية المستعبد للإنسان ليقم فيه ناموس روح الحياة واهب الحرية ! أعطانا روحه القدوس ساكناً فينا (ع ١١) يهب حياة للنفس والجسد معاً ، حياة برّ عوض موت الخطية ، حياة البنوة لله عوض العبودية للخطية ! حقاً أعطانا إمكانية الحياة وسط الآلام لكى ننعم بالروح على الميراث مع مسيحننا . هذا هو موجز حديث الرسول بولس عن « المسيح وناموس الروح » ، والآن ، لتتبع كلماته الرسولية :

أولاً : الإنعتاق من الدينونة : « إذا لأشئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » ع ١ .

إن كان ناموس الخطية يحطم نفسيتنا ويرعبنا فإن نعمة المسيح ترفعنا لنذكر اننا بالمسيح يسوع مبررون ، إن سلكنا حسب الروح لاحتسب الجسد لأن برّ المسيح لايعمل فى المتهاونين الذين يستسلمون مرة أخرى للحياة الجسدانية .

يقول الأب ثيوداس معلقاً على هذه العبارة : [نعمة المسيح تحرر جميع القديسين يوماً فيوماً من ناموس الخطية والموت ، هذا الذى يخضعون له قسراً بالرغم من توسلهم الدائم إلى أن يصفح الله عن تعدياتهم^(١٩٣)] .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [كحقيقة واقعة ان يسقط كثيرون فى الخطية حتى بعد المعمودية مما يسبب صعوبة فى الأمر ، لذلك أسرع ليواجه هذا الأمر ، لا بقوله « فى المسيح يسوع » فحسب وإنما يضيف « السالكين ليس

حسب الجسد » ، مظهرها ان هؤلاء يتركون تراخيها . الآن لنا القوة للسلوك « ليس حسب الجسد بعد أن كان هذا عملاً صعباً . وهاهو يقدم برهانه على كلامه هذا ، بقوله : « لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني » ع ٢ . كما دعى الخطية « ناموس الخطية » ها هو يدعو الروح « ناموس الروح » .

لقد وصف ناموس موسى بأنه روحى (٧ : ١٤) فما هو الفرق بينهما ؟ الفرق عظيم وبلا حدود ، فإن ذاك روحى ، أما هذا فناموس الروح . ماهو التمييز بينهما ؟ الأول مجرد أعطى بواسطة الروح ، أما هذا فيهب الذين يتقبلونه الروح بغير حدود . لذلك دعاه « ناموس الحياة » مقابل ناموس الخطية لاناموس موسى . فعندما يقول أنه أعتقني من ناموس الخطية والموت لايقصد ناموس موسى

نعمة الروح القدس توقف الحرب الخطيرة بذبح الخطية ، فيصير المقاوم لنا سهلاً بالنسبة لنا ، وتتوجنا منذ البداية عينها ، وتسحبنا للصراع بعد أن تمدنا بعون فائض^(١٩٤) .

إذاً ناموس المسيح ، الذى هو ناموس الروح هو تمتع بعطية الروح الذى يحطم فينا عنف الخطية ويسندنا في صراعنا ضدها ، واهباً إيانا روح الغلبة والنصرة فنكمل !

لاحظ القديس يوحنا الذهبى الفم إن الرسول هو يتحدث عن السيد المسيح واهب ناموس الروح هذا العمل هو عطية الثالوث القدوس محب البشر ، الآب أرسل ابنه مبدولاً لأجلنا ، والإبن قدم نفسه فديه ليدين خطايانا في جسده ، والروح القدس يسكن فينا ليعمل بناموسه فينا هذا هو عمل الثالوث القدوس الذى أعلنه الرسول في العبارة : « لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه فى ما كان ضعيفاً بالجسد فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد » ع ٣ .

يلاحظ هذا فى النص الآتى :

١ - يرى القديس يوحنا ذهبى الفم أن الرسول لم يستخف بالناموس بقوله « لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه » ، فانه لم يقل إن الناموس شر ، وإنما وهو متفق مع السيد المسيح يؤد صلاحنا ، لكنه يعجز عن التحقيق هذا العجز لايقوم

على عيب فيه وإنما على فسادنا نحن الذين صرنا جسديانيين ، إذ يقول « كان ضعيفاً بالجسد » ، هنا لا يقصد « الجسم الإنساني » إنما الحياة الجسدانية .

ويرى القديس جيروم إن سرّ العجز في الناموس هو عدم قدرتنا على تنفيذه ، إذ يقول : [لقد عجز الناموس ، لأنه لم يستطع أحد أن يتممه أحد سوى الرب القائل : « ما جئت لأنقض (الناموس) بل لأكمل » مت ٥ : ١٧ (١٩٥)] .

+ كان الناموس يعمل ليجعل الناس أبراراً لكنه لم يستطع ، فجاء (المسيح) وفتح طريق البر بالإيمان ، وبهذا حقق ما إشتهاه الناموس ؛ ما لم يستطع الناموس أن يحققه بالحرف حققه هو بالإيمان . لهذا السبب يقول : ما جئت لأنقض الناموس .

القديس يوحنا الذهبي الفم (١٩٦)

ب - لم يقل « دان الجسد » ، وإنما قال : « دان الخطية » ، فصار الجسم مقدساً مع النفس يحمل برّ المسيح وقوة الروح ، قادراً على الغلبة ضد الخطية .

ج - يقول الرسول : « أرسل ابنه في شبه جسد الخطية » ، وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم ليس لأنه لم يأخذ جسداً مثلنا وإنما لأنه أخذ جسداً بدون الخطية

+ جاء في الجسد ، أي في جسد شبه الخطية ، لكن ليس في جسد خاطيء ، إذ لم يخطيء قط ، لذلك صار ذبيحة حقيقية عن الخطية إذ هو بلا خطية .

+ أرسل الله ابنه لا في جسد خاطيء بل في شبه جسد الخطية ، وأرسل الابن هؤلاء الذين ولدوا بجسد خاطيء لكنهم تقدسوا به من دنس الخطية .

القديس أغسطينوس (١٩٧)

+ لم يقل « في شبه الجسد » ، إذ أخذ المسيح جسداً حقيقياً وليس شبه جسد ، ولا قال « في شبه الخطية » . لأنه لم يخطيء إنما صار خطية لأجلنا . جاء في شبه جسد الخطية قيل « في شبه » لأنه مكتوب : « هو إنسان من يعرفه ؟ ! » أر ١٧ : ٩ (الترجمة السبعينية) . حسب الناسوت إنسان ،

في الجسد ، حتى يمكن أن يُعرف ، لكنه في القوة هو فوق الإنسان لا يمكن أن يدرك . أخذ جسداً لكنه ليس له سقطات الجسد .

القديس أمبروسيوس (١٩٨)

+ جاء من هذا الجسد لكنه ليس كسائر البشر ، لأن العذراء لم تحبل به بالشهوة وإنما بالإيمان .

جاء في العذراء هذا الذي هو قبل العذراء .

إختارها الذي أوجدها ، خلقها ذاك الذي سبق فإختارها .

وهي الإثمار ولم ينزع عنها طهارتها التي لم تمس

القديس أغسطينوس (١٩٩)

ء - جاء في تعليقات القديس أثناسيوس الرسولي وغيره من الآباء تأكيد علة قبوله « شبه جسد الخطية »

الا وهو اتحاده بطبيعته لتنع بالاتحاد معه وتمتع بعمله فينا بكوننا أعضاء جسده .

+ صار إنساناً ليؤلفنا فيه .

وُلد من امرأة ، من عذراء ، ليغير جيلنا الخاطي فنصير جنساً مقدساً ، شركاء في الطبيعة الإلهية ، كما كتب الطوباوي بطرس (٢ بط ١ : ٤) .

+ بسبب حسن مُسح الرب الذي بطبيعته غير المتغيرة هو محب للبر ومبغض للإثم ، وأُرسل دون أن يتغير حاملاً الجسد المتغير ليدن فيه الخطية ، ويؤكد له الحرية والقدرة محققاً بَرّ الناموس فيه ، بهذا يمكننا أن نقول : لسنا في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فينا (رو ٨ : ٩)

البابا أثناسيوس الرسولي (٢٠٠)

ثانياً التمتع بالبر

إذ لم يقف الأمر عند حدود الإنعتاق من الدينونة وإنما نحمل البر الذي يشاق الناموس أن نتمتع به لكنه يعجز عن تقديمه .

يقول الرسول : « لكي يتم بَرّ الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » ع ٤ .

ماذا يعنى أن يتحقق برّ الناموس فينا ؟ يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن « البر » هنا لايعنى مجرد عدم وجود خطية ، وإنما [البر بالنسبة لنا هو التمتع بالنصرة^(٢٠١)] ، وأن البر لايعنى مجرد الإمتناع عن الخطية وإنما التزين بالصلاح أيضاً ، فلا يقف عند السلبيات إنما يجب ممارسة الإيجابيات .

مرة أخرى يؤكد القديس يوحنا الذهبي الفم أن « البر » حياة ديناميكية مستمرة ، وعمل روحى غير متوقف ، لذا يقول : [فى هذه العبارة يظهر بولس ان المعمودية لا تكفى لخلاصنا مالم نمارس حياة لائقة بهذه العطية بعد نوالها^(٢٠٢)] .

ثالثاً : الإنشغال بإهتمام الروح لإباهتمام الجسد :

« فإن الذين هم حسب الجسد فيما للجسد يهتمون ولكن الذين حسب الروح فبما للروح ، لأن إهتمام الجسد هو موت ، ولكن إهتمام الروح هو حياة وسلام ، لأن إهتمام الجسد هو عداوة الله ، إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع ، فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله ، وأما أنتم فلستم فى الجسد بل فى الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم » ع ٥ - ٩ .

يلاحظ فى حديث الرسول بولس عن إهتمام الروح وإهتمام الجسد الآتى :

١ - لايقارن الرسول هنا بين جوهر الجسد أى الجسم بأعضائه وبين الروح ، وإنما بين إهتمام الجسد وإهتمام الروح ، فيقصد بإهتمام الجسد شهوات الجسد واهتماماته واشتياقاته الجسدانية ، ويقصد باهتمام الروح أشتياقات الروح واهتماماتها الروحية .

مرة أخرى نؤكد أن الانسان بجسده وروحه يمثل وحدة واحدة ، إن ترك لجسده العنان يتلذذ بشهوات جسدانية ، يتعدى الجسد حدوده فيُحسب جسدانياً ، إذ يسلك الإنسان ككل - بفكره ونفسه وجسده - بطريقة جسدانية ، وكأنه قد صار جسداً بلا روح . وعلى العكس إن سلم حياته كلها تحت قيادة الروح القدس تتقدس روحه الإنسانية ويتقدس جسده بكل احساسه وعواطفه فيسلك الإنسان ككل كما لو كان روحاً بلا جسد ، إذ يتصرف حتى الجسد بطريقة روحية .

خلال هذه النظرة يمكننا أن نعرف إهتمام الجسد بمعنى ترك الإنسان الجسد على هواه ليتعدى حدوده فتخضع حتى النفس لتحقيق هوى الجسد ، أما إهتمام الروح فيعنى خضوع الإنسان لروح الله فيسلك كإنسان روحى يحقق هوى الروح . الأول يثمر موتاً للنفس والجسد على مستوى ابدى ، والثانى يهب حياة وسلاماً أبدياً (ع ٦) الأول يخلق عداوة لله (ع ٧) إذ يطلب الإنسان ملذاته على حساب صداقته مع الله ، أما الثانى فيوجد رضى فى عينى الله .

بهذا الفهم يفسر القديس يوحنا ذهبى الفم العبارة : « فالذين هم فى الجسد لا لا يستطيعون أن يرضوا الله » ع ٨ ، قائلاً : هل نقطع جسدنا إرباً حتى نرضى الله ، هارين من طبيعتنا البشرية ؟ ! هذا التفسير الحرفى غير لائق ، فهو لا يقصد الجسم الإنسانى ولا جوهره إما يعنى الحياة الحيوانية العالمية المستهتره التى تجعل الانسان جسدياً ، حتى النفس تصير جسدية ، فتتغير طبيعتها ويتشوه نبلها .

وأيضاً حين نسمع : « أما أنتم فلستم فى الجسد بل فى الروح » لانفهم بهذا أننا خلعنا الجسم الإنسانى ، لكننا ونحن فى هذا الجسم قد تركنا تيار الشهوات الجسدية ، فصرنا كمن بلا جسد من جهة الشهوات . هذا التعبير إستخدمه السيد المسيح نفسه حين قال لتلاميذه : « أنتم لستم من هذا العالم » ، بمعنى إنهم لا يحملون فكر العالم الأرضى وشهواته الزمنية بالرغم من وجودهم فى العالم .

بنفس المعنى يقول القديس إيريناؤس : [بهذه الكلمات لا يحدد مادة الجسم وإنما يظهر ضرورة ان يكون الروح القدس منسكباً فيه . فهو بهذا لا يمنعهم من الحياة وهم حاملون الجسد ، إذ كان الرسول نفسه فى الجسد حين كتب لهم هذا ، إنما كان يقطع شهوات الجسد التى تجلب الموت للإنسان (٢٠٣)] . كما يقول : [لا يتحقق هذا بطرد الجسد وإنما بشركة الروح ، لأن من يكتب إليهم ليسوا بدون جسد إنما تقبلوا روح الله الذى به نصرخ : أباً الآب (٨ : ١٥) (٢٠٤)] .

ويرى القديس أكليمندس الاسكندرى ان التعبيرين « فى الروح » و « ليسوا فى الجسد » إنما يعنى أن الغنوسيين أى أصحاب المعرفة الروحية الحقة يرتفعوا فوق أهواء الجسد : [إنهم إسمى من اللذة ، يرتفعون فوق الأهواء ، يعرفون ماذا يفعلون . الفنوسيون أعظم من العالم (٢٠٥)] .

ب ان إهتمام الروح ليس من عندياتنا ، إنما هو ثمر سكنى السيد المسيح فينا الذى يسكنه يميت الحياة الجسدانية الطائشة ، فيحيا الإنسان بكليته - جسماً ونفساً - فى إنسجام كعضو فى جسد المسيح ، إذ يقول الرسول : « وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية ، وأما الروح فحياة بسبب البر » ع ١٠

السالك بالروح القدس إنما ينعم بالمسيح أيضاً ساكناً فيه : إذ يقول الرسول : « وإن كان المسيح فيكم » . وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [يندع] (الرسول) بهذا لا ليؤكد أن الروح هو نفسه المسيح ، حاشا ، وإنما ليظهر أن من له روح المسيح ، وأيضاً يكون له المسيح نفسه . فإنه لا يمكن إلا حيث يوجد الروح يوجد المسيح أيضاً ، لأنه حيث يوجد أحد الأقانيم الثلاثة يكون الثالث القدوس حالاً ، لأن الثالث غير منقسم على ذاته ، بل له وحدة فائقة للغاية الآن تأمل عظمة البركات التى ننعم بها بنوالنا الروح : بكونه روح المسيح يكون لنا المسيح نفسه ، ونصير مناظرين للملائكة ، وننعم بالحياة الخالدة ، ونمسك بعربون القيامة ، ونركض بسهولة فى سباق الفضيلة^(٢٠٦)] . يكمل القديس الذهبي الفم تعليقه على العبارة الرسولية مظهراً ان الجسد الذى لم يكن خاملاً فحسب بسبب الخطية بل كان ميتاً ، ها هو بالمسيح الساكن فينا صار رقيقاً يركض بسهولة فى ميدان الفضيلة لينال الجعالة الجسد بذاته ميت بالخطية لكن بالله الروح تمتع بالحياة التى لاتنحل ، وصار له بر المسيح .

هكذا اذ يتحدث عن سكنى المسيح فينا يعلن عن « بر المسيح » الذى لا يقف عند إماته الحياة الشهوانية الجسدانية وإنما ينعم بتجلى الحياة بحسب الروح (ع ١٠) يقول القديس يوحنا الذهبي الفم ان الرسول بولس يشجع السامع معلناً عن البر كمصدر للحياة ، لأنه حيث لاتوجد خطية لا يوجد الموت ، وحيث لا موت تكون الحياة غير قابلة للإنحلال .

رابعاً : التمتع بالقيامة

إن كان ناموس الخطية قانونه الموت الأبدى فإن ناموس الروح الذى يهبه لنا المسيح قانونه القيامة من الأموات على مستوى أبدى يهبنا السيد المسيح روحه

القدوس ساكناً فينا ، الروح الذى أقام السيد المسيح من الأموات إذ هو قادر أن يقيم طبيعتنا الساقطة فينزع عنها ناموس الخطية أو الحياة الجسدانية الشهوانية ليهبنا الطبيعة الجديدة ، الطبيعة المقامة في المسيح يسوع ، يسودها ناموس القيامة والحياة . هذا ما أعلنه الرسول بقوله : « وإن كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذى أقام المسيح من الأموات سيحيى أجسادكم المائته أيضاً بروحه الساكن فيكم » ع ١١ .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [مرة أخرى بمس نقطة القيامة بكونها أكثر الأمور تبعث الرجاء في السامع وتهبه ضماناً لما يحدث له في المسيح ، فلا تخف إذن لأنك مثقل بجسد مائت . ليكن لك الروح فستقوم ثانية لامحالة حقاً سيقوم الكل ، لكن لايقوم الكل للحياة ، إنما يقوم البعض للعقاب والآخر للحياة (يو: ٥: ٢٩) انه لا يعاقبك إن رأى روحه يشرق فيك ، بل يوقف العقاب ويدخل بك إلى حجال العرس لتكون هناك مع العذارى (تك ٢٥ : ١٢) ليتك إذن لاتسمح لجسدك (الحياة الجسدانية) أن يعيش في هذا العالم ، لكي يعيش جسدك هناك . ليمت كي لا يموت ! فإن إحتفظت به هنا حياً لايعيش ، وإن مات يحيا . هذا هو حال القيامة بوجه عام . إذ يجب أن يموت أولاً ويدفن عندئذ يصير خالداً . ولكن هذا يحدث في جرن المعمودية ، حيث يتحقق الصلب والدفن وعندئذ القيامة . هذا أيضاً ماحدث بالنسبة لجسد الرب ، إذ سُلِب ودفن وقام . ليحدث هذا أيضاً بالنسبة لنا ، فتكون لنا الإماتة المستمدة عن أعمال الجسد . لأقصد موت جوهر الإنسان ، فان هذا بعيد عن قصدى ، إنما موت ميوله نحو الأمور الشريرة ، فإن هذا هو الحياة أيضاً ، بل ما هو هذا إلا حياة (٢٠٧)] .

يرى القديس أمبروسيو (٢٠٨) في هذه العبارة الرسولية : « سيحيى أجسادكم المائته أيضاً بروحه الساكن فيكم » ع ١١ تأكيداً لوحدة العمل بين الثالوث القدوس ، فإن الآب يحيى من يشاء ، وأيضاً الابن (يو ٥ : ٢١) ، كذلك الروح القدس وقد جاء في حزقيال : « هلم ياروح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً » خر ٣٧ : ٩ ، ١٠ .

خامساً : الشعور بالدين للروح

« فإذن أيها الإخوة نحن مدينون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد ، لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون ، ولكن إن كنتم بالروح تमितون أعمال الجسد فستحيون » ع ١٢ ، ١٣ .

يلقى القديس يوحنا الذهبي الفم على هذه العبارة هكذا :

[بعد أن أظهر عظم مكافأة الحياة الروحية إذ تجعل المسيح ساكناً فينا ، وتحيى أجسادنا المائته ، وتهبها أجنحة لتطير بها إلى السموات ، وتجعل طريق الفضيلة سهلاً ، بلياقة يحننا لتحقيق هذا الهدف . لم يقل : « يلزمنا ألا نعيش حسب الجسد » ، وإنما قال هذا بطريقة أكثر إثارة وقوة هكذا : « نحن مدينون للروح » . هذا ما عناه بقوله . نحن مدينون ليس للجسد » .

في كل موضع يؤكد أن ما يقدمه الله لنا لنا ليس على سبيل الدين وإنما مجرد نعمة (مجانية) . ولكن بعد هذا يوضح أن مانفعله نحن ليس بتقدمة إختيارية إنما هو دين (مقابل معاملات الله لنا) ، إذ يقول : « قد أشتريتم بثمان بثمان فلا تصيروا عبيداً للناس » ١ كو ٧ : ٢٣ ، كما يكتب : « انكم لستم لأنفسكم » ١ كو ٦ : ١٩ ، وفي موضع آخر يثير ذات الفكر في أذهانهم بقوله : « وهو مات لأجل الجمع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم » ٢ كو ٥ : ١٥ . لقد أراد أن يثبت هذا بقوله : « نحن مدينون » ... بقوله : « نحن مدينون ليس للجسد » ، ولعلنا نظن انه يتحدث عن طبيعة الجسد قال : « إن عشتم حسب الجسد »

يقدم لنا هنا تعليماً وهو أنه يلزمنا ألا نعيش حسب الجسد ، بمعنى ألا نجعله سيد حياتنا ، إنما ليكون الجسد هو التابع لا القائد ، ليس هو الذى يدبر حياتنا ، بل ناموس الروح هو الذى يدبرها . بإبرازه هذه النقطة ، وتأكيدنا اننا مدينون بالروح ، واطهاره منافع هذا الدين الذى علينا للروح لايتحدث عن الأمور الماضية بل عن الأمور المقبلة فإن نفع الروح لايقف عند هذا فقط انه حررنا من خطايانا السابقة بل يهبنا حصانة ضد خطايانا المقبلة ويحسبنا أهلاً للحياة الخالدة (ستحيون) (٢٠٩) .

+ وهبك المخلص الروح الذى به تمت أعمال الجسد .
القديس أغسطينوس (٢١٠)

سادساً : التمتع بروح البنوة

ركز الرسول بولس فى هذا الأصحاح وهو يتحدث عن « ناموس الروح وبر المسيح » ، عن شعورنا أننا مدينون للروح القدس الذى يعتقنا من الدينونة مادامنا نسلك حسب الروح ، ويهبنا روح الغلبة والنصرة فنواجه حرب الخطايا بقوة ونركض فى ميدان الفضيلة ، منطلقين نحو السماء كما بأجنحة الروح أخيراً يكشف لنا الرسول عن عمل هذا الروح الإلهى فىنا لابتقديم إمكانيات إلهية إلينا فحسب وإنما بتجديد مركزنا بالنسبة لله ، فينزعنا من مركز العبودية لنحتل مركز البنوة الفائق الذى به نصرخ نحو الآب قائلين « يابأ الآب » ، نحسب بالحق أولاد الله لنا حق الميراث مع المسيح .

« لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله ، إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يابأ الآب ؛ الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله » ع ١٤ - ١٦ .

يعلق القديس يوحنا الذهبى الفم على هذه العطية بقوله :

[الآن فإن هذه أيضاً أعظم كرامة من الأولى . ولهذا لم يقل « لأن كثيرون يعيشون بروح الله » ، إنما يقول « لأن كثيرون ينقادون بروح الله ، مظهرًا أنه يستخدم سلطاناً على حياتهم (يقتادهم) كربان يقود سفينة ، أو سائق مركبة على زوج من الفرس ، فهو لا يقود الجسد فقط وإنما النفس أيضاً ، يملك عليهما ولأنه يخشى بسبب الثقة فى عطية جرن المعمودية يهملون فى رجوعهم بعد نواهم العماد ، لذا يود أن يقول لهم انكم وإن نلتُم المعمودية ولاتنقادون للروح فانكم تفقدون الكرامة التى نلتُموها وسمو بنوتكم (٢١١)] .

يرى ذات القديس ان قول الرسول : « لم تأخذوا روح العبودية » يشير إلى العهد القديم حيث لم ينل اليهود روح البنوة وإنما بنواهم الناموس مجردا عاشوا تحت

تهديدات العقوبة في خوف كعييد ، أما في العهد الجديد فلم تعد مكافأة الوصية أموراً زمنية ولا عقابها زمنياً ، إنما قدمت الوصية للبنين ، ليكون الله نفسه هو مكافأتنا ، نعم به أباً أبدياً ، نناديه « أدبا » ، وهي كلمة أرامية توجه لمناداة الأب .

يعلق القديس أغسطينوس على القول : « روح العبودية أيضاً للخوف » ، قائلاً : [يوجد نوعان من الخوف ينتجان صنفين من الخائفين ، هكذا يوجد نوعان من الخدمة يقدمان نوعين من الخدام . يوجد خوف يطرده الحب الكامل خارجاً (١ يو ٤ : ١٨) كما يوجد نوع آخر من الخوف هو طاهر ويبقى إلى الأبد (مز ١٩ : ٩) . يشير الرسول هنا إلى الخوف الذي ليس للمحبة كما يشير في موضع آخر إلى الخوف الطاهر ، بقوله : « لا تستكبر بل خف » رو ١١ : ٢٠ (٢١٢) .

بهذا الروح نحمل لغة البنين في حديثنا مع الله كأب لنا ، فنصرخ بالروح القدس الساكنة فينا ، واهب البنوة ، لنقول : يا « أباً » . هذا الصوت الذي نصرخ به كما يقول القديس جيروم : [لا يخرج من الشفاه بل من القلب ، ففي الحقيقة يقول الله لموسى : « مالك تصرخ إليّ ؟ ! » خر ١٤ : ١٥ ، وبالتأكيد لم ينطق موسى بكلمة (٢١٣)] .

+ بالحرى يجدر بهم أن يفهموا انهم إن كانوا أبناء الله فبروح الله ينقادون ليفعلوا ماينبغي فعله . وعندما يفعلون هذا يقدمون الشكر لله الذي به فعلوا وهذا لايعنى انهم لم يفعلوا شيئاً (أى لايحرمون من نسبة هذه الأعمال إليهم) .

+ انه يعنى عندما تمتنون بالروح أعمال الجسد فتحيون (ع ١٣) مجدوا الله ، أشكروه ، قدموا له الت شكرات ، ذاك الذى تنقادون بروحه ، لكى تقدرؤا على السير فى هذه الأمور لتظهروا كأبناء الله

القديس أغسطينوس (٢١٤)

يحدثنا القديس كبريانوس عن التزاماتنا كأولاد لله ، قائلاً : [إن كنا أولاداً لله ، إن كنا بالفعل قد بدأنا أن نكون هياكله ، إن كنا نتقبل روحه القدوس ، يلزمنا أن نحيا بالقداسة والروحانية . إن كنا نرفع أعيننا عن الأرض نحو السماء ، إن كنا نرفع

قلوبنا ، ونمتلىء بالله (الآب) والمسيح بالعلويات والإلهيات فليتنا لاتفعل إلا مايليق
بالله والمسيح ، كما يحثنا الرسول ، قائلًا : « فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فأطلبوا
ما فوق حيث المسيح جالساً عن يمين الله ، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض ، لأنكم
قدمتم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله ، متى أظهر المسيح حياتنا فحيثُتد تظهرون
أنتم أيضاً معه في المجد » كو ٣ : ١ - ٤ . ليتنا نحن الذين في المعمودية متنا ودقنا
عن الخطايا الجسدية التي للإنسان القديم وقمنا مع المسيح في التجديد السماوى
نفكر في أمور المسيح ونمارسها^(٢١٥)]

هذا ويروى القديس غريغوريوس أسقف^(٢١٦) أن عطية البتوة التي تنالها بالروح
القدس هي عطية السيد المسيح نفسه هذا الذى حمل مالنا ليهبنا ماله ، فحمل موتنا
ولغتنا وخطايانا وعبوديتنا لينزع هذا كله عنا فلا نُحسب بعد عبيداً بل أبناء وأحياء .

ويعلق القديس أغسطينوس^(٢١٧) على تعبير « آبا الآب » ، قائلًا أن كلمة
« آبا » تقابل في اللاتينية Pater وهى تعنى أيضاً « الآب » ، وكأن الكنيسة تكرر
الكلمة إذ تصرخ بلغة اليهود « آبا » وبلغة الأمم « الآب » ، فهى كنيسة واحدة
تضم أعضاء من اليهود والأمم يشعر الكل بأبوة الله لهم بلا تمييز .

هذه البتوة يشهد بها الروح القدس نفسه الذى يسكن قينا واهباً إيانا « كرامة
البتوة » ، إذ يقول الرسول : « الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله »
ع ١٦ .

سابعاً : التمتع بالميراث

إذ ننال روح البتوة ، نحسب أبناء الله لنا حق الميراث الأبدى ، وكما يقول
الرسول : « فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ، ورثة الله ووارثون مع المسيح » ع ١٧

ظن اليهود أنهم كأصحاب للناموس هم ورثة المواعيد دون سواهم ، لكن الرسول
بلطف يكشف لهم أن الأمم إذ نالوا روح البتوة بالمعمودية صاروا ورثة الله ، وكما قال
السيد المسيح نفسه : « أولئك الأردباء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم إلى كرامين
آخرين » مت ٢١ : ٤١ ، كما قال : « وأقول لكم إن كثيرون سيأتون من المشارق

والمغارب ويتكثون مع إبراهيم وإسحق في ملكوت السموات ، وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية » مت ٨ : ١١ ، ١٢

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [أضاف إلى قوله إنا ورثة الله « ووارثون مع المسيح » . لاحظ طموحه ، فإنه يريد أن يقترب بنا إلى السيد . فحيث انه ليس كل الأبناء ورثة أظهر أننا أبناء وورثة أيضا ، ولما كان ليس كل الورثة ينالون ميراثاً عظيماً أبرز هذه النقطة بكوننا ورثة الله . مرة أخرى إذ يمكن أن نكون ورثة لله ولكن ليس ورثة مع الابن الوحيد أظهر أن لنا هذا أيضا^(٢١٨)]

ثامناً : الشركة مع المسيح المتألم والممجد

إن كان الروح القدس يهبنا الميراث كأبناء لله ، نرث الله مع المسيح فإن هذا الميراث هو عطية مجانية لافضل لنا فيها، لكنها لا تقدم للخاملين بل للجادين في الشركة مع المخلص ، الذين لهم شركة في آلامه يتمتعون بشركة أمجاده « إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضا معه » ع ١٧ .

٢ - تجديد الخليقة وعمل الروح

إذ سبق فحدثنا عن « ناموس الروح » مبرزاً عمل الله فينا ، انه يعتقنا من الدينونة إن سلكنا بالروح القدس وليس حسب شهوات جسدنا ، ويهبنا إهتمام الروح الذي هو الحياة والسلام ، وننعم بسكنى السيد المسيح فينا فيهبنا به ، وننعم بعربون القيامة عماملاً فينا ، ونشعر بالدين نحو الروح الذي يهبنا البنوة لله والميراث مع المسيح والشركة معه ، الآن يحدثنا عن عمل الروح فينا وأثره حتى على الخليقة غير العاقلة ، مبرزاً ترقب العالم المخلوق من أجلنا لعودتنا إلى الأحضان الإلهية كأبناء لله بعد أن تركناه زماناً فسينا للأرض اللعنة وللخليقة فساداً . هذا من جانب ، ومن جانب آخر إذ نعود الآن لنختبر عربون الروح بقيامة نفوسنا من موت الخطية تتمتع أيضا أجسادنا بهذه القيامة مترتبة يوم الرب العظيم بصبر ليعيش الإنسان بكامله - نفساً وجسداً - في كمال قوة القيامة أبدياً ولئلا يستصعب المؤمن هذا أكد دور الروح القدس نفسه واهتمامه بنا لتحقيق هذا العمل فينا .

أولاً : بدأ الرسول حديثه بالقول : « فإني أحسب ان الآم الزمان والحاضر لا تقاس بالمجد العتيق أن يستعلن فينا » ع ١٨

وضع هذه العبارة كخاتمة للحديث السابق وإفتتاحية للحديث الجديد ، فإنه إذ كان يتحدث عن « برّ المسيح » وارتباطه بناموس الروح ، كاشفاً عن عمل الروح فينا خاصة البنوة لله والتمتع بالميراث أراد أن يوضح ان حياتنا مع الله ليست هروباً من الضيق والآلم الحاضر وإنما هي إرتفاع على الآلام الحاضرة خلال انفتاح القلب على المجد الأبدي . وكأن الرسول بعد أن عرفنا على عطايا الله غير المدركة إذا به يقودنا بثقة وسط آلام هذا الزمان وأخطاره ، معلناً ان اتحادنا مع الله بروحه القدوس في إبنه لا يغير الظروف المحيطة بنا بل إتساعاً في القلب والفكر وقوة للنفس لتجتاز كل الظروف بنبل من أجل الأجداد الأبدية .

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذه العبارة قائلاً : [لاحظ كيف يهديء روح المصارعين ويرفعها في نفس الوقت ، فانه بعد ما أظهر أن المكافآت أعظم من الأتعاب ، يحشهم لإحتمال متاعب أكثر دون أن يستكبروا ، إذ لا يزالوا يغلبون لنوال الأكاليل كمكافأة لهم . في موضع آخر يقول : « لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشيء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً » ٢ كو ٤ : ١٧ هنا لم يقل إن الآلام خفيفة ، لكنه يربط الآلام بالراحة خلال إعلان المكافأة بالصالحات العتيدة . « فإني أحسب ان الآلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيق أن يستعلن فينا » ... لم يقل « المجد الذي سيكون لنا » وإنما « يستعلن فينا » ، كما لو كان المجد فينا فعلاً لكنه لم يستعلن بعد هذا أوضحه أكثر في موضع آخر : « حياتنا مستترة مع المسيح في الله » (٣ : ٣) هذه الآلام - أيا كانت - مرتبطة بحياتنا الحاضرة ، أما البركات القادمة فتبلغ عصوراً بلا حدود (٢١٩)] .

هذا الحديث الرسولي عن المجد الأبدي الذي يُستعلن فينا خلال الآلام الزمنية المؤقتة ألهب قلب المؤمنين للانطلاق بالحب الإلهي على مستوى سماوي يرفع نفوسهم فوق كل ألم وضيق أو طلب خير زمني أو بركة مؤقتة :

+ المحبة لا تجد شيئاً ثقيلاً ؛ الغيور لا يعرف عملاً صعباً . تأمل ما أحتمله يعقوب

من أجل راحيل المرأة التي وُعد بها، إذ يقول الكتاب المقدس : « فخدم يعقوب يراحيل سبع سنين ، وكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها » تك ٢٩ : ٢٠ . لقد أخبرنا بنفسه بعد ذلك عما احتمله : « كنت في النهار يأكلني الحر في الليل الجليد » تك ٣١ : ٤٠ .

هكذا يليق بنا أن نحب المسيح ونطلب على الدوام قبلاته ، وعندئذ يبدو كل صعب سهلاً لنا ، وما هو طويل يصير قصيراً .

لنضرب يساهم حبه (مز ١٢٠ : ٥) فنقول في كل لحظة : « الويل لي فإن غرتي قد طالت عليّ » مز ١٢٠ : ٥ .

+ إن تطلعت أن ترث خيرات العالم لا تقدر أن تكون شريكاً مع المسيح في الميراث .

+ إنك طماع للغاية يا أخي ، إذ تود أن تبهج بالعالم هنا وتملك مع المسيح هناك .

القديس جيروم (٢٢٠)

+ [إلى المقدمين للإستشهاد في المناجم :]
إنكم تنتظرون كل يوم بفرح يوم رحيلكم المنقذ .
هأنتم قد تركتم العالم بالفعل وتسرعون نحو مكافآت الإستشهاد ، نحو المنازل الإلهية ، لكي تروا بعد ظلمة العالم هذه النور اللأئق ، وتتقبلون مجداً أعظم من كل الآلام والأحزان .

الشهيد كبريانوس (٢٢١)

+ لم يقل الإناء المختار بفرح شديد إعتباطاً : « فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا » . انظر فان النير هين وذلك الحمل خفيف (مت ١١ : ٢٩) ، فإنه وإن كان عسيراً على القليلين الذين اختاره لكنه سهل بالنسبة للذين يحبونه . يقول المرتل : « على حسب كلامك شفيتك لزمتم طرقاً وعرة » مز ٢٦ : ٤ .

القديس أغسطينوس (٢٢٢)

ثانياً : إذ يعلن الرسول أن الروح لا ينزع عن المؤمن الآلام والضيقات إنما يهبه مجداً خفياً في الداخل وسط الآلام الخارجية ، يُستعلن هذا المجد في يوم الرب العظيم ، ينتقل من حياة المؤمن الداخلية إلى الخليقة عينها ، قائلاً : « لأن إنتظار الخليقة بتوقع إستعلان أبناء الله » ع ١٩

ماذا يقصد بالخليقة التي تترب في شوق إعلان بنوتنا لله ؟

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الرسول يقصد بالخليقة هنا العالم كله بما فيه من جمادات . فإن كان الله قد خلق العالم كله من أجل الإنسان ليحيى سيداً فيه يحمل صورته الإلهية ومثاله ، فإن فساد الإنسان إنعكست آثاره حتى على الخليقة ، فعندما سقط آدم جاء الحكم : « ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكاً وحسكاً تنبت لك » تك ٣ : ١٧ ، ١٨ . قاوم الإنسان إلهه ، فاثمرت مقاومته مقاومة الخليقة له ، ولكنها حتى في هذه المقاومة كأنها تترجى عودته إلى حضن الله كابن له فتعود هي متهلة من أجل الإنسان الذي خلقت لأجله .

صّور الرسول بولس الخليقة كشخص يعن ويتمخض معاً يترجى صلاح الحياة كلها غير أن هذا لا يفهم بصورة حرفية مادية وإلا توقعنا أن تعود البشرية كما مع آدم في الفردوس الأول الأرضي المادى ويبقى الفردوس خالداً ، الأمر الذي يتناقى مع فكر المسيح وروح الإنجيل ، إنما أراد الرسول أن يبرز فاعلية عمل السيد المسيح في حياة الإنسان ، حتى تكاد الخليقة غير العاقلة أن تنطق متهلة من أجل المصالحة مع الله وعودته إلى الأحضان الأبوية .

في أوضاع إستثنائية سمح الله للطبيعة العنيفة أن تخضع للمؤمن ، كملاطفة الحيوانات المفترسة الجائعة للشهداء في الساحات الرومانية ، وعدم فاعلية السم على بعضهم ، وسكنى بعض المتوحدين والسواح مع الحيوانات البرية ، وإعالة البعض في الصحراء بواسطة غربان الخ هذا كله لم يكن قاعدة عامة إنما تحققت بفيض خاصة في عصور الضيق الشديد لمساندة الإيمان بطريقة مله ونسة ، ولتأكيد العطايا الإلهية الداخلية غير المنظورة والأعجاد السماوية المتربة .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم [إن (الرسول بولس) يجعل من العالم كله أشبه بشخص ، كما سبق ففعل الأنبياء عندما قدموا الأنهار تصفق بالأيادي (مز ٩٨ : ٨) ، والتلال تقفز ، والجبال تتحرك ، لالنتخيل هذه الكائنات الجامدة أشخاصاً حية ، فننسب لها قوة العقل وإنما لكي ندرك عظمة البركات وكأنها قد أثارت الخليقة غير الحسية أيضاً . يستخدمون ذات الأسلوب أيضاً في الظروف المؤلمة حيث يصورون الكرمة تنتحب والخمر ييكي والجبال وعوارض الهيكل تصرخ ، لندرك مدى بشاعة الشر . هكذا إمتثل الرسول بالأنبياء فجعل من الخليقة هنا أشبه بكائن حي يئن ويتمخض ، لتظهر عظمة الأمور المقبلة

مامعنى أن الخليقة أخضعت للباطل (ع ٢٠) ؟

لماذا صارت فاسدة ؟ وماهو السبب ؟

بسببك أنت أيها الانسان، فانك إذ حملت جسدا ميتاً قابلاً للآلام تقبلت الارض لعنة وأنبئت شوكاً وحسكاً .

حتى السماء إذ تبلى مع الأرض ستتحول إلى حالة أفضل ، إسمع ماينطق به النبي : « من قدم أسست الأرض ، والسموات هي عمل يديك ؛ هي تبيد وأنت تبقى ، وكلها كثوب تبلى كرداء تغيرهن فتغير » مز ١٠٢ : ٢٥ ، ٢٦ . ويعلن اشعيا ذات الأمر ، بقوله : « إرفعوا إلى السموات عيونكم وأنظروا إلى الأرض من تحت ، فإن السموات كالدخان يضمحل والأرض كالثوب تبلى وسكانها يموتون (مثلها) » إش ٥١ : ٦ .

ها أنت ترى بأن معنى سقطت الخليقة في عبودية الباطل ، وكيف تتحرر من حالة الفساد ؟ !

لقد حاصرها الشر لأجلك وصار مفسداً ، مع أن (الخليقة) لم ترتكب خطأ من جانبها ، ولأجلك أيضاً سيحدث عدم الفساد . هذا هو معنى « على الرجاء » ع ٢٠ .

عندما يقول أنها أخضعت « ليس طوعاً » لايظهر أن ماقد حدث لها وإنما لكي

نتعلم عناية المسيح للكل ، فإن اصلاح الخليقة لا يكون من ذاتها (٢٢٣)] .

[الآن ، ماهو رجاء الخليقة ؟]

« لأن الخليقة نفسها أيضا ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله » ع ٢١

الآن ، ماهى هذه الخليقة ؟ إنها لاتعنيك أنت وحدك وإنما معك أيضا الخليقة الأدنى ، التى لاتشترك معك فى العقل أو الحس ، هذه تشاركك بركاتك .

يقول « ستعتق من عبودية الفساد » بمعنى أنها لاتعود تصير فاسدة ، وإنما تتمشى جنباً إلى جنب مع الجمال الذى يوهب لجسدك . فكما انه عندما صار جسدك فاسداً فسدت هى أيضا ، هكذا الآن إذ صار جسدك غير فاسد تتبعه هى أيضا . وإذ يعلن الرسول هذا يبلغ إلى النتيجة : « إلى حرية مجد أولاد الله » فتتحقق حريتها .

إنه يشبه مربية ترى ابن ملك ، عندما ينال الابن سلطان أبيه تتمتع هى معه بالخيرات ، هكذا أيضا بالنسبة للخليقة معنا .

ها أنت ترى فى كل الأمور أن الإنسان يحتل مركز القيادة ، فمن أجله خلقت كل الأشياء .

أنظر كيف يلطف (الرسول) المصارع مظهراً محبة الله غير المنطوق بها من نحو الانسان ، إذ يود أن يقول : لماذا أنت مرتبك عند تجاربك ؟ فإن كنت تتألم من أجل نفسك فإنه حتى الخليقة تتألم بسببك . وليس فقط يلطف وإنما يظهر أيضا أن ماينطق به أمر ذا أهمية ، لأنه إن كانت الخليقة التى أوجدت بكاملها لأجلك هى « على رجاء » فكم بالأولى يليق بك أنت أن تكون على رجاء ، يامن من خلالها ستمتع الخليقة بتلك الخيرات ؟ !

كما أن الآباء إذ يرون الأبناء فى طريقهم لنوال كرامة يُلبسون الخدم ثياباً بهية من أجل مجد الابن ، هكذا يلبس الله الخليقة عدم الفساد من أجل مجد حرية الأبناء (٢٢٤)] .

ويرى القديس غريغوريوس اسقف نيقص (٢٢٥) ان الخليقة التى تتن على رجاء
هى جماعة السمائين الذين كمن هم يئنون من أجل الانسان ليفرحوا بتمتعه
بالبنوة ، وكما قال السيد المسيح إن السماء تفرح بخاطيء واحد يتوب (لو ١٥) .

ويرى القديس إيريناؤس أن « الخليقة » هنا تعنى « الجسد » ، إذ يقول : « من
العدل انه فى ذات الخليقة التى فيها تعبوا وتألما متزكين بكل طرق الاحتمال أن يتقبلوا
مكافأة اتعابهم ، وانه فى الخليقة التى فيها ذبحوا من أجل محبتهم لله فيها ذاتها ينتعشون
مرة أخرى . فى الخليقة التى احتملوا العبودية يملكون . فإن الله غنى فى كل شىء ،
وكل شىء هو له . يليق إذن أن تُعاد الخليقة عينها إلى حالتها الأولى فتصير بلا مقاومة
تحت سلطان البر كما أوضح الرسول فى الرسالة إلى أهل رومية (٢٢٦)] .

ثالثاً : الخليقة توبخنا برجائها كما بأبنيتها

إن كانت الخليقة التى تتمتع بالخيرات من أجلنا إذ سقطت تحت الفساد بسببنا
تترجى مجدنا كأولاد لله لتلبس عدم الفساد ، فإنها فى هذا الأنتظار كمن فى حالة
ولادة مستمرة تنتظر « جديداً » ، إذ يقول الرسول : « فإننا نعلم أن كل الخليقة تتن
وتتمخض معاً إلى الآن » ع ٢٢ . هذا هو حال الخليقة التى أوجدت من أجلنا
فكم بالحرى يليق بنا أن تتن نحن أيضاً ونتمخض بالآلام من أجل تمتعنا بكمال مجد
البنوة لله ؟ !

رابعاً : إن كانت الخليقة التى لم تنل شيئاً قد امتلات رجاء وصارت كما فى حالة ولادة تتن
وتتمخض فكم بالحرى يليق بنا نحن الذين تمتعنا فعلاً بعمل الروح القدس فى
نفوسنا ، فنلنا باكورة المجد فى داخلنا لترجى كمال عمله فى حين تخلص أجسادنا
أيضاً بقيامتها فى يوم الرب العظيم فتتعم مع النفوس بذات المجد ، إذ يقول الرسول :
« وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا نتن فى أنفسنا
متوقعين التبنى فداء أجسادنا » ع ٢٣ ؟ !

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم أن باكورة الروح الذى نلناه يدفعنا لهذا الأنين
الداخلى المملوء رجاء . هذه الباكورة عظيمة للغاية لاتقف عند غفران الروح لخطايانا
ولنما أيضاً تهنا البر والتقديس ، وقد ظهرت هذه الباكورة فى عصر الرسول بإخراج

الرسول للشياطين وإقامة الموقى خلال ظلهم (أع ٥ : ١٥) وثياهم (أع ١٩: ١٢) .
هذه هي الباكورة فماذا يكون كمال الروح ؟

إذن لتتوقع التبنى كقول الرسول كيف يكون هذا ونحن قد نلنا البنوة لله
فعلا ؟ إننا نتوقع كمال مجد البنوة بقيامة الجسد من الأموات ، كقول الرسول :
« الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل
إستطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء » فى ٣ : ٢١ ، « لأن هذا الفاسد لا بد أن
يلبس عدم فساد ، وهذا المائت يلبس عدم موت » ١ كو ١٥ : ٥٣ .

إذاً مانلناه كباكورة الروح إنما يفتح باب الرجاء للإنسان ليجاهد بالصبر حتى
يبلغ كمال الروح الذى يمجّد الإنسان بكليته نفساً وجسداً ، على مستوى أبدي ،
لذلك يكمل الرسول حديثه عن الرجاء لنوال كمال الروح قائلاً :
« لأننا بالرجاء خلصنا ، ولكن الرجاء المنظور ليس رجاءً ، لأن ما ينظره أحد
كيف يرجوه أيضاً و إن كنا نرجو مالمسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر ،
ع ٢٤، ٢٥ .

١ - ماذا يعنى : « بالرجاء خلصنا » ؟

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [هذا يعنى أنا لانطلب كل شيء لنا فى
هذه الحياة ، وإنما يكون لنا رجاء أيضاً مؤمنين أن ما وعدنا به الله يحققه لنا ،
بهذا نحن خلصنا ؛ فان فقدنا الرجاء نفقد كل مانلناه]

يود أن يقول : أتساءل ، ألم تكن أنت خاضعاً لخطايا بلا حصر ؟ ألم تكن
يائساً ؟ ألم تكن تحت الحكم ؟ ما الذى خلصك إذن ؟ الرجاء فى الله
وحده ، وثقتك من جهة مواعيده وعطاياه ، فإنه ليس لك شيء آخر تقدمه له . إن
كان هذا هو الذى خلصك فلنتمسك به الآن أيضاً . فمن قدم لك بركات عظيمة
هكذا لا يمكن أن يخدعك فى البركات المقبلة . لقد وجدك ميتاً ومخطئاً وسجيناً
وعدواً ، فجعلك صديقاً وإبناً وحرّاً وباراً ووارثاً معه ، مقدماً لك أموراً عظيمة هكذا
لم يكن يتوقعها أحد ، بعد التمتع بمثل هذه العطايا بسخاء وحب يخونك فى الأمور
المقبلة ؟ !

هذا الطريق (الرجاء) خلصك من البداية ؛ إنه العربون الذى أحضرته وحده إلى العريس . فلنتمسك به ولنحتفظ به ، فإنك إن طلبت شيئاً فى هذا العالم تفقد صلاحك الذى به صرت بهياً ، لهذا يكمل الرسول : قائلاً : « ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء ، لأن ماينظره أحد كيف يرجوه أيضاً ؟ ! » (٢٢٧) .

يقول القديس أغسطينوس : [وإذ ننتظر خلود الجسد وخلص نفوسنا فى المستقبل نتسلم العربون فيقال إننا قد خلصنا] (٢٢٨) .

يشبه القديس أغسطينوس هذا الرجاء بالبيضة التى تحمل فى داخلها حياة تقدمها خلال دفء الضيقات والآلام ، إذ يقول : [إنها بيضة ، وليس بعد (كتكوت) . إنها مغلفة بقشرة ، لكن لا تنظر إليها هكذا بل أنتظر فى صبر ، ولتجعلها فى دفء فستقدم حياة . إضغط عليها] (٢٢٩) .

ب - إن كانت باكورة الروح تدفعنا للتمسك بالرجاء لنوال كمال المجد الذى يهبه الروح للأبناء ، فإن هذا الرجاء ليس بالعمل السلبي بمعنى آخر يلتزم المؤمن أن يمارس دوراً إيجابياً باحتماله الأتعاب الكثيرة والآلام من أجل رجائه فى غير المنظورات ، إذ يقول الرسول « نتوقعه بالصبر » ع ٢٥ .

هذا ما يؤكد الرسول على الدوام : إبراز عمل النعمة الإلهية المجانية ، لكن دون سلبية من جهة المؤمن !

ج - إن كان المؤمن فى رجائه بالتمتع بكمال عمل الروح ليعلن مجد أبناء الله أبدياً وذلك خلال الصبر ، فإن هذا الصبر عينه هو عطية إلهية نفتنيها بالله نفسه ، إذ يسندنا الروح القدس نفسه فى جهادنا ، حتى فى الأمور البسيطة والضعفات ، وكما يقول الرسول : « وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا » ع ٢٦ .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [لكى تعرف أنه ليس بأتعابك وحدها والمخاطر التى تواجهها إنما تقف النعمة بجانبك ، حتى فى الأمور التى تبدو هينة للغاية ، إذ يعمل معك ، وفى كل الأحوال يقوم بدوره فى الاتحاد (٢٣٠)] .

ء - إذ يتعرض الرسول بولس لعون الروح القدس لنا في جهادنا حتى في الضعفات البسيطة كي نلتهب بالرجاء ونثابر بالصبر ، يبرز عملاً رئيسياً للروح القدس في حياتنا ، بقوله : « لأننا لسنا نعلم مانصلي لأجله كما ينبغي ، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لاينطق بها ، ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ماهو إهتمام الروح ، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين » ع ٢٦، ٢٧ .

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم^(٢٣١) ان « الروح » هنا الذى يشفع فينا إنما يعنى القلوب الملتبئة بالروح القدس خلال « موهبة الصلاة » ، إذ يعطى الروح القدس للبعض موهبة الصلاة عن الآخرين فالروح يقترح على النفوس المقدسة ما تصلى به من أجل أخوتها ، لأنها لاتعلم ماتصلى لأجله كما ينبغي ، فقد صلى بولس طالباً أن يرى روما ، وصلى موسى مشتتياً رؤية فلسطين (تث ٣ : ٢٦) ، وطلب أرميا عن اليهود (ار ١٥ : ١) وتشفع إبراهيم عن أهل سدوم (تك ١٨ : ٢٣) ، ومع مالهذه الصلوات من قيمة كبرى تكشف عن قلوب مقدسة محبة للآخرين ، لكنها في رأى القديس يوحنا الذهبي الفم لم يكن هؤلاء يعرفون ما يصلون لأجله كما ينبغي فالإنسان مهما بلغت قداسته يحتاج إلى عون الروح ليرشده حتى في الصلاة عن الآخرين .

الروح يسند ليس فقط في الصلاة عن الآخرين وإنما حتى من أجل الإنسان نفسه ، لأنه كما يقول الأب إسحق تلميذ القديس أنبا انطونيوس : [أحياناً نسأل أموراً تضاد خلاصنا ، وبواسطة عنايته الإلهية يرفض طلباتنا ، لأنه يرى ماهو لصالحنا بحق أعظم مما نستطيع نحن . وهذا ماحدث مع معلم الأمم عندما صلى أن ينزع منه ملاك الشيطان الذى سمح به الرب لأجل نفعه . « من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقنى ، فقال لى : تكفيك نعمتى لأن قوتى في الضعف تكمل » ٢ كو ١٢ : ٨ ، ٩^(٢٣٢)] .

يعلق القديس أغسطينوس على آنات الروح القدس فينا ، قائلاً : [لايشن الروح القدس في ذاته مه نفسه في الثالوث القدوس ، في جوهره الأبدى إنما يشن فينا ، أى يجعلنا نحن . فإنه ليس بالأمر الهين أن الروح القدس يجعلنا نحن ، إذ يهبنا أن

ندرك أننا غرباء نسلك في أرض غربتنا ، ويعلمنا أن ننظر نحو وطننا ، فنحن بشوق شديد (٢٣٣) .

ه - إدراك تدبير الله لمحبيه

أبرز الرسول بولس حاجة المؤمن لإدراك خطة الله الخلاصية في حياته هو شخصياً ، إذ يقول : « ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده » ع ٢٨ .

خطة الله بالنسبة لنا فائقة ، فهو لا يغير مجرى الأحداث والظروف حسب أهوائنا الشخصية إنما يحول كل الأمور بلا إستثناء لبنيان نفس المؤمن الحقيقي ، فتعمل حتى الظروف المضادة مجده .

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذه العبارة ، قائلاً بأنه يليق بالمؤمنين ألا يختاروا لأنفسهم الحياة حسب فكرهم حاسبين ان هذا نافع لهم ، إنما يقبلون ما يقترحه الروح القدس ، لأن أموراً كثيرة تبدو للإنسان نافعة تسبب له مضاراً كثيرة . كمثال قد يظن الإنسان أن الحياة الهادئة التي بلا مخاطر ولا متاعب نافعة له ، لذلك طلب الرسول ثلاث مرات ان يرفع الله عنه التجربة ، فجاءته الإجابة : « تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل » ٢ كو ١٢ : ٨ ، ٩ . بمعنى آخر لترك كل الأمور في يدى الروح ليحولها لبنيان نفوسنا .

مرة أخرى يؤكد القديس يوحنا الذهبي الفم إن كل الأمور التي تبدو مؤلمة تعمل لخير الذين يحبون الله ، أما الذين لا يحبونه فحتى الأمور التي تبدو صالحة ومقدسة تعمل ضدهم إن لم يرجعوا إليه بالحب ، فمن كلماته :

+ حتى الضيق أو الفقر أو السجن أو المجاعات أو الميتات أو أى شيء آخر يحل بنا يستطيع الله أن يحول كل الأمور إلى نقيضها .

+ كما أم الأمور التي تبدو ضارة تكون نافعة للذين يحبون الله ، فانه حتى الأمور النافعة تصير ضارة للذين لا يحبونه .

[ضرب أمثلة باليهود الذين لم يتفعلوا بالناموس الصالح بل وتعثروا حتى في السيد المسيح] .

القديس يوحنا الذهبي الفم (٢٢٤)

+ بالنسبة للكاملين والحكماء يُقال : « كل الأشياء تعمل للخير للذين يحبون الله » ، أما بالنسبة للضعفاء الأغبياء فقد قيل أن كل شيء ضد الشخص الغبي (أم ١٤ : ٧) ، فلا ينتفع من النجاح ولا ينصلح شأنه من المصائب إذ ينهرم الإنسان بأكثر سهولة بالنجاح أكثر من الفشل ، لأن الفشل يجعل الإنسان أحياناً يقف ضد إرادته ، وينال إبتضاعاً ، وخلال حزنه المفيد يقلل من خطيته وينصلح شأنه ، أما النجاح فقد يدفع بالإنسان إلى الكبرياء العقلي والعظمة الكاذبة

الأب تادرس (٢٣٥)

+ ماذا يعنى بـ « كل الأشياء » إلا تلك الآلام المرعبة القاسية التي تحمل بنا ؟ ! فإنه بالحق يصير حمل المسيح الثقيل خفيفاً بالرغم من ضعف محبتنا .

القديس أغسطينوس (٢٣٦)

يقدم لنا القديس جيروم (٢٣٧) أيوب مثلاً حياً لمن تتحول الأضرار بالنسبة إلى خيره ، فلم يترك العدو شيئاً في أيوب غير مضرب سوى لسانه لعله يجدف به على الله ، لكن هذه كلها آلت إلى خيره ، فقد جاء إليه الله وتحدث معه على مستوى الصديق مع صديقه .

يعلق كثير من الآباء على تسمية الذين يحبون الله هكذا : « الذين هم مدعوون حسب قصده » ع ٢٨ ، نقتطف الآتي :

+ لو أن الدعوة وحدها كانت كافية فلماذا لم يخلص الكل ؟ ليست الدعوة وحدها تحقق الخلاص ، وإنما نية المدعوين . فالدعوة ليست ملزمة لهم ولا هي قهرية ، إذ الكل مدعوون لكن لايطيع الكل الدعوة .
القديس يوحنا الذهبي الفم (٢٣٨)

+ يقول المخلص نفسه : إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذى « يو ٨ : ٣١ .

هل يحسب يهوذا من بين تلاميذه مادام لم يثبت في كلامه ! ؟
هل يحسب من تلاميذه الذين قيل عنهم : « فاعلم يسوع ان تلاميذه يتدمرون على هذا ، فقال لهم : أهذا يعثركم ؟ ! » يو ٦ : ٥٩ - ٦٦ .

ألم يلقبهم الانجيل « تلاميذ » ؟ ومع هذا لم يكونوا تلاميذ حقيقيين لأنهم لم يثبتوا في كلمته ، كقوله : « إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذى » يو ٨ : ٣١ . فإذا ليس لهم المثابرة بكونهم ليسوا تلاميذ حقيقيين ، فإنهم ليسوا أبناء حقيقيين حتى وإن ظهروا هكذا أو دعوا هكذا .

إذن نحن ندعو الناس مختارين وتلاميذ المسيح وأولاد الله ، لأنهم هكذا يدعون إذ يتجددون (بالمعمودية) ونراهم يعيشون بالتقوى ، ولكن هذا يصير حقيقة إن ثبتوا فيما دعوا فيه

القديس أغسطينوس (٢٣٩)

و - إهتمام الله بمجدنا

إن كان الروح الإلهي يحول حتى الأمور التي تبدو لضررنا لخيرنا ، لأننا مدعون حسب قصده ، فما هو هذا القصد الإلهي ؟

قصد الله من جهة الإنسان أن يرفعه إلى المجد ؛ فالله ليس في حاجة إلى تعبد أو خدمته إنما يحبه كإبن ، يوده شريكاً في المجد . هذا هو الأمر الذي في ذهن الله من جهة مختاريه الذين سبق فعرفهم لذلك عينهم « ليكونوا مشابهي صورة إبنه ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين » ع ٢٩ .

+ أنظر سمو هذه الكرامة ! فما هو للإبن الوحيد بالطبيعة ينالونه بالنعمة .
إنه لم يكتب بهذه الدعوة أن يكونوا مشابهي له ، بل يضيف نقطة أخرى : « ليكونوا بكرًا بين إخوة كثيرين » هكذا يستخدم كل وسيلة ليقم العلاقة بوضوح شديد .

القديس يوحنا الذهبي الفم (٢٤٠)

+ إستخدم الرسول الملهم هذا التعبير « بكرأ » فى أربع مناسبات : مرة يدعوهُ « بكر كل خليقة » كو ١ : ١٥ ، وأخرى : « بكرأ بين إخوة كثيرين » رو ٨ : ٢٩ ، وأيضاً « بكر من الأموات » كو ١ : ١٨ . وفى مناسبة أخرى إستخدم التعبير بطريقة مطلقة دون ربطه بكلمة أخرى ، قائلاً : « وأيضاً متى أُدخل البكر إلى العالم يقول وتسجد له كل ملائكة الله » عب ١ : ٦ فبأى معنى صار بكرأ بين إخوة كثيرين ؟ بالتأكيد هذا واضح أنه من أجلنا نحن الذين بالميلاد جسد ودم وُلد بيننا واشترك هو أيضاً فى اللحم والدم (عب ٢ : ١٤) ، لكى يغيرنا من الفساد إلى عدم الفساد بميلادنا نحن من فوق بالماء والروح . لقد قاد بنفسه طريق هذا الميلاد منزلاً الروح القدس على المياه بعماده ، حتى يصير فى كل شىء بكرأ للذين يولدون روحياً معطياً إسم « إخوة » للذين يشتركون معه فى الميلاد ويتشبهون به بعمادهم بالماء والروح .

القديس غريغوريوس أسقف نيصص (٢٤١)

+ لنفهم هذه الكلمات (مشابهن صورة إبنه) عن الإنسان الداخلى ، لذلك بقول فى موضع آخر : « ولاتشاكلوا هذا الدهر ، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد اذهانكم » رو ١٢ : ٢ . قدر ما نتغير عن شكل هذا الدهر نتشكل كأبناء لله .

يمكننا أيضاً أن نفهم هذه الكلمات هكذا ، انه كما تشكل بنا فظهر كمن هو مائت هكذا نتشكل نحن به بعدم الموت ، وهذه الحقيقة ترتبط بقيامة الجسد .
القديس أغسطينوس (٢٤٢)

+ فى الجسد يصير الرب قائدنا (بكرنا) إلى ملكوت السموات وإلى أبيه ، قائلاً : أنا هو الطريق ، والباب ، ومن خلالى ينبغى أن يدخل الكل (يو ١٤ : ٦ ، ١٠ : ٩)

البابا أناسيوس الرسولى (٢٤٣)

يعالج الرسول بولس موضوع اختيار الله لنا أو تعيينه لختاريه ، مؤكداً انه لا قهر

ولا إجبار في قبول نعمة الله ، إنما يعين الله الذين يعرف أنهم يقبلون نعمته في كمال حرّيتهم ، إذ يقول : « الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ... والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم ، والذين دعاهم فهؤلاء برّهم أيضاً والذين برّهم فهؤلاء مجدهم أيضاً » ع ٢٩ ، ٣٠ .

ويلاحظ في هذا النص ان الله . « سبق فعرف الذين له » ، فاختياره وتعيينه لهم لا على أساس محاباة وإنما على أساس معرفته السابقة لهم ، لا بمعنى أن لهم الفضل في شيء إلا قبولهم لدعوته وتجاوبهم لعمله فيهم بالمثابرة والجهاد . الله هو الذى يدعو وهو الذى يرر وهو الذى يمجّد ، لكن ليس في سلبية من جهتنا !

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على تبرير الله وتمجيده لنا بالقول : [لقد برّهم بتجديد جرن المعمودية ، والذين برّهم مجدهم بالعطية أى بالتبني (٢٤٤)] .

+ كثيرون دُعوا فعلاً وتبرّروا (بالمعمودية خلال الايمان) ، ومن يبقى إلى النهاية فهؤلاء « مجدهم أيضاً » ، وهذا لم يتم بعد .

بالرغم من أن هذين الأمرين أى أنه دعاهم وبرّهم لم يتحققا بعد في كل من قيل عنهم ألا أنه لا يزال يوجد كثيرون إلى نهاية العالم سيدعون وسيتبررون . وقد استخدم صبغة الماضي - حتى بالنسبة للأمور المستقبلية - كما لو كان الله قد سبق فأعدها منذ الأزل .

القديس أغسطينوس (٢٤٥)

ز - مرافقة الله لنا في الجهاد الروحي

إذ تحدث عن عطية الله لنا أنه عيّنا عن معرفته السابقة لنا بأننا نقبل عمله فينا ، ودعانا ، وبررنا بالمعمودية ، ومجّدنا بالبنة لنصير مشاهدين صورة ابنه ، يقف معنا كل أيام جهادنا ، لنقول مع الرسول : « فماذا نقول لهذا : إن كان الله معنا فمن علينا ؟ ! » ع ٣١ .

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم ، قائلاً : [إن كان الله نفسه قد صار (للمؤمن) ، فحتى الأمور التي تبدو ضده تتحول لحسابه المؤمن الذى يهتم

بنواميس الله لا يقف أمامه إنسان ولا شيطان ولا شيء ما ! فإن سلبتة ماله تصير بالأكثر صرافاً لمكافأته . وإن تحدثت ضده بشره يُحسب هذا الشر مصدر بهاء جديد في عيني الله . إن حرمة حتى من الطعام يتمجد بالأكثر وتعظم مكافأته . إن قدمته للموت ، الذى هو أقسى ما يقع على الكل ، فإنك تربطه بإكليل الأستشهاد . أى طريق حياة مثل هذا ؟ ! هذا الذى لا يقدر شيء ما أن يقف ضد هذه حتى أن الذين يدبرون مكائد له يكونون بالنسبة له ليس أقل من الذين يخدمونه ؟ ! لهذا يقول : « إن كان الله معنا فمن علينا ؟ ! » (٢٤٦)]

س - الفداء كأعظم عطية

بلا شك أن حب الله الفائق الذى خلاله بذل ابنه الوحيد عنا يسحب كل المشاعر ويمتص كل الأحاسيس ليقف الإنسان فى عجز ، ماذا يطلب بعد ؟ ! يقول الرسول : « الذى لم يشفق على ابنه بل بذل لأجلنا أجمعين ، كيف لايهنا أيضا معه كل شيء ؟ ! » ع ٣٢ .

قدم ابنه مبدولاً ونحن بعد أعداء لمصالحتنا ، فماذا يحجبه عنا بعد المصالحة ؟ ! أو كما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [الذى وهب الأمور العظيمة لأعدائه ، أفلا يهب الأمور الأقل لأصدقائه ؟ !] (٢٤٧) .

يقول الرسول : « الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين » ع ٣٢ ، وكأن الأب هو الذى قدم الكأس للإبن ، لكن الإبن أيضا يحبه أراد أن يشرب الكأس ، فالبذل مشترك : « الأب بذل ابنه الحبيب والإبن بذل ذاته ، وكما يقول القديس أغسطينوس : [واضع هذا الكأس واحد مع شاربه ، إذ يقول الرسول نفسه : « أحبنا المسيح أيضا وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة » أف ٥ : ٢ (٢٤٨)] . كما يقول القديس أمبروسىوس : [يظهر الإناء المختار بوضوح وحده الحب الإلهي ، فإن كلاً من الآب والابن قد بذلا ، الآب بذل إذ لم يشفق على ابنه لأجلنا أجمعين (رو ٨ : ٣٢) ، والإبن بذل إذ « أسلم ذاته لأجلي » غلا ٢ : ٢٠ (٢٤٩)] .

على أى الأحوال ان التطلع إلى الصليب يسحب قلب المؤمن بالحب إذ يرى فى الله « الحب النازل » ، فيخجل أن يطلب بعد شيئاً إلا أن يرتفع بالصليب إلى الحزن الأبوى بالروح القدس ليبقى فيه أبدياً ينعم بأبوته الالهية الفائقة .

حقاً أن التطلع إلى الصليب يسحب القلب ليبقى فى حالة شكر وتسبيح بلا إنقطاع ، الأمر الذى يزداد قوة وبهاء عندما نرتفع إلى السموات لنذكر بالأكثر فاعلية هذا الحب حين نوجد مع الله ابناء له وأحباء ! الصليب يبقى تسبحتنا السماوية غير المنقطعة .

ش - رعاية حتى النهاية

إن كان الفداء الإلهى هو قمة ما قدمه الله للإنسان معلناً كمال حبه لا بالكلام والعواطف وإنما بالبذل حتى الصليب ، فانه يبقى الصليب حدثاً فوق الزمن ، ويبقى المصلوب حتى بعد صعوده إلى السماء يرعى البشرية ، مشتاقاً أن يسحبهم إلى مجده الأبدى رعايته دائمة وهو فى السموات لاتنقطع حتى يدخل بنا إلى حيث هو قائم .

هذا العمل الإلهى يعطى الرسول الجرأة ليقول :

« من سيشتكى على مختارى الله ؟ ! الله هو الذى يرر .
من هو الذى يدين ؟ المسيح هو الذى مات ، بل بالحرى قام أيضاً ، الذى هو أيضاً عن يمين الله ، الذى أيضاً يشفع فينا » ع ٣٣ ، ٣٤ .

+ إنه لا يترك رعايته لنا ، بل لا يزال يشفع فينا محتفظاً بذات الحب لنا .

+ إن كان الروح نفسه يشفع فينا بآنات لا ينطق بها (ع ٢٦) ، والمسيح مات ويشفع فينا ، والآب لم يشفق على إبنه من أجلك وقد إختارك وبررك ، فلماذا تخاف بعد ؟ !

القديس يوحنا الذهبى الفم (٢٥٠)

+ إنه يشفع فينا كل يوم غاسلاً أقدامنا ، ونحن أيضاً نحتاج إلى غسل أقدامنا

يومياً بسلوكنا بالحق بخطوات روحية ، فنعرف الصلاة الربانية ، قائلين :
« وإغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا » مت ٦ : ١٢ .
القديس أغسطينوس (٢٥١)

ليصل كل واحد منا عن الآخر كما يشفع المسيح عنا .
القديس أغسطينوس (٢٥٢)

هذا وقد وجد القديس أمبروسيوس (٢٥٣) في هذه العبارات الرسولية باب الله
مفتوح لكل نفس ترجع إليه ، فإستخدمها في الرد على إتباع نوفاتيانوس الذين أغلقوا
الباب على الراجعين بالتوبة لله بعد إنكارهم للسيد المسيح أو سقوطهم في خطايا
بشعة ، مثقلين النير عليهم باليأس .

٣ - ناموس الروح ومحبة المسيح

إذ إنتقل الرسول بولس من الناموس الموسوى فاضح الخطية دون معالج لها (ص ٧) إلى
ناموس روح الحياة في المسيح يسوع كاشفاً عن عمل الروح القدس فينا خلال عمل
المسيح الفدائي إذ يرفعنا من إهتمام الجسد إلى إهتمام الروح وعوض العبودية يهبنا روح البنوة لله
مقدساً نفوسنا وأجسادنا ، واهباً إيانا القيامة الداخلية ورجاء قيامة الأجساد أيضاً ،
يسندنا في كل جهادنا حتى في الضعفات ، محولاً كل الأمور لخيرنا ليحقق غايته فينا
ألا وهو « مجدنا السماوى » أمام هذا العمل الالهى العجيب الذى جاء ثمة
مجيء المسيح وبذل حياته عنا لم يعرف الرسول إلا أن يرد الحب بالحب إذ ينشد لحن
محبه للسيد المسيح ، قائلاً :

« من سيفصلنا عن محبة المسيح ؟ !
أشدة أم ضيق أم إضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف ؟ ! كما هو
مكتوب : إننا من أجلك نقات كل النهار ، قد حُسبنا مثل غنم للذبح .

ولكننا في هذه جميعها نعظم إنتصارنا بالذى أحبنا .
فإني متيقن أنه لاموت ولا حياة ، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ، ولا
أمور حاضرة ولا مستقبله ، ولا علو ولا عمق ، ولا خليقة أخرى ، تقدر أن
تفصلنا عن محبة الله التى في المسيح يسوع ربنا » ع ٣٥ - ٣٩ .

سحبت هذه التسبيحة قلب الكنيسة ليشتهى أبناءها الألم كل يوم من أجل المحبوب ، ليقدّموا حياتهم ذبيحة حب لذلك الذبيح الذى سبق فبادر بالحب مقدماً حياته مبدولة عنا .

لم تعد الآلام والضيقات تحطم النفس بل علة الدخول إلى موكب الغلبة والنصرة تحت قيادة المسيح يسوع المتألم والمصلوب .

+ « من أجلك نمت كل النهار » من الواضح اننا سنرحل ومعنا أكاليل كثيرة إذ نعيش أياماً كثيرة ، أو بالحرى ننال أكاليل أكثر من الأيام بكثير ، إذ يمكن أن نموت فى يوم واحد لامرة ولا مرتين بل مرات كثيرة . لأنه من كان مستعداً لهذا يبقى ينال مكافأة كاملة على الدوام .

+ لقد أظهر (الرسول) أيضاً أن أجسادنا قد صارت ذبيحة ، فيليق بنا ألا نرتبك ولا نضطرب عندما يأمر الله بتقديمها .

+ لأنه بالحقيقة لأمر عجيب ، ليس فقط أننا غالبون وإنما غالبون بذات الأمور التى وضعت كمكائد لنا . نحن لسنا غالبين فحسب وإنما « أكثر من غالبين » ، إذ نمارس الغلبة بسهولة بلا تعب ولا مشقة لأن الله يصارع بجوارنا . فلا تشك ، فاننا وإن ضُربنا نحسب أفضل من الضارين ، وأن طُردنا تغلب الذين يضطهدوننا ، وإن متنا يبقى الأحياء (الذين يقتلوننا) فى صراع إنهم لا يحاربون البشر بل يقاومون القدير الذى لا يُغلب !

القديس يوحنا الذهبى الفم (٢٥٤)

+ العبارة « ذبحت ذبيحتها » أم ٩ : ٢ تعبر عن الشهداء فى كل مدينة حيث يذبحون يومياً من أجل الحق بواسطة غير المؤمنين ، صارخين بصوت عالٍ : « إننا من أجلك نمت كل النهار ، قد حُسبنا مثل غنم للذبح » .

القديس هيبوليتس (٢٥٥)

+ ليس شئ من هذه الأمور يقدر أن يفصل المؤمنين أو ينزع الملتصقين بجسده ودمه

الإضطهاد هو إختبار للقلب وفحص له . الله يسمح به لنا لكي نمحص ونتزكى ، إذ يود أن يزكى شعبه على الدوام ، لكن معونته لا تقصر عن مساعدة المؤمنين في كل وقت وسط التجارب .

الشهيد كبريانوس (٢٥٧)

+ هنا تعبير « كل النهار » يعنى كل الزمان الذى فيه نحتمل إضطهادات ونذبح فيه كغنم . هذا النهار لايعنى نهراً يحتوى على إثنى عشر ساعة إنما كل الزمان الذى فيه يتألم المؤمنون فى المسيح ويموتون لأجله .

القديس إيريناؤس (٢٥٧)

ربما نتساءل : هل يمكن للملائكة أو القوات أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ؟

+ لم يقل هذا كما لو كانت الملائكة تحاول هذا أو القوات الأخرى ، حاشا ! إنما أراد أن يظهر عظم الحب نحو المسيح . فإنه لايجب المسيح من أجل الأشياء الخاصة بالمسيح (ولو كانت السمايين) ، وإنما من أجل المسيح يحب الأشياء التى له . فله وحده يتطلع ، وأمراً واحداً يخافه هو السقوط عن محبته للمسيح . فإن هذا الأمر فى ذاته أكثر رعباً من جهنم ، أما التمتع بالحب فيشتاق إليه أكثر من الملكوت .

القديس يوحنا الذهبى الفم (٢٥٨)

هذا وقد لاحظ القديس أمبروسيوس (٢٥٩) فى هذا الحديث الرسول ان الرسول لايميز بين محبتنا للآب ومحبتنا للمسيح (ع ٣٥ ، ٣٩) ، علامة وحدة اللاهوت ، مقدمين كل شىء فداء حبنا لله .

الأصحاحات ٩ - ١١

إختيار الله شعبه

قلنا أن اليهود بوجه عام كانوا يشعرون بامتياز خاص بهم دون سائر الأمم من ثلاث جوانب رئيسية : انهم أبناء إبراهيم صاحب الوعود الإلهية ، وأصحاب الناموس الموسوى ، وشعب الله المختار .

بالنسبة لبنوتهم لإبراهيم رفعهم الرسول بولس من البنوة الجسدية إلى البنوة له روحياً إن حملوا إيمانه فيهم ، وانتقل من بنوتهم لله نفسه الأمر الذى يشترك فيه الأمم المنتصرون معهم (ص ٤ - ٦) . أما بالنسبة للناموس (ص ٧ - ٨) فأوضح أن الحاجة لا إلى الناموس في ذاته بل إلى غايته : المسيح يسوع ، إذ يعجز الناموس عن التبرير من الخطية إنما يقف عند كشفها أما الإيمان فهو سرّ تبرير الكل . والآن في الأصحاحين ٩ ، ١٠ يتحدث عن إمتيازهم كشعب مختار ، وهو أمر غاية في الدقة ويصعب النقاش مع اليهود فيه ، إذ لايقبلون التفاهم أو التحرك عنه قيد انمله ، لذا كان الرسول يتحدث معهم وكأنه يسير على أشواك ، يود أن يكسبهم لكن ليس على حساب الحق أو على حساب إنفتاح الباب لسائر الأمم ، فجاء حديثه مزيجاً بين حبه الشديد لبنى جنسه وإنفتاح قلبه للأمم ، كما كرس الأصحاح الحادى عشر للحديث مع الأممى المنتصر إلا يستكبر على أخيه اليهودى المنتصر ، بسبب إنفتاح باب الإيمان له ، لأن خطة الله الخلاصية من نحو شعبه لا بد أن تتحقق فى أواخر الدهور حين يقبل اليهود الإيمان بالمسيح بعد جحودهم له كل هذا الزمان إنه يطالب الأممى المنتصر أن يسلك بروح الإلتضاع لثلا وهو غصن من شجرة بريّة مغروسة فى شجرة الزيتون الأصلية يقطع بسبب كبرياء قلبه .

يلاحظ أن الرسول وهو يستعرض هذا الموضوع أبرز ثلاث نقاط :

- أ - محبة الله المعلنة خلال مواعيده ، واختياره لشعبه ، لكن ليس كل الإسرائيليين حسب الجسد إنما لمن يقبل البتوة له بالإيمان .
- ب - قسوة الانسان الذى يقابل حب الله بالعصيان والجحود ، وقد كان الثمر هو رفض إسرائيل الجأحد .

ج - ثم البركة الشاملة ، فإن الرفض يبقى جزئياً إذ يشترك الله أن يضم الكل له خلال الإيمان العام لكل الأمم والشعوب بما فيهم اليهود حين يقبلون ذاك الذى جحدوه .



المشكلة الرئيسية في حياة اليهود هي شعورهم بأنهم شعب الله المختار ، لذلك ترك معالجتها بعد تفنيد الحجتين السابقتين الخاصتين بانتسابهم لإبراهيم وإستلامهم للناموس .

عالج الرسول هذه الحجة بحكمة عجيبة ، إذ لم ينكر إختيارهم كشعب الله ، إنما أكد أنه لايقوم على إمتياز فيهم أو عن إستحقاق خاص بهم ، إنما عن محبة الله الذي « يرحم من يشاء » خلال هذا الفهم أعلن الله أيضاً حبه للأمم فإختيارهم هم أيضاً .

- | | |
|---------------------------|-----------|
| ١ - تقدير الرسول لليهود . | ١ - ٥ |
| إختيار الله للآباء . | ٦ - ١٣ . |
| ٣ - إختيار الأمم أيضاً . | ١٤ - ٢٩ . |
| ٤ - تعثر إسرائيل . | ٣٠ - ٣٣ . |

+ + +

١ - تقدير الرسول لليهود

إذ ختم الرسول حديثه السابق مؤكداً أنه لا يمكن حتى للملائكة أو خليقة ما أن تفصله عن محبة المسيح ، ولئلا يظن اليهود المنتصرون أنه تحدث بهذا ليعلن أنه مستعد أن يتخلى عن شعبه بنى جنسه من أجل إيمانه بالسيد المسيح ، أراد أن يوضح بقوة أن إيمانه بالسيد المسيح يلهب بالأكثر قلبه بالحب نحو بنى جنسه ويتسع قلبه لإحتوائهم في الإيمان حتى ولو كان قبولهم يلتزم حرمانه هو ! لهذا يفتح الرسول حديثه هنا بقوله : « أقول الصدق في المسيح ، لا أكذب وضميري شاهد لي بالروح القدس إن لي حزناً عظيماً ووجعاً في قلبي لا ينقطع ، فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد » ع ١ - ٣ .

حبه لخلاص شعبه يؤكد بالأكثر محبته للسيد المسيح ، وشوقه لخلاصهم يثبت بالأكثر علاقته به ، أما حديثه هنا فمن قبيل تأكيد مدى محبته لهم في الرب وإهتمامه بهم ، ومدى بذله لنفسه لحسابهم .

كان الرسول بولس أشبه بإبراهيم أب الأباء الذي رفع إبنه الذي أخذ فيه المواعيد على مذبح المحبة ، حاملاً السكين كصليب ليذبحه ، مؤمناً أن الله قادر أن يقيمه له حياً ويحقق مواعيده فيه هكذا يرفع الرسول بولس نفسه كما إسحق على مذبح الحب من أجل أنسبائه حسب الجسد ممسكاً بالصليب ، مؤمناً أن محبته لبنى جنسه لن تحرمه من المسيح ولا تحسره خلاصه بل بالعكس تزيد نفسه بهاءً ومجداً في عيني الله ، لأنه إنما يمارس حب المسيح ويقبل عمل روحه فيه . فإن أعلن الرسول إنه مستعد أن يخدم شعبه حتى النهاية ولو كان على حساب نفسه ، فإن هذه المشاعر الصادقة لا تكون إلا لحساب نفسه أكثر فأكثر .

لعل الرسول بولس وهو يكتب هذه الكلمات يمثل بموسى حين أعلن محبته لشعب الله ، إذ يصرخ : « والآن إن غفرت خطيتهم وإلا فأعني من كتابك الذي كتبت » خر ٣٢ : ٣٢ . وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إن هذه الصلاة كانت أثمن ما قدمه موسى النبي إذ يظهر خلالها أكثر بهاءً منه وهو يتمم المعجزات ، لأن الحب أعظم من عمل الآيات . هكذا لا يلوم أحد الرسول بولس في كلماته هذه

إذ يراه يحقق الوصية الإنجيلية : « بهذا قد عرفنا المحبة إن ذاك وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة » ١ يو ٣ : ١٦ .

لقد أتهم الرسول بولس بخيانتة لشعبه وعوائدهم وناموسهم (أع ٢١: ٢٢؛ ٢٢: ٢٢؛ ٢٢: ٢٤)، لهذا يؤكد الرسول محبته العميقة لهم مهما بدت الخسارة معلناً ومؤكداً انه صادق في كلماته ، إذ هو ملتزم أن ينطق « بالحق » لا « الكذب » بسبب إتحاده بالمسيح، مشهداً الروح القدس الساكن فيه على ضميره الذى لا يدركه إنسان !

يقول الأب إسحق تلميذ القديس أنبا انطونيوس : [أخيراً إذ إمتلأ الإناء المختار بهذه المشاعر رغب لو أمكن أن يكون محروماً من المسيح من أجل نمو الشعب المنتمى إليه وخلص كل أمه إسرائيل لمجد أبيه (برفضهم الفكر التعصبى وقبول الإيمان المسيحى بدل الجحود) ويقول أيضاً : « لأننا نفرح حينما نكون ضعفاء وأنتم تكونون أقوياء » ٢ كو ١٣ : ٩ (٢٦٠)

الآن إذ يعلن محبته الشديدة لخلصهم قبل أن يعالج موضوع إختيارهم كشعب الله أراد أن يبرز جانبين :

أولاً : انه لا يتحدث كغريب عنهم أو عدو يقاومهم إنما يدعوهم هكذا « أنسبائى حسب الجسد » ع ٣ ، أى إخوتى خلال رابطة الدم إذ صار له إخوة أيضاً جدد خلال رابطة الإيمان الجديد والروح ، فهو يحدث اخوته المحبوبين إليه .

ثانياً : انه لا يتجاهل إمتيازاتهم ، إذ يقول : « الذين هم إسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والإشتراع والعبادة والمواعيد ، ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد ، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين » ع ٤ ، ٥ وكأنه يقول أنا أعلم انكم إخوتى شعب الله الذى ميّزكم الله بميزات دون سواكم ، وقد قدم لنا هذه الميزات كلها تكمل فى شعب الله الجديد ، إذ يقول :

١ - هما إسرائيليون : فقد نال يعقوب هذا اللقب « إسرائيلي بأمر إلهى لأنه جاهد مع الله والناس وغلب (تك ٣٢ : ٨) . فإن كان كلمة « إسرائيلي » تعنى « يملك

كأن الله» (٢٦١)، فإن إسرائيل وإن كان قد ملك ولكن إلى حين ، أما إسرائيل الجديد فيقدم ملوكاً حقيقين لا يملكون على الزمنيات إنما ينعمون بشركة المجد الإلهي مع ملك الملوك ورب الأرباب ، يترنمون قائلين : « جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه » رؤ ١ : ٦ .

ب - ولهم التبني : بمعنى أن الله إشتاق أن يتبناهم له ليكونوا كأهل بيته وخاصته ؛ فعندما دعى الله موسى للعمل وسط شعبه قال له : « فتقول لفرعون : هكذا يقول الرب ، إسرائيل إبنى البكر ، فقلت لك أطلق إبنى ليعبدني فأبيت أن تطلقه ، ها أنا أقتل إبنك البكر » خر ٤ : ٢٢ ، ٢٣ . وعندما قدم الله لشعبه وصايا تميزهم عن الوثنيين كان قول الرب : « أنتم أولاد الرب إلهكم » تث ١٤ : ١ ، وحين أعلن الله خلاصه لهم عند رجوعهم اليه ، قال : « لأنني صرت لإسرائيل أباً وإفرايم هو بكرى » أر ٣١ : ٩ لكن إسرائيل لم يستطع أن يمارس البنوة لله بل مارس العصيان (إش ١ : ٢) غير مقدم له كرامة الأبوة (مل ١ : ٦) لذا إحتاج إلى تغيير شامل لقلبه وطبيعته بسكنى روح التبني فيه ، فيمارس بنوته لله ، ويحق له التمتع بالميراث مع المسيح الإبن وحيد الجنس (رو ٨ : ١٤-١٧) .

ج - لهم المجد (ع ٤) ، وكان علامته ظهور عمود السحاب والنار في البرية وأيضاً في الخيمة والهيكل ، إذ قيل : « ثم غطت السحابة خيمة الإجتماع وملاً بهاء الرب المسكن » خر ٤٠ : ٣٤ . وكان وجود تابوت العهد علامة وجود المجد الإلهي ، لذلك عندما سمعت امرأة فينحاس باستيلاء الفلسطينيين عليه : قالت « زال المجد من إسرائيل لأن التابوت قد أخذ » ١ صم ٤ : ٢١ . أما إسرائيل الجديد فصار « المسيح » نفسه هو مجده ، يسكن وسط شعبه ويحل في قلوبهم ، ويملاهم بروحه القدس .

د - لهم العهود (ع ٤) ، إذ أراد الله أن يرفع مؤمنيه دخل معهم في عهود مستمرة ليقم منهم شعباً له ، لكن هذا الشعب لم يلتزم بالعهود بل تجاوزها (هو ٨ : ١) ونقضها (حز ١٧ : ١٨) وحسب حاثاً للعهد وخائناً له لذا صار المؤمنون في حاجة إلى الألتقاء مع الله على مستوى عهد جديد لا لينقش

على حجارة كما في العهد القديم وإنما داخل القلب بالروح القدس ، يعلن حب الله البازل خلال دم ابن الله المبذول على الصليب (عب ١٢ : ٢٤) .

هـ - لهم الإشتراع (ع ٤) ، إذ إمتازوا بنوال الشريعة لكنهم لم يحفظوها في حياتهم العملية بل حسبوا كاسرين لها .

و - لهم العبادة (ع ٤) وقد جاءت الشريعة تقدم الكثير من الطقوس الخاصة بالعبادة ، كانت في الحقيقة ظلًا للعبادة الروحية .

ز - لهم المواعيد (ع ٤) خاصة المواعيد التي تنبأ عن مجيء المسيح ، هذه التي إهتم الأنبياء بإعلانها .

ح - ولهم الآباء ، إذ جاءوا من نسل الآباء البطارقة إبراهيم وإسحق ويعقوب .

ط - ومنهم المسيح حسب الجسد (ع ٥) يكفيهم فخراً أن السيد المسيح ، كلمة الله ، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد قد جاء متجسداً منهم .

يلق القديس يوحنا الذهبي على هذا الحديث الرسولي بقوله : [مايقوله الرسول لايتحدث به على المكشوف ، فإنه إذ كان الكل يتكلم متهماً الله أنه بعد أن حبسهم أهلاً لإسم « الأبناء » ، وإستلام الشريعة ، ولمعرفتهم له أكثر من كل البشر ، والتمتع بمجد عظيم كهذا ، وخدمتهم له أكثر من كل العالم ، وتقبل المواعيد ، ومنهم الآباء كأصدقاء له ، وما هو أعظم من الكل ان من نسلهم جاء السيد المسيح ، الآن قد صاروا مطرودين ومردولين وحل محلهم أناس لم يعرفوه من قبل قط ، هم من الأمم . إذ نطقوا بهذا كله وجدفوا على الله ، سمع بولس ذلك فانعصر قلبه وغار على مجد الله واشتهى لو أمكن أن يحرم هو ليخلصوا هم ، وينقطع هذا التجديف ، فلا يظهر الله كمخادع لنسل أولئك الذين سبق فوعدهم بالنعم . ولكي تنظروا انه للأسف وعد الله الذي قدمه لإبراهيم « أعطيك الأرض ولنسلك » لا ليسقط قال : « ولكن ليس هكذا أن كلمة الله قد سقطت » ع ٢٦٢]

هكذا جاء الحديث في بقية الأصحاح أشبه بدفاع للرسول عن عدم سقوط

كلمة الله أو مواعيده للآباء ، إنما تتحقق ليس حسب المفهوم الحرفي الضيق الذى يلتزم به اليهود إنما بالمفهوم الروحي العميق .

هذا وإذ أعلن لهم إمتيازهم لم يداهنهم على حساب الحق ، مؤكداً أن الذى تجسد منهم هو « الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد » ع ٥ . وكما يقول القديس هيبوليتس : [هذه الكلمة تعلن سر الحق بإستقامة ووضوح ، فإنه ذاك الكائن على الكل هو الله ، القائل بدالة : « كل شيء قد دُفع إلى من أبى » مت ١١ : ٢٧ . الكائن على الكل هو الله المبارك وقد وُلد إذ صار إنساناً ، لكنه هو الله إلى الأبد . فى هذا يقول يوحنا أيضاً : « الكائن والذى كان والذى يأتى ، القادر على كل شيء » رؤ ١ : ٨ . حسناً دُعى المسيح بالقادر ، إذ بهذا ينطق بما شهد به المسيح عن نفسه^(٢٦٣)] .

٢ - اختيار الله للآباء

حسب اليهود أنفسهم أنهم نالوا خلال آباءهم وعداً إلهياً أبدياً أنهم شعب الله ، هذا الوعد أو هذه الكلمة الإلهية لن تسقط عبر الأزمنة . والرسول بولس كمؤمن بكلمة الله يدرك انها لن تسقط أيضاً ، إنما الخطأ ينصب فى فهمهم لكلمة الله ، فإن الله إذ وعد « إسرائيل » إنما يقدم وعده « لإسرائيل الروحي الحقيقى » لا لجنس معين بذاته مهما كانت تصرفاته ، وإذ يعد إبراهيم بالنسل خلال إسحق فإنه يطلب النسل الروحي الذى له إيمان إبراهيم واسحق لا أولاد الجسد ثم ان الله الذى إختار إسرائيل شعباً له من حقه أن ييسط ذراعيه لسائر الأمم ليقبل الكل شعبه خاصة إن سقط إسرائيل الجسدى فى الجحود وعدم الإيمان .

يقول الرسول : « ولكن ليس هكذا حتى أن كلمة الله قد سقطت ، لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون » ع ٦ .

يؤكد الرسول بولس إيمانه بكلمة الله انها لن تسقط ومواعيده لإبراهيم أب الآباء باقية ، لكن مايرفضه الرسول هو تفسيرهم للإنتساب لإسرائيل ، فإنه ليس كل انسان من شعب إسرائيل اسرائيلياً بحق ، أى ليس الكل أعضاء فى شعب الله ، وكما

سبق فقال : « لأن اليهودى فى الظاهر لىس هو يهودياً ولا الختان فى الظاهر فى اللحم ختناً » رو ٢ : ٢٨ .

يعطى الرسول تفسيراً كتابياً لنسل إبراهيم الذى فيه تتحقق المواعيد الإلهية ، إذ يقول : « ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد ، بل بأسحق يُدعى لك نسل ، أى لىس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يُحسبون نسلًا ، لأن كلمة الموعد هى هذه : أنا آتى نحو هذا الوقت ويكون لسارة ابن ، ولىس ذلك فقط بل رفقه أيضاً وهى حبل من واحد وهو إسحق أبونا ، لأنه وهما لم يولدوا بعد ولا فعلاً خيراً أو شراً لكى يثبت قصد الله حسب الاختيار لىس من الأعمال . بل من الذى يدعو ، قيل لها ان الكبير يستبعد للصغير ، وكما هو مكتوب : أحببت يعقوب وأبغضت عيسو » ع ٧ - ١٣ .

يلاحظ فى هذا النص الرسولى :

أولاً : حكمة الرسول بولس وتمييزه فى الحديث معهم ، فكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم إن الرسول قدم « إسحق » مثلاً للبنوة لإبراهيم ، فانه وإن كان ابناً لإبراهيم حقيقياً لكنه لم يولد حسب قوة الجسد أو حسب ناموس الطبيعة ، إذ كان الأب شيخاً والأم عاقراً وإنما مولوداً حسب قوة الوعد الإلهى . إذا فنسل إبراهيم هم الذين ينعمون بالولادة لاحتساب الجسد وإنما حسب الإيمان والتمسك بوعد الله روحياً .

لم يهاجم الرسول اليهود بكونهم نسلًا لإبراهيم ، إنما هاجم فهمهم لشعب الله بطريقة حرفية جامدة تقف عند الأنتساب الجسدى لإبراهيم لنكن كإسحق فنصير أصحاب الوعد الإلهى حاملين البنوة لا لإبراهيم فحسب بل كما يقول الرسول : « هم أولاد الله » ، « وأولاد الموعد » .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [هذا الوعد إذن وكلمة الله هما اللذان شكلا إسحق وولداه . فماذا إن كان الرحم هو الإداة وأحشاء المرأة هى الوسيلة ؟ لكن لىس قوة الأحشاء هى التى ولدت الطفل بل قوة الوعد . هكذا نحن أيضاً نولد بواسطة كلمة الله . ففى جرن المعمودية كلمة الله تلدنا وتشكلنا . لقد ولدنا من

جديد بالعماد بإسم الآب والابن والروح القدس . هذا الميلاد ليس بقوة الطبيعة بل بقوة وعد الله (يو ٣ : ٣ ؛ أف ٥ : ٢٦ ؛ يع ١ : ١٨ ؛ ١ بط ٣ : ٢١) .

فأنه كما سبق فأنبأ عن ميلاد إسحق ثم حقق الوعد هكذا بالنسبة لنا أيضاً قد سبق فأعلن عن ميلادنا منذ أجيال طويلة بواسطة الأنبياء ثم حقق الوعد . أنتم تعرفون كيف قدم الوعد انه سيتحقق كأمر عظيم ، وقد تمه بسهولة شديدة (هو ١ : ٢ الخ) .

لكن إن قال اليهود إن الكلمات : « بإسحق يدعى لك نسل » تفهم بأن كل من يولد من إسحق بالضرورة يحسب نسله ، بهذا يكون بنو آدم أبناؤه ، لأن أباهم عيسو (أدوم) هو أيضاً ابنه هكذا ترون أنه ليس كل أولاد الجسد هم أولاد الله ، هكذا سبق فأخبر بطريقة ما عن تجديد الميلاد الذى من فوق بواسطة المعمودية . (إذ يرى القديس بأن الوعد بنسل إسحق يشير إلى الوعد للمولودين في المعمودية ميلاداً ليس حسب الطبيعة أو الجسد)

إن قلتم أن الولادة تتحقق بالرحم (من سارة) أقول أنها تتم هنا بالمعمودية ، إذ تتم بالروح كما تحققت هناك بالوعد . فالرحم أكثر جموداً من الماء بسبب عقر (سارة) وشيخوختها .

إذن لنتيقن معرفة دقيقة عن سمونا ، ولتكن حياتنا لاثقة بهذا السمو ، فإنه ليس شيء جسدى أو أرضى ، ولتتنا لانسمح أن يكون شيء من هذا فينا .

الله لم يصنعنا (كأبناء له) خلال النوم ولا بمثيئة جسد (يو ١ : ١٣) ولا خلال جنون الشهوة بل خلال الحب الإلهى نحو الإنسان (تي ٣ : ٥) .

وكما أنه فى تلك الحالة تحقق الميلاد بعد أن نزرع الزمن الرجاء، هكذا فى حالتنا نحن بعد أن غلبتنا شيخوخة الخطية ولد إسحق فجأة صغيراً وصرنا نحن أولاد الله ونسل إبراهيم (إش ٦٠ : ٣١) (٢٦٣) .

إذن وعد الله قائم وكلمته لم تسقط بل قائمة وفعالة ، وإسحق لازال يولد حتى اليوم كما من سارة التى لاتحمل قوة الولادة بالطبيعة إنما بالوعد الإلهى ، إذ لايزال شعب

الله يقوم خلال رحم الكنيسة الذى هو المعمودية حيث يولد إسحق على الدوام لا خلال الجسد ولا بهوى إنسان وإنما يولد بالروح القدس بقوة الكلمة .

يرى القديس أغسطينوس إن هذا الوعد لنسل إبراهيم من إسحق المولود من سارة قد تحقق عندما علق السيد المسيح ، وأعلن ملكه على هذا النسل ، إذ جاء فى علقته التى سجلت على الصليب « ملك اليهود » ، فقد ملك الرب بالصليب على اليهود من « نسل إسحق » لكنه لم يملك على النسل حسب الجسد بل هو حسب الروح ، إذ يقول : [المسيح ملك اليهود (حسب عنوان علقته) ، لكن اليهود محتونى القلب بالروح لا بالحرف ، الذين مدحهم من الله لا من الناس ، الذين ينتمون لأورشليم الحرة ، أمنا الأبدية فى السماء ، سارة الروحية التى تطرد الجارية وأولادها من بيت الحرية . فما كتبه بيلاطس قد كتب ، لأنه ما قاله الرب قال (٢٦٤)] .

يقول القديس أغسطينوس : [لكى يكونوا أبناء الوعد نسل إبراهيم يلزم أن يدعو فى إسحق ، وذلك بتجميعهم معاً فى المسيح خلال دعوة النعمة (٢٦٥)] .

هذا ويرى القديس أغسطينوس (٢٦٦) إن أبناء الجسد الذين يولدون من قطورة هم رمز الهرطقة الذين جاءوا كما من زوجة ثانية من السراى .

ثانياً : لم يقف الرسول بولس عند تقديم مثل واحد لتحقيق وعد الله بطريقة روحية لاحرفية جامدة ، وإنما قدم مثلاً آخر خلال إختيار الله ليعقوب دون عيسو ، وهما فى أحشاء رفقة .

ففى مثل إسحق ربما يقال أن الوعد يتحقق فى إسحق ونسله دون إخوته ، لأن إسماعيل ابن الجارية ، ولأن إسحق هو ابن الحرة أكبر سناً من أخوته الذين من قطورة ، فهو الوارث للمواعيد الإلهية دون سواه ، لذلك قدم الرسول « يعقوب وعيسو » وهما من أب واحد وأم واحدة ، بل وكنا توأمين فى بطن واحدة ، ومع ذلك لم يكن لهما نصيب واحد . فمن جهة الجسد لا يختلف يعقوب عن عيسو فى شئ ، بل يمتاز عيسو بأنه البكر جسدياً ومع ذلك « الكبير يُستعبد للصغير »

بمعنى آخر إن كان اليهود يمثلون « الكبير » إذ سبقوا الأمم في معرفة الله ، لكنهم إذ يجحدونه بينما يقبل الأمم الإيمان ، يتحرر من العبودية ويسقط اليهود فيها .

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على إختيار يعقوب دون عيسو ، هكذا :
[أنظر كيف حدث هذا ليس فقط في حالة إبراهيم وحده بل وفي حالة ابنه أيضا أن الإيمان والفضيلة في كل الأحوال هما المهمان ويعطيان العلاقة الحقيقية (للبنوة) . هنا نتعلم انه ليس خلال الميلاد وحده بل خلال تأهل الأشخاص لفضيلة أبيهم يحسون أبناء له . فلو أن البنوة تقوم على الميلاد الجسدى (وحده) لاستحق عيسو أن ينعم بما ناله يعقوب ... أنه يظهر بأن شرف الميلاد الجسدى ليس بذى قية ، إنما يلزمنا أن نطلب فضيلة النفس التى يعرفها الله قبل أن تمارس الإختيار تم بناء على سبق معرفة الله ، إذ يعلم من هو صالح^(٢٦٧) ومن هو ليس بصالح] .

ثالثاً : ربما يتساءل البعض : لماذا قيل : « لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً لكى يثبت قصد الله حسب الإختيار ليس من الأعمال بل من الذى يدعو قيل لها إن الكبير يستعبد الصغير ؟ » أعل عند الله محابة ؟ لماذا يحب يعقوب ويبغض عيسو ؟

بمعنى آخر هل لأن الله إختار يعقوب قبل أن يعمل خيراً أو شراً خرج صالحاً بينما خرج عيسو شريراً ؟ ولماذا يحاسب عيسو إذن على شره ويكافأ يعقوب على صلاحه ؟

تأتى الإجابة على ذلك هكذا :

١ - أوضح الرسول نفسه في ذات الرسالة عدم محابة الله ، قائلاً بكل صراحة : « لأن ليس عند الله محابة » ع ١١ . وقد سبق فأوضح الرسول ان إختيار الله يقوم على سبق معرفته غير المحدودة ، إذ يقول : « لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ، فهؤلاء دعاهم أيضا » رو ٨ : ٣٠ فإن كان قد أحب يعقوب وعينه ودعاه إنما لأنه سبق فعرفه انه يقبل الدعوة ويتجاوب مع محبة الله حتى وأن كان فى قبوله للدعوة يتعرض للضعفات والسقطات ، فالله يحبه من أجل نيته الصادقة والجادة عملياً ، أما رفضه لعيسو فيقوم على رفض عيسو لله واصراره على المقاومة ضد الله .

ب - بقوله : « لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً ولا شراً » أراد أن يؤكد الرسول أن يعقوب لم يتبرر بسبب أعمال الناموس ولا أعماله الصالحة الذاتية ، فسّر محبة الله له إنما تقوم على نعمة الله المجانية ، لكن دون سلبية من جهة يعقوب . بمعنى آخر لو إنتظر الله حتى ينمو يعقوب ويكبر ويظهر كرجل صالح وعندئذ يدعوه لتعرض يعقوب للكبرياء وحسب أن الله دعاه عن إستحقاق ذاتي ، وانه هو الذى سبق فسلك بالصالح فتأهل بذاته للدعوة ، لكن الله أعلن حبه ليعقوب وهو بعد فى الأحشاء ليرز الله كمبادر بالحب نحو مؤمنيه حتى قبل ممارستهم لعمل صالح يحبهم إذ يعلم انهم يقبلون دعوته المجانية وعمله الإلهى فيهم .

ج - لعل الرسول بولس أراد أن يوضح لليهود أنهم ان كانوا يعجزون عن تقديم مبرر لإختيار الله لأيهم يعقوب « إسرائيل » ، فكيف يدركون خطة الله نحو العالم كله ؟ ! الله الذى سبق فأحب يعقوب وهو فى الأحشاء لا يدرك شيئاً له أيضاً أن يختار الأمم ويحبهم حتى ولو لم يدرك اليهود والأمم سرّ هذا الإختيار والحب للأمم ! بمعنى آخر يعجز الشعب اليهودى ويعقوب نفسه عن تقديم تفسير لقبوله ، وهكذا يعجز الكل عن إدراك سرّ إنفتاح باب الايمان للأمم أيضاً .

ء - حديث الرسول هنا لا يقلل من دور الإيمان فى الجهاد ، لكنه يؤكد أن خلاص الإنسان لا يتحقق بالعمل الصالح خارج دائرة الايمان ، وانه ما كان يمكن قبول يعقوب لو لم يبادر الله بالحب أولاً لهذا لانعجب إن سمعنا أن الله سيجازى كل إنسان حسب أعماله (مت ١٦ : ٢٧) .

ه - يقدم لنا القديس إيريناؤس (٢٦٨) تعليلاً للقول الإلهى : « أحببت يعقوب وأبغضت عيسو » ، وهو أن الله إستخدم حتى الأجناء فى بطن أمهاتهم كنبوة ، فأعلن هنا عن ظهور أمتين ، واحدة مستعبدة والأخرى حرة ، لكن للإثنين أب واحد هو ربنا الواحد ... فإن كان إسحق هو أب يعقوب كما أب عيسو هكذا الله هو أب اليهود كما الأمم .

و - يرى القديس أغسطينوس ان فى هذا نبوة لما يحدث فى كنيسة المسيح التى كانت كرفقة تحمل فى داخلها أبراراً وأشراراً ، إذ يقول : [صارعا فى رحم الأم ،

وحين صارعا قيل لرفقة : « في بطنك أمتان » ، رجلان ، شعبان ، شعب صالح وآخر شرير ، يتصارعان معاً في رحم واحد . كم من أشرار في الكنيسة ! فإن رحماً واحداً يحملهم حتى يُغزلوا في النهاية . الصالحون يصرخون ضد الأشرار ، والأشرار ضد الصالحين ، وكلاهما يصارع أحدهما الآخر في أحشاء أم واحدة (٢٦٩) [.

هذا وقد سبق لنا إقتطاف بعض التعليقات الآبائية في هذا الشأن عند دراستنا لسفر التكوين (٢٧٠) .

نختتم حديثنا عن إختيار يعقوب دون عيسو دون محابة بقول القديس أغسطينوس : [بالنسبة للخطية الأصلية كان الإثنان متشابهين ، أما بالنسبة للخطية الفعلية فكانا مختلفين الأكبر يُستعبد للأصغر ، يفهمها كتابنا إن اليهود يخدمون الشعب الأصغر أى المسيحيين (بتقديم النبوات والرموز لهم) (٢٧١)]

٣ - إختيار الأمم أيضا

إذ أعلن الرسول حبه الشديد لخلاص بنى جنسه وحزنه عليهم لأنهم رفضوا مواعيد الله الصادقة ، مؤكداً أن كلمة الله لن تسقط وإنما تتحقق الوعود في إسرائيل الروحي الجديد ، بدأ يحدثنا عن إختيار الله للأمم كشعب له ، وأنه ليس من حق الإنسان الاعتراض على تدابير الله وقضائه ، مؤكداً أن هذا الإختيار ليس بالأمر الجديد إذ سبق فأعلن الله عنه بالأنبياء .

« فماذا نقول ؟ أعل عند الله ظلماً ؟ ! حاشا ! » ع ١٤ .

كأن إعتراضاً قد أثير بقوله ان الله أحب يعقوب وأبغض عيسو وهما بعد في البطن لم يعملوا خيراً أو شراً ، ألا وهو : أعل عند الله ظلماً ؟ ! وتأتى الإجابة قاطعة لا تحتاج إلى تدليل : حاشا ! لأننا لانقدر أن ندرك كل أسرار حكم الله وتدابيره من كل الجوانب ، فحكمنا البشري مختلف تماماً عن حكم الله . هنا يود الرسول أن يؤكد مبدأ هاماً ان الله لا يحايى أحداً ولا يظلم أحداً حتى وإن بدى لنا حسب الفكر البشري ذلك في أمر ما بهذا يمهد الرسول الطريق كي لا يحكموا على خطة الله

الخلاصية من جهة قبول الأمم ، لالسبب إلا إدراكنا ان الله ليس بظالم وإن بدى تصرفه غير مدرك بالنسبة لنا .

« لأنه يقول لموسى : انى أرحم من أرحم ، وأترأف على من أترأف » ع ١٥ .

تحقق هذا الحديث الإلهى مع موسى حين إشتاق أن يتمتع بالمجد الإلهى (خر ٣٣ : ١٩ الترجمة السبعينية) ، وقد جاء هذا القول ليعلن لموسى أنه مع كل تقدير الله له ولجهاده ولكن مايناله من عطية سماوية ألا وهو التمتع برؤية المجد الإلهى فهى نعمة مجانية إلهية تُعطى له ، وليس ثمناً لجهاده ولا عن أعمال ذاتية لكنها أيضا لاتؤهب للمتراخين أو الحاملين ؛ هى نعمة مجانية للمجاهدين بروح الإيمان الحى .

ويرى القديس يوحنا الذهبى الفم ان حديث الله هذا مع موسى يعنى أن موسى مع مابلغه من تقدير فى عينى الله لكنه لايقدر أن يدرك أعماق حكمة الله وأحكامه ، وكأن الله يقول له : [ياموسى ، ليس لك أن تعرف من هو مستحق لحبى نحو الانسان ، إنما أترك هذا لى . فإن كان ليس من حق موسى أن يعرف فكم يكون الأمر بالنسبة لنا ؟ ! (٢٧٢)] .

هذا ويلاحظ ان الله لم يقل : « أرحم من أرحم وأهلك من أهلك » ، بل قال : « أرحم من أرحم وأترأف على من أترأف » ، مظهراً سلطانه الإلهى فى الحب والرحمة والرأفة بالإنسان ، إذ لا يود هلاك الخاطئء مثل أن يرجع ويتوب ، إنه بادر بحب يعقوب من جانبه أما بغضة عيسو فجاءت ثمراً طبيعياً لبحود عيسو نفسه واصراره وعناده على عدم قبول مراحم الله الله حب ، لكنه لايلزم الغير بقبوله .

« فإذا ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم » ع ١٦ .

هل يتنافى هذا مع الوصية الرسولية : « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » فى ٢ : ١٢ وما شابهها ؟

إن كانت رحمة الله ليست لمن يشاء ولا لمن يسعى ، فلماذا يقدر لنا الله وصاياه ، ويطلب منا أن نقبله بإرادتنا الحرة ومشيتنا الاختيارية ؟ ولماذا يحثنا فى العهدين القديم والجديد على الجهاد حتى النهاية ، قائلاً : « الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص »

متى ١٠ : ٢٢ ؛ ٢٤ : ١٣ ؛ مر ١٣ : ١٣ ؟ ! وفي سفر الرؤيا يؤكد الرب :
« كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة » رؤ ٢ : ١٠ ، بل ويقول لملاك
الكنيسة التي في ثياتيرا : « أنا عارف أعمالك ومحبتك وخدمتك وإيمانك
وصبرك » رؤ ٢ : ١٩ ؟ !

لايستطيع أحد ممن يقرأ الكتاب المقدس بفهم روحي أن يتجاهل دور الإنسان
الإيجابي في تمتعه بالخلاص المجاني ، وإن الله يريد إرادتنا الحرة أو مشيئتنا الاختيارية مع
سعينا الجاد ، لأنه يقدر الحرية الإنسانية كل التقدير ولا يتجاهل دورنا العملي
إنما ما نود تأكيده هنا أن الكتاب المقدس لا يفهم كأجزاء منفصلة مستقلة عن
بعضها البعض ، إنما يمثل وحدة واحدة متكاملة ، يعالج أموراً كثيرة
ومتباينة لذا يليق بالقارئ أن ينعم بروح الحكمة والتمييز حتى لا يستخدم
عبارة في غير موضعها ، إنما فيما يناسبها وبروح الكتاب ككل .

فالرسول بولس هنا لا يعالج مشكلة حرية الإرادة الإنسانية أو الاختيار والجبر ، وإلا
لأعلن بوضوح كما في نفس هذه الرسالة وفي رسائله الأخرى تقدير الله للإرادة
البشرية وعدم القسر والإجبار في قبول الرحمة الإلهية أو عمل النعمة المجاني إنما
يعالج هنا مشكلة لا تخص الأفراد كأفراد وإنما تخص قبول الأمم ، لذلك فهو لا يتحدث
عن إرادة الإنسان هل هي حرة أم لا ، إنما عن خطة الله نحو خلاص العالم
كله إن الله الذي سبق فاختار إسرائيل شعباً له كخميرة لتقديس العالم بمجيء
المخلص حسب الجسد منهم ، من حقه أن يرحم من يرحم ويتراءف على من يتراءف
بفتح باب الرجاء لكل الشعوب ، دون أن تقف الجبلية الضعيفة لتحاكمه .

يقول القديس جيروم : [من جانبنا نحن نقبل حرية الإرادة هذه بسرور ، لكننا
لن ننسى أن نشكر العاطي ، مدركين أننا نصير بلا قوة ما لم يحفظ الله عطاياه فينا
على الدوام المشيئة هي منا ، والسعي أيضاً من جانبنا ، لكن بدون معونة الله
المستمرة لا تكون لنا مشيئة ولا سعي . يقول المخلص في الإنجيل : « أئني يعمل حتى
الآن وأنا أعمل » يو ٥ : ١٧ . إنه دائم العطاء ، مانح باستمرار . لم يكتف بأن
يهب النعمة مرة واحدة إنما يقدمها على الدوام . إنني أصلب لكى أنال ، وإذا أنال
أعود فأطلب ثانية ، إذ أنا طامع في غنى الله وهو لا يمتنع عن العطاء ، وأنا لأكف

عن الأخذ . كلما شربت عطشت ، إذ أسمع تسبيحة المرتل : « ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب » مز ٣٤ : ٨ . كل صلاح نناله هو تذوق للرب (٢٧٣) [.

كما يقول أيضاً : [حيث توجد النعمة فإنها لا توهب عن أعمال بل هي عطية مجانية من العاطي ومع ذلك فلنا أن نشاء أو لانشاء ، إنما الحرية عينها التي لنا هي مقدمة لنا برحمة الله (٢٧٤)] .

هذا من جانب ومن جانب آخر فقد أراد الرسول أن يربكهم بذات فكرهم ، وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إنهم كانوا يقبلون رحمة الله لهم وسقوط فرعون تحت قسوته دون إعتراض من جانبهم ، فلماذا يعترضون عندما يفتح باب رحمته لغيرهم ؟ ! هذا مادفع الرسول أن يكمل هكذا : « لأنه يقول الكتاب لفرعون إني لهذا بعينه أقمتك لكي أظهر فيك قوتي ولكي ينادى بإسمى في كل الأرض ، فإذا هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء . فستقول لي : لماذا يلوم بعد ؟ لأن من يقاوم مشيئته ؟ ! بل من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله ؟ ! أعل الجبله تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا ؟ ! أم ليس للخراف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناءً للكرامة وآخر للهوان ؟ ! فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته إحتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهياة للهلاك ؟ ! ولكي يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فاعدها للمجد التي أيضاً دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً » ع ١٧ - ٢٤ .

ويلاحظ في هذا النص الآتي :

أولاً : غاية هذا الحديث ليس تجاهل حرية الإنسان ، الأمر الذي ليس موضع حديث الرسول هنا إنما تأكيد دور الله في خلاصنا ؛ إنه يعمل فينا لا عن إستحقاق من جانبنا وإنما عن حبه وفيض رحمته كنعمة مجانية .

+ بهذا يتكشف بجلاء أن نعمة الله ورحمته تعملان دوماً لأجل خيرنا ، فإذا تركتنا نعمة الله لا تنفع كل الجهود العاملة شيئاً ؛ مهما جاهد الإنسان بكل نشاط لا يقدر أن يصل إلى حالته الأولى بغير معونة الله .

الأب دانيال (٢٧٥)

+ في كل فضيلة إذ نشعر بتقدم فيها ننطق بكلمات الرسول : « لا أنا بل نعمة الله التي معي ، بنعمة الله أنا ما أنا » ١ كو ١٥ : ١٠ ، « الله هو العامل فينا (فيكم) أن تريدوا وأن تعملوا من أجل مسرته » في ٢ : ١٣ . إذ يقول مقدم خلاصنا نفسه : « الذي يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كبير ، لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » يو ١٥ : ٥ . كما قيل : « إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون ، وإن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يتعب الحراس » مز ١٢٦ : ١ ، ٢ .

القديس يوحنا كاسيان (٢٧٦)

+ لنتحقق ماذا يعنى هذا ؟ إن الأمر ليس بخصوص من يشاء أو من يسعى وإنما بخصوص الله الذى يرحم . فإن كنا لانشاء ولا نسعى فالله لا يأتى ليعيننا . فمن جانبنا يلزمنا أن نشاء وأن نسعى فيتراءف علينا ، لكن إن نام المصارع يفقد النصر .

القديس جيروم (٢٧٧)

يرى القديس يوحنا الذهبى الفم أن هذا الحديث الرسولى كان خطوة تمهيدية للسامع لكى يلين روحه المتعجرفة التى تنتقد خطة الله نحو خلاص الأمم ، فقبل أن يكشف سر خطة الله أراد أن يؤكد للسامع انه ليس من حقه أن يقف هكذا موقف الناقد أو الديان لله ، وكأن الرسول يقول : [عملنا هو أن نخضع لما يفعله الله لا أن نكون متطفلين محبين للإستطلاع حتى وإن كنا لانعرف حكمة تصرفاته . لذلك قال : « من أنت الذى تجاوب (ضد) الله ؟ ! » من أنت ؟ هل أنت شريكه فى سلطانه (أى ٣٨) ؟ بلى ! هل تجلس لتدين الله ؟ ! ... إنه يقل « من أنت الذى تجاوب الله ؟ ! بل « تجاوب ضد الله » . أنظر كيف يرعبهم ويخيفهم فيجعلهم فى رعدة عوض تساؤلهم وتطفلهم . هذا ما يفعله المعلم الممتاز الذى لايجرى وراء تخيلات تلاميذه الباطلة أيا كانت إنما يقودهم إلى فكرة بانتراع الأشواك عنهم وغرس البذار ، فلا يجيب فى كل الحالات على الأسئلة التى تقدم له (٢٧٨)] .

الإنسان غير المؤمن يقف من الله موقف الناقد لكل تصرف إلهى ، إما الإنسان التقى فيقول مع إرميا النبى : « أبر أنت يارب من أن أخاصمك ، لكن أكلّمك من

جهة أحكامك : لماذا تنجح طريق الأشرار ؟ ١ » إر ١٢ : ١ .

الله يفرح ويسر بأولاده مشتاقاً أن يدخلوا معه في حوار ، لكنه على أساس إيماني تقوى ، حديث الإبن الذي يتكىء على صدر أبيه لينهل منه أسرار أحكامه ويتمتع بحكمته العلوية حتى وإن عاتبه أو خالفه أو حاججه . أما إن أخذ موقف الناقد العنيد ، كما فعل بعض الفعلة مع صاحب الكرمة حين أظهر الأخير كرمه ومحبته (مت ٢٠ : ١ - ١٦) ، إذ قال للمتذمرين : « يا صاحب ماضلمتك فخذ الذى لك واذهب ، فإنر أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك ، أو مايجل لى أن أفعل ماأريد بمالى ؟ ! » ... هذا التوبيخ يوجهه الرب نفسه لليهود الذين يرفضون رحمة الله على الأمم متذمرين على إحساناته بإخوتهم فى البشرية .

ثانياً : يليق بالإنسان عوض أن يقف كناقد لتصرفات الله الفائقة يطلب أن يملأه حكمة ومعرفة ليكتشف أموراً عجيبة ؛ ففي العهد القديم الذى يؤمن به اليهود ويفتخرون به جاء قول الله لفرعون : « إني لهذا أقمتك لكى أظهر فيك قوتي ، ولكى ينادى باسمى فى كل الأرض » ع ١٧ (خر ٩ : ١٦ الترجمة السبعينية) ، فالله الذى رحم موسى سمح فأقام فرعون ملكاً وأبقاه حياً لكى يستخدم قساوة قلبه لإعلان مجد الله ، وبسبب عنفه مع شعب الله يُنادى باسم الرب فى كل الأرض ، إذ جاء فى تسبحة موسى : « يسمع الشعب فيرتعدون ، تأخذ الرعدة سكان فلسطين ، حيثئذ يندهش أمراء أدوم ، أقوياء موآب تأخذهم الرجفة ، يذوب سكان كنعان » خر ١٥ : ١٤ ، ١٥ . إختار الله موسى دون فرعون ، وكما قال الرسول : « فإذا هو يرحم من يشاء ويقسى من يشاء » ع ١٨ ليس لنا أن نتساءل : لماذا رحم موسى وقسى قبل فرعون ؟ لأن حكمة الله تفوق حكمتنا ، إنما ما يمكننا أن نعرفه إن الله يعلم قلب موسى وإشتياقه فسنده بنعمته ليتمجد فيه خلال الرحمة ، أما بالنسبة لفرعون كان قلبه قاسياً (خر ٨ : ١٥ ، ٣٢ ، ٩ : ٣٤ ، ١٠ : ٦) ، وإنما ما فعله الله انه لم ينزع هذه القساوة عنه قسراً ، إنما رفع يده عنه فبقى فرعون فى قساوة قلبه ، أو بمعنى آخر سمح له أن يمارس عنفه ضد شعب الله ليتمجد الله حتى فى هذا العنف الشرير الله الذى سند موسى بالرحمة لم يمنع فرعون عما يكنه قلبه الشرير ، فيكمل موسى كأس مجده ، ويكمل فرعون كأس شره ، والله يتمجد بهذا وذاك .

ثالثاً : إقتبس الرسول بولس من العهد القديم أيضاً الذى يقدس اليهود مثال الفخارى (إر ١٨ : ١ - ١٠) ليؤكد به أن الإنسان فى علاقته بالله كالطين فى يد الخزاف وكالجبلة فى يدي جابلها ، ليس له أن يعترض على تصرفات الله وحكمته ، فمن حق الخزاف أن يصنع من كتلة واحدة إناءً للكرامة وآخر للهوان ، وهو يتمجد فى الإنائين .

يعلق القديس يوحنا الذهبى الفم على هذا المثال قائلاً :

[لم يقل هذا لينزع حرية الإرادة وإنما ليظهر إلى أى مدى يجب أن نطيع الله . فانه إذ يدعى الله خزافاً نكون نحن بالنسبة له كقليل طين مهياً قدامه ، فيليق بنا أن نكف لا عن المجادلة والتساؤلات فحسب وإنما حتى عن النطق أو التفكير بالكلية هذه هى النقطة الوحيدة التى يطبقها الرسول فى التشبيه ، إذ لا يقصد به إعلان نظام الحياة (إذ يفسره الهراطقة أن الله يخلق طبيعتين صالحة وشريرة) وإنما يقصد فقط الطاعة التامة والالتزام بالصمت

هذا مايجب مراعاته فى كل الأحوال عند إستخدام التشبيهات ، فلا نطبقها فى كل النواحي ، إنما نختار ما هو مناسب فيها ، والذى لأجله قدم التشبيه ، ونترك الباقي

عندما يقول : « أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناءً للكرامة وآخر للهوان ؟ ! » ع ٢١ ، لاتظن أن الرسول قال هذا بخصوص الخليفة انها مجبرة بلا حرية إرادة ، إنما لمجرد إظهار السلطان وتدابير الله المتنوعة فإن فسرناه بغير هذا ندخل فى أخطاء متنوعة ، فلو أنه كان يتحدث هنا عن الإرادة ، وأنه هو خالق الإرادة الصالحة والإرادة الشريرة لأعفى الانسان من المسؤولية ، ويظهر بولس نفسه متناقضاً مع نفسه ، إذاً يقدم على الدوام تقديراً عظيماً لحرية الإرادة^(٢٧٩)] .

بمعنى آخر يؤكد القديس الذهبى الفم ان الرسول يود أن يقدم جانباً واحداً من المثل وهو ان الله يعمل بنا ولا نقدر نحن الا أن نطيع لكنه لاينزع عنا حرية إرادتنا ، فإن أردنا الحياة معه يقوم هو بتغييرنا لمجد اسمه ، بطريقة تفوق إدراكنا .

هذا ويمكننا ان نقول إنه كخزافي هو قادر أن يشكّلنا ، لكن لا يقف الأمر عند القدرة مجردة ، إنما وهو القدير فهو الأب والحكمة عينها ، يعمل بحكمته وخلال أبوته مشتاقاً أن يشكّل كل الطين إلى أوانٍ للكرامة ، لكنه يكرم حرية إرادتنا وإذا نرفض عمله نبقي بلا كرامة ونفقد عمل يديه المقدستين للنفس والروح والجسد .

إنه خزاف يتبنى آنيته ويحبها ويشتهي خلاص الكل ، كما قيل : « الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون » ١ تي ٢ : ٤ ؛ « الله يُسرّ بالرفقة » مي ٨ : ١٨ ؛ « من يقبل إليّ لأخرجه خارجاً » يو ٦ : ٣٧ ؛ « لا يسر بموت الشرير بل أن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا » حز ٣٣ : ١١ .

رابعاً : إن كان الله يتمجد في آنية الكرامة بإعلان عمل نعمته المجانية في حياة مؤمنيه المجاهدين ، مشتاقاً أن يكون جميع البشر آنية كرامة ، لكن إذ أصر البعض إلا أن يصيروا آنية للهوان ، فحتى في هذا يتمجد الله ، إذ يبرز غضبه وسخطه على الخطية ، فيدين الخطاة بكونه القدوس الذي لا يقبل أن يشاركه الأشرار مجده المقدس (ع ٢٢) ، ومن جانب آخر يتمجد بطول أناته على الإنسان (ع ٢٢) ، فإن الله يحتمل لإشراق زماناً ولا يعاقبهم فوراً بالرغم من تجديفاتهم ومقاومتهم لعمل الله هذا ما قصده بقوله : « فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه وبين قوة إحتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهياة للهلاك » ع ٢٢ .

يلقى القديس يوحنا الذهبي الفم على ذلك بقوله :

[مايعنيه هو هذا : كان فرعون آنية غضب ، أي كان إنساناً قد ألهب غضب الله بقساوة قلبه . فبعدها تمتع بطول أناة كثيرة (من جهة الله نحوه) بقي بدون إصلاح ، لهذا لم يدعه الرسول : « آنية غضب » فحسب وإنما أيضاً : « مهياة للهلاك » . بمعنى أنه هياً نفسه بنفسه للهلاك التام . الله لم يتركه محتاجاً إلى الأمور التي تشفيه كما لم ينزع عنه الأمور التي تهلكه ، لذا فهو بلا عذر .

إذ يعرف الله ذلك إحتمله بأناة كثيرة ليرده للتوبة . فإنه لو لم يود توبته لما إحتمله بأناة كثيرة ، أما كونه لم ينتفع بالأناة الكثيرة للتوبة بل هياً نفسه بالأكثر للهلاك ، استخدمه الله وسيلة لإصلاح الغير بمعاقبته فيصلحون هم من حالهم ؛

بهذا بين الله قوته . لكن ليست رغبة الله هي إظهار قوته ، إنما يود أن يظهر حنوه بكل طرق ممكنة . إن كان بولس لا يود أن يظهر قوته بهذه الطريقة ، إذ يقول : « ليس لكى يظهر نحن مزكين بل لكى تصنعوا أنتم حسناً » ٢ كو ١٣ : ٧ فكم بالأكثر يكون الله نفسه ؟ ! لكن إذ يطيل الله أناته كثيراً ليقوده إلى التوبة ولم يتب الانسان يحتمله الله زماناً طويلاً لكى يظهر أولاً صلاحه وقوته حتى وإن كان الانسان لم يضع فى ذهنه أن ينتفع شيئاً من طول أناة الله العظيمة . عندئذ يظهر الله قوته بعقاب هذا الإنسان الذى لا يقبل الشفاء ، وذلك كما يبين حبه للإنسان خلال رحمته نحو الذين إرتكبوا خطايا كثيرة وتابوا . لا يقال : « يبين حبه » بل « مجده » ع ٢٣ ، ليظهر ان هذا الحب هو مجد الله على وجه الخصوص ، الأمر الذى يغير الله أكثر من كل شىء .

بقوله « قد سبق فأعدها للمجد » ع ٢٣ لايعنى أن كل شىء هو عمل الله وحده لأنه لو كان الأمر كذلك لما وجد ما يمنع من خلاص كل البشر فإن كان فرعون قد صار آنية غضب بسبب إنخطاطه هو ، فإن هؤلاء (اليهود) قد صاروا آنية رحمة باستعدادهم للطاعة . وإن كان الجانب الأعظم للعمل هو من قبل الله ، لكنهم هم ساهموا بالقليل ، ومع ذلك لم يقل انها : « آنية العمل الصالح » بل « آنية رحمة » ليظهر أن الله هو الكل (٢٨٠)] .

خامساً : إذ أبرز الرسول انه ليس من حقهم نقد خطة الله بسبب عجزهم عن إدراك حكمته الإلهية كما ينبغى ، مظهراً حق الله فى إختيار الأمم كما سبق فإختار اليهود ، لا يغلق الباب عن كل يهودى إنما عن الشعب اليهودى ككل ، كما لايعنى إنفتاح الباب للأمم خلاص كل أممى إذ يقول : « التى أيضا دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضا » ع ٢٤ .

هكذا توصل الرسول لا إلى دعوة الأمم دون هياج اليهود عليه فحسب ، وإنما إلى فتح باب محبة الله لكل إنسان يهودياً كان أممياً ، حتى وإن جحد اليهود كأمة السيد المسيح .

٤ - تعثر إسرائيل

إذ سبق فقدم الرسول ردوداً على إنتقاد اليهود لفتح باب الدعوة للأمم دون أن

يجرح مشاعر اليهود ختم حديثه بتقديم الدلائل من الأنبياء أنفسهم ، فإختار بعض العبارات التى تعلن تعثر اليهود فى الإيمان وقبول الأمم له ؛ وهنا يتحدث بلا تخرج لأنه يقتبس عبارات نبوية يؤمنون بها ، إذ يقول :

كما يقول فى هوشع : أيضاً سأدعو الذى ليس شعبى شعبى ، والتى ليست محبوبة محبوبة ، ويكون فى الموضع الذى قيل لهم فيه لستم شعبى أنه هناك يدعون أبناء الله الحى » ع ٢٥ ، ٢٦ .

إقتبس الرسول هذه العبارات عن هو ٢ : ٢٣ ؛ ١ : ١٠ (الترجمة السبعينية) ، مقدماً النبى هوشع شاهداً لأقواله ان الأمم الذين كانوا ليسوا شعب الله ولا محبوبين لديه خارج المقدسات صاروا شعب الله والمحبوبين لديه وأبنائه ! كأن ما يتم فى العصر الرسولى ليس بالأمر الغريب ، إذ سبق فاعلنه الله لأنبيائه ليمهدوا لتحقيق خطته الإلهية من جهة خلاص الأمم والشعوب .

يقول القديس إيريناؤس : [دعى النبى أسماء أولاده : لورحامة « ليس لهم رحمة » ، ولوعمى « ليس شعبى » (هوشع ١) حتى أنه كما يقول الرسول : « سأدعو الذى ليس شعبى شعبى ، والتى ليست محبوبة (بلا رحمة) محبوبة ، ويكون فى الموضع الذى قيل فيه لستم شعبى أنه هناك يدعون أبناء الله الحى » . فما حدث كرمز خلال أعمال النبى يؤكد الرسول أنه يتم حقاً بالمسيح فى الكنيسة . هكذا أيضاً إتخذ موسى أثيوبية زوجة له مظهراً أن الزيتونة البرية قد طُعمت فى الزيتونة الأصلية وتشترك معها فى ثمارها . فبزواجه من الأثيوبية أعلن عن ظهور الكنيسة من بين الأمم ، والذين يستخفون بها ويتهمونها ويستهزئون بها يمتلئون برصاً ، ولا يكونوا أطهاراً ، ويستعبدون من خيمة البر (عد ١٢) . هكذا أيضاً بالنسبة لراحاب الزانية ، التى تدين نفسها بكونها من الأمم مملوءة من كل الشرور ، لكنها تقبلت الجواسيس الذين كانوا يتجسسون الأرض وخبأتهم فى بيتها ، وعندما تحطمت كل المدينة التى كانت تعيش فيها عند سماع الأبواق السبعة حُفظت راحاب الزانية مع كل بيتها بالإيمان بعلامة القرمز (يش ٦ : ٢٢) ، وكما أعلن الرب للفريسيين عن الذين يقبلون مجيئه ، إذ قال : « العشارون والخطاة يسبقونكم إلى ملكوت السموات » مت ٢١ : ٣١ (٢٨١)] .

لم يكتفِ الرسول بهذا بل قدم إشعيا النبي الذي جاء في نبوته متاغماً معه ، إذ يقول :

« وإشعيا يصرخ من جهة إسرائيل وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص ، لأنه متمم أمر وقاضٍ بالبر ، لأن الرب يصنع أمراً مقضياً به على الأرض » ع ٢٧ ، ٢٨ .

جاء هذا القول في إشعيا ١٠ : ٢٢ ، ٢٣ (الترجمة السبعينية) وكان يحمل نبوة عن المسيبين إذ كانوا كثيرين جداً بالنسبة للقلة القليلة التي تنجو من الأسر... وأن الله سمح بذلك بل وقضى بهذا التأديب لأجل البر . طبق الرسول هذه النبوة بصورة أشمل على العصر المسياني حيث يؤسر عدد كبير جداً من اليهود تحت الجحود رافضين الإيمان المسياني حيث يؤسر عدد كبير جداً من اليهود تحت الجحود رافضين الإيمان بالمسيا ، وقليلون هم الذين يخلصون بقبولهم المسيا المخلص ، وقد سمح الله بذلك لأجل البر ، ليفتح الباب للأمم .

يرتبط القديس يوحنا الذهبي الثماني على هذا القول الرسول ، هكذا :

[إنه يعنى : أنا لأهتم بالجمع (بالعدد الضخم) ، ولا أتناثر بالجنس (اليهود) وإنما أخلص من يتقدمون كمستحقين للخلاص . انه لم يذكر « كرمل البحر » بلا سبب . إنما يذكرهم بالوعد القديم (تك ٢٢ : ١٧ ؛ ٣٢ : ١٢) الذي جعلوا أنفسهم غير أهل له . لماذا ترتبكون إذن إن كان الوعد لا يتحقق (للكل) إذ أذهر كل الأنبياء انه ليس الجميع يخلصون ؟ عندئذ يظهر الرسول أيضاً طريق الخلاص « لأنه متمم أمر وقاضٍ (بسرعة) بالبر ، لأن الرب يصنع أمراً مقضياً به (سريعاً) على الأرض » ع ٢٨ هذا الأمر هو الإيمان الذي يحمل خلاصاً في كلمات قليلة : « لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت » رو ١٠ : ٩ . ها أنتم ترون أن الرب متمم كلمة قليلة على الأرض ، والعجيب ان هذه الكلمة القليلة لا تحمل خلاصاً فحسب بل وبراً^(٢٨٢)] .

بمعنى آخر إن كان إسرائيل قد صار له باعاً طويلاً في أعمال الناموس الحرفية وشكليات العبادة لكن الرب في ملء الزمان صنع أمراً مقضياً به أو أمراً عاجلاً مركزاً

حول الإيمان بالمخلص الذى ينقذ المؤمنين به وإن كانوا قلة من اليهود . هذه القلة تنبأ عنها إشعياء أيضاً (إش ١ : ٩) : « لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلا لصرنا مثل سدوم وشابها عمورة » ع ٢٩ .

كأن ما حدث فى العصر الرسولى سبق فحدث فى عصر إشعياء إذ قليلون هم الذين عاشوا فى الإيمان فخلصوا من الهلاك ، بدونهم تعرض إسرائيل كله للإبادة بالنار كما حدث لسدوم وعمورة (تك ١٩) .

أخيراً يخرج الرسول بهذه النتيجة :

« فماذا نقول ؟ ان الأمم الذين لم يسعوا فى إثر البر ، أدركوا البر ، البر الذى بالإيمان ، ولكن إسرائيل وهو يسعى فى إثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر . لماذا ؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس ، فإنهم اصطموا بحجر الصدمة ، كما هو مكتوب : ها أنا أضع فى صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل من يؤمن به لا يخزى » ع ٣٠ - ٣٣ .

هذه هى النتيجة النهائية ان الأمم الذين لم ينالوا المواعيد ولا إستلموا الشريعة ولم تكن لهم معرفة إلهية قبل الكرازة بالإنجيل لم يسعوا فى إثر البر ، ولكن إذ جاءتهم الكرازة أدركوا البر الذى حسب الإيمان بالمسيح يسوع ، أما إسرائيل الذى له ميزات كثيرة فإذ سعى فى إثر ناموس البر لكن خلال حرفيات أعمال الناموس دون روحها ، فقدوا الإيمان ، واصطدموا بالسيد المسيح « حجر الصدمة » ، وتحقق فيهم القول النبوى : « ويكون مقدساً وحجر الصدمة وصخرة عثرة لبيتى إسرائيل وفخاً وشركاً لسكان أورشليم » إش ٨ : ١٤ ... كما تحقق فى الأمم القابلين للإيمان : « هاأنذا أؤسس فى صهيون حجراً ، حجر إمتحان حجر زاوية كريماً ، أساساً مؤسساً ، من من آمن لا يهرب » إش ٢٨ : ١٦ .

+ + +



إذ يعالج الرسول بولس مشكلة «إختيار شعب الله» التي أساء اليهود إستخدامها ، فعوض شعورهم بحب الله الفائق لهم والتزامهم بمسؤولية الكرازة بين الأمم تحجرت قلوبهم بالجحود ، وتعثروا في السيد المسيح «حجر الزاوية» ، الذي صار لهم حجر صدمة وصخرة عثرة (٩ : ٢٢ ، ٢٣) ، بينما قبله المؤمنون حجراً كريماً مختاراً (مز ١١٨ : ٢٢ ؛ ١ بط ٢ : ٦ ، ٧) ، الآن يكتب لنا عن « سر جحودهم حتى لانسقط نحن أيضا فيما سقطوا فيه بطريق أو آخر .

١ - غيرة اليهود بلا معرفة . ١ - ٥ .

أ - جهلهم برّ الله .

ب - جهلهم غاية الناموس .

٢ - رفضهم بساطة الإيمان . ٦ - ١١ .

٣ - رفضهم حب الله الشامل ١٢ - ١٣ .

٤ - رفضهم الألتزام بالكرازة . ١٤ - ١٨ .

٥ - شهادة الأنبياء عن جحودهم . ١٩ - ٢١ .

+ + +

١ - غيرة اليهود بلا معرفة

إذ يعالج الرسول موضوعاً شائكاً للغاية ، يمكن خلاله أن يُتهم بالخيانة لأُمته ، يعلن من حين إلى حين مدى حبه لإخوته حسب الجسد ، وعن عدم تجاهله لما نالوه من امتياز دون سائر الأمم في عصرى الآباء والأنبياء ، وأيضاً عن غيرتهم الدينية وإن كانت بلا إدراك روحى حقيقى ، إذ يقول :

« أيها الإخوة إن مسرة قلبى وطلبتى إلى الله لأجل إسرائيل هى للخلاص ، لأننى أشهد أن لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة » ع ١ ، ٢ .

يعلق القديس يوحنا الذهبى الفم على هذه العبارة الرسولية موضحاً ان الرسول وهو يستعد لتوبيخهم بأكثر صرامة يود أن يقول لهم : لاتلفتوا إلى الألفاظ ولا إلى الاتهامات كأنى أتهمكم بروح عدائى ، فإن « خلاصكم » هو موضوع سرور قلبى وصلاتى لله .

ياله من روح إنجيلى ملتهب بالحب ، فمقاومة اليهود المستمرة له لم تجرح مشاعر محبته ، إذ لايجد مايسر قلبه مثل خلاص الآخرين حتى المقاومين له إنهم فى قلبه يشتهى خلاصهم ، ولايكف عن الطلبة من أجلهم . هذه الأبوة الحانية نجدها فى خدام الله الحقيقين ، الذين من الأعماق يصرخون مع صموئيل النبى : « وأما أنا فحاشا لى أن أخطئ إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم بل ، أعلمكم الطريق الصالح المستقيم » ١ صم ١٢ : ٢٣ .

علامة الحب الصراحة والوضوح ، إذ يشهد لغيرتهم لله ، لكنها « غيرة ليست حسب المعرفة ، سقط فيها هو من قبل ، إذ كان فى غيرته » ينفث تهديداً وقتلا على تلاميذ الرب « أع ٩ : ١ . يقول القديس أغسطينوس : [كانوا يظنون إنهم يقدمون خدمة لله بذبحهم خدامه ! ياله من خطأ مريع ، عندما تود أن تسر الله بضربك محبوبه حتى الأرض ، وهدم مذبح الله الحى لتأتى به أرضاً كى لايهجر الهيكل الحجرى ! ياله من عمى لعين ! هذا هو ماحدث مع إسرائيل من أجل ملع الأمم ، أقول إنه حدث جزئياً وليس للكل ، فلم تقطع كل الأغصان وإنما بعضها لكى تتطعم أغصان الزيتون البرية (رو ١١ : ٢٥ ، ١٧) (٢٨٣)] .

ماسقط فيه اليهود يمكن أن يسقط فيه بعض المسيحيين ، إذ تكون « لهم غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة » ، كأن يسلك الانسان بفكر تعصبي دون إدراك روحى للإيمان المستقيم أو اتساع قلب لمحبة الغير ؛ أو كأن يجاهد فى طريق الفضيلة غير متكىء على صدر الله بل على ذراعه البشرى وقدراته الخاصة ومعرفته الزمنية .

سّر جحود اليهود جهلهم أمرين ؛ أولاً : برّ الله ، ثانياً : غاية الناموس . يقوم الأول على جهلهم عمل الله فى حياة المؤمن فطلبوا برّ أنفسهم لا برّ الله فصار ذلك عائقاً عن خلاصهم ، والثانى جهلهم غاية وأحكامه من جهة الناموس فتمسكوا بالحرف القاتل دون الروح الذى يحى .

أولاً : جهلهم برّ الله

« لأنهم إن كانوا يجهلون برّ الله ، ويطلبون أن يثبتوا برّ أنفسهم لم يخضعوا لبرّ الله » ع ٣ .

يحاول أن يعطيهم عذراً : « جهلهم برّ الله » ، لكنه يتحول العذر إلى إتهام ضدهم يقوم على كبريائهم وإعتدائهم بالذات : « برّ أنفسهم » . جهلهم لايقوم على ظروف خارجية قهرية وإنما على فساد داخلى يّذب فى النفس .

حينما تضخم « الأنا ego ، تملأ القلب فلا تطيق آخر فى داخله ، حتى إذ تدّينت تعمل لحساب ذاتها المغلقة فتطلب تثبيت « برّ نفسها » عوض اتساعها بالحب لتقبل نعمة الله واهبة البرّ بالإيمان .

يحدثنا إشعياء النبى عن هذا البرّ الذاتى ، قائلاً : « قد صرنا كلنا كنجس ، وكثوب عّدة كل أعمال برنا ، وقد ذبلنا كورقة وآثامنا كريح تحملنا » إش ٦٤ : ٦ .

+ يقول الرسول بولس إن المسيح بالنسبة لنا برّ (١ كو ١ : ٣٠) ؛ وبالتالى من يجوع إلى هذا الخبز إنما يجوع إلى البرّ النازل من السماء ، الذى يهبه الله ، وليس الذى يصنعه الإنسان لنفسه . فلو أن الإنسان لايصنع لنفسه براً لما قال الرسول نفسه لليهود : « إذ كانوا يجهلون برّ الله ويطلبون أن يثبتوا برّ أنفسهم لم يخضعوا لبرّ الله » ع ٣ برّ الله لايعنى أن الله بار ، وإنما يعنى البرّ الذى

يهبه الله للانسان فيجعله باراً بالله . مرة أخرى ، ماهو برّ هؤلاء اليهود ؟ البرّ الذى هو من عمل قوتهم والذى إفترضوه ، فحسبوا أنفسهم كما لو كانوا مكملين للناموس بفضائلهم الذاتية .

القديس أغسطينوس (٢٨٤)

+ الله وحده هو البار والذى يرر ، يهب الانسان البرّ .

إنهم يطلبون أن يثبتوا برّ أنفسهم ، بمعنى انهم يظنون بأن الصلاح هو من عندياتهم لا عطية إلهية . بهذا « لم يخضعوا لبرّ الله » ، لأنهم متكبرون ويحسبون انهم قادرون على إرضاء الله بذواتهم لا بما لله .

القديس أغسطينوس (٢٨٥)

+ قال هذا عن اليهود الذين فى إعتدائهم بذواتهم إحتقروا النعمة ولم يؤمنوا بالمسيح إنه يقول بأنهم أرادوا أن يقيموا برّهم ، هذا البرّ الذى من الناموس ، لأنهم ينفذون الناموس بل يقيمون برّهم فى الناموس عندما يحسبون فى أنفسهم انهم قادرون على تنفيذ الناموس بقوتهم ، جاهلين برّ الله ، لا البرّ الذى لله بل البرّ الذى يمنحه الله للإنسان .

القديس أغسطينوس (٢٨٦)

ثانياً : جهلهم غاية الناموس

إن كانت « الأنا » قد حجبت عنهم الالتقاء مع الله بعمله فيهم ، فصار برهم الذائق المزعز عائقاً عن تمتعهم ببرّ الله ، فإن تمسكهم بحرفية الناموس وشكلياته أفقدهم المتعة بغاية الناموس الحقيقة ، ألا وهو الالتقاء بالخلص . يقول الرسول : « لأن غاية الناموس هى المسيح للبرّ لكل من يؤمن ، لأن موسى يكتب فى البرّ الذى بالناموس ان الانسان الذى يفعلها سيحيا بها » ع ٤ ، ٥ .

إقتبس الرسول بولس من موسى العبارة : « تحفظون فرائضى وأحكامى التى إذا فعلها إنسان يحيا بها » لا ١٨ : ٥ . وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم (٢٨٧) إن الانسان لا يمكن أن يحيا ولا أن يتبرر مالم يتمم كل الفرائض وأحكام الناموس ، الأمر الذى يعتبر مستحيلاً ، لهذا فإن أراد اليهود أن يتبرروا بالناموس عينه يعلن عن العجز

التام لكل انسان أن يحقق البرّ والحياة وهو بهذا يدفعنا إلى الإيمان برّبنا يسوع المسيح الذى وحده غير كاسر للناموس بل وقادر على تبرير مؤمنيه . بهذا لم يترك الرسول بولس لليهود عذرا يلتمسونه ، فإن الناموس نفسه يعلن عن المسيح بكونه وحده يتركز فيه البرّ ؛ من ينعم بالبرّ الذى قصده الناموس ، ومن يرفضه إنما يرفض البرّ حتى وإن ظن فى نفسه أنه بالناموس يتبرر .

+ المسيح هو غاية الناموس للبرّ ، الذى أنبأنا عنه بالناموس لكل من يؤمن .
القديس أكليمنضس الاسكندري (٢٨٨)

٢ - رفضهم بساطة الايمان

ربما يتساءل البعض : إن كان اليهود قد عجزوا عن تحقيق البرّ بالناموس بتنفيذ وصاياه فماذا يكون حالنا أمام الوصايا الإنجيلية وهى أصعب من وصايا الناموس ؟ لذلك أسرع الرسول ليوضح الأمكانيات الجديدة التى صارت لنا خلال السيد المسيح والتى يمكن تركيزها فى نقطتين جوهريتين :

- ١ - ان الإيمان بالمسيح بسيط وقريب منا للغاية (ع ٦ - ٨) .
- ب - ان الأب أقام المسيح ليهبنا قوة القيامة عاملة فينا (ع ٩ - ١١) .

بهذا لم يحطم الرسول الأعذار اليهودية فحسب وإنما فتح لنا باب الايمان لنعيش بكونه سهل المنال ، خلال الحياة المقامة لنا فى المسيح ربنا .
أولا : رفضهم الإيمان البسيط القريب

« وأما البرّ الذى بالإيمان فيقول هكذا : لا تقل فى قلبك من يصعد إلى السماء أى ليحدر المسيح ، أو من يهبط إلى الهاوية أى ليصعد المسيح من الأموات ، ولكن ماذا يقول ؟ الكلمة قريبة منك فى فمك وفى قلبك ، أى كلمة الإيمان التى نركز بها » ع ٦ - ٨ .

اقتبس الرسول عبارات لموسى النبى بعد أن أعطاهما مسحة إنجيلية ، إذ جاء فى سفر التثنية : « إن هذه الوصية أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ، ولا بعيدة

منك ، ليست هى فى السماء حتى تقول من يصعد لاجلنا إلى السماء وياخذها لنا
ويُسمعنا إياها لنعمل بها ؟ ! ولاهى فى عبر البحر حتى تقول : من يعبر لأجلنا البحر
ويأخذها لنا ويُسمعنا إياها لنعمل بها ؟ ! بل الكلمة قريبة منك جداً فى فمك وفى
قلبك لتعمل بها » تث ٣٠ : ١١ - ١٤ .

كان موسى يحدث شعبه عن الشريعة أو الوصية الإلهية أو الكلمة الإلهية ، كيف
صارت بين أيديهم ليست ببعيدة عنهم ، ليست بالشريعة المرتفعة فى السماء يصعب
بلوغها والتعرف عليها ولا هى فى الأعماق ليس من ينزل إليها ليحبها ، إنما صارت فى
وسطهم تبكتهم وتحثهم على الرجوع إلى الله . إن كان هذا ينطبق على كلمة الله
المعلنة خلال الحروف والمسلمة بين يدي موسى النبی لتوضع فى الهيكل وسط
الشعب ، فبالحرى تنطبق على كلمة الله المتجسد ، الذى صار إنساناً وحل بيننا
كواحد منا فلم يعد غريباً عنا ولا بعيد عن حياتنا ، بل هو قريب إلينا
يسكن فينا ويحل بروحه فى داخلنا ، لنحيا به فى كلماتنا وتصرفاتنا وكل مشاعرنا
وأحاسيسنا .

فى القديم كان اليهود يعتزون بأنهم شعب الله الذى تسلم الشريعة الإلهية بواسطة
موسى بيد ملائكة (عب ٢ : ٢) ، أما الآن فقد جاءنا الكلمة نفسه متجسداً ،
يهبنا ذاته ويجعلنا فيه أبناء الآب فى مياه المعمودية بالروح القدس . يقول القديس
أغسطينوس : [أرسل الناموس بواسطة خادم ، أما النعمة فجاء بنفسه من
أجلها] (٢٨٩) .

ان كان برّ الناموس صعباً بل ومستحيلاً ، فقد جاء السيد المسيح ليقدم وصايا
سهلة ولا ليتهاون مع مؤمنيه وإنما قدم ذاته قريباً من مؤمنيه ، بل ساكناً فيهم ،
لا ليتمموا أعمال الناموس إنما به يزيد برهم عن الكتبة والفريسيين ، كقوله : « إن لم
يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » مت ٥ : ٢٠ .

حدثنا القديس أغسطينوس عن طريق لقائه مع الله قائلاً بانه فى غباوة كان
يبحث عن الله فى الطبيعة وكتب الفلاسفة ، خرج خارجاً عن نفسه يطلب بينما كان
الله فى داخله عميقاً أعمق من نفسه وعالياً أعلى من علوه إذن لنطلبه فى
داخلنا فنجده يملك على القلب ، ويقم عرسه فيه !

ثانياً : التمتع بقيامة المسيح فينا

« لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك ان الله أقامه من الأموات خلصت ، لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص ، لأن الكتاب يقول : كل من يؤمن به لا يخزي » ع ٩ - ١١ .

إن كان الإيمان ليس بالأمر الصعب ، لكنه كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم (٢٩٠) يطلب نفساً متيقظة ساهرة تقبل المسيح الذي قام من الأموات . فكما سبق فقال الرسول ان إبراهيم « على خلاف الرجاء آمن على الرجاء » رو ٤ : ١٨ ، هكذا المسيحي يقبل على خلاف الرجاء الطبيعي الحياة المقامة في المسيح هذا هو مركز إيماننا !

يلاحظ في هذه العبارة الرسولية الآتي :

١ - إشتراك الفم مع القلب في الإيمان : « إن إعتبرت بالرب يسوع وآمنت بقلبك ... خلصت » ع ٩ . فإن كان القلب هنا يشير إلى الانسان الداخلي فان الفم يشير إلى الحياة الظاهرة ؛ إيماننا في جوهره لقاء النفس الداخلية مع عريسها لكن دون تجاهل للجسد بكل أعضائه ! بمعنى آخر إيماننا يمس أعماقنا الداخلية وتصرفاتنا الظاهرة . بدون القلب يصير إعترافنا الظاهري لغواً وتعصباً وشكليات ، وبدون الحياة العاملة والاعتراف الظاهر لانعم بهذه المكافأة : « كل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السموات » مت ١٠ : ٣٢ .

+ ينبع هذا الاعتراف عن جذور القلب .

أحياناً تسمع إنساناً يعترف (بالمسيح) لكنك لاتدرك إن كان مؤمناً أو غير مؤمن يجب ألا تدعو أحداً انه يعترف (بالمسيح) إن كان غير مؤمن (بقلبه) ، لأن من يعترف هكذا إنما ينطق بغير ما في قلبه .

القديس أغسطينوس (٢٩١)

ليتنا نؤمن برينا يسوع بكل قلبنا ، فيملك كرب ويخلص أعماقنا من كل ظلمة ، متجاوبين مع مخلصنا بحياتنا المقدسة فيه ، فنعترف به بشفاها .

يرى القديس أمبروسيوس^(٢٩٢) الاعتراف بالفم يمثل إحدى القبلات التي يقدمها المؤمن لعريسه السيد المسيح حين يناجيه ، قائلا : « ليقبلني بقبلات فمه ، لأن حبك أطيب من الخمر » نش ١ : ٢ . فإن كان عريسنا لا يكف عن أن يقبلنا بقبلات الحب العملى البازل ، يليق بنا أن نرد القبلات بالقبلات والحب بالحب ، لنوجد فيه محبوبين ومقدسین .

ويرى القديس أمبروسيوس أيضا في الاعتراف بالفم والإيمان بالقلب أشبه بالبوقين اللذين من الفضة (عد ١٠ : ٢) : [بهذين البوقين يبلغ الانسان الأرض المقدسة ، أى نعمة القيامة . دعهما يصوتان لك كى تسمع صوت الله ، فتحثك منطوقات الأنبياء والملائكة على الدوام وتسرع بك إلى العلويات^(٢٩٣)] .

ب - الاعتراف بالفم برينا يسوع المسيح لايعنى مجرد شهادة الشفتين له ، وإنما تعنى إبراز الحياة المقدسة للمجد الانسان وإنما لمجد الله نفسه ، إذ يقول السيد المسيح : « فليضيء نوركم قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذى فى السموات » مت ٥ : ١٦ . وكما يقول القديس أغسطينوس : [الذين يرغبون فى إظهار أعمالهم الحسنة للناس ليمجدوا ذاك الذى أخذوا منه هذه الأعمال الظاهرة فيهم فيمثلون بهم بالإيمان ، بالحق يضيء نورهم أمام الناس ، لأن منهم تنبعث أشعة نور المحبة لاحظوا الرسول أيضا عندما يقول : « كما أنا أيضا أرضى الجميع فى كل شئ » ١ كو ١٠ : ٣٣ ، فإنه لم يقف عند هذا كما لو كان إرضاءه للناس هو هدفه النهائى ، وإلا فباطلا يقول : « لو كنت بعد أرضى الناس لم أكن عبداً للمسيح » غلا ١ : ١٠ ، بل أردف فى الحال مظهراً سبب إرضائه الناس ، قائلا : « غير طالب ما يوافق نفسى بل الكثيرين لكى يخلصوا » ١ كو ١٠ : ٣٣ . فهو لايرضى الناس لنفعه الخاص وإلا فلا يكون عبداً للمسيح بل يرضى الناس لأجل خلاصهم حتى يكون رسولا أميناً للمسيح^(٢٩٤)] .

ج - « لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به لا يخزى » ع ١١ اقتطف الرسول بولس ذلك عن سفر إشعياء (٢٨ : ١٦ الترجمة السبعينية) ، ليؤكد أمرين ، الأول أنه بأعمال الناموس يمكن للانسان أن يخزى إذ يعجز عن التمتع بالبر أما

بالإيمان الحى فلن يخزى . الأمر الثانى انه لم يحدد فئة معينة بل قال : « كل من يؤمن به » ، مؤكداً عمومية الخلاص بلا تمييز بين يهودى وأمى .

٣ - رفضهم حب الله الشامل

إذ سبق فكشف الرسول عن سرّ جحود اليهود : رفضهم الايمان البسيط القريب ، جاء بعبارة نبوية مقتبسة من إشعياء النبى (٢٨ : ١٦) تعلن أن « كل من يؤمن به لا يخزى كما يقتبس من يوثيل العبارة « كل من يدعو بإسم الرب يخلص » (يوثيل ٢ : ٢٨ ، ٢٩) العبارة التى إقتبسها الرسول بطرس فى عظة يوم الخمسين (أع ٢ : ٢١) .

هكذا لايتوقف الرسول بولس عن تأكيد إنفتاح باب الإيمان لجميع الأمم ، لأن الله « هو رب الكل » أع ١٠ : ٣٦ كما قال القديس بطرس فى بيت كرنيليوس .
« لأنه لافرق بين اليهودى واليونانى ، لأن رياً واحداً للجميع ، غنياً للجميع الذين يدعون به ، لأن كل من يدعو بإسم الرب يخلص » ١٢ ، ١٣ .

٤ - رفضهم الالتزام بالكرازة

يدخل القديس بولس الرسول بهم إلى إتهام جديد ، ألا وهو تجاهلهم الدور الرئيسى الذى كان يجب أن يقوموا به كشعب الله المختار : الكرازة بالمسيا الذى شهد له العهد القديم برموزه ونبواته . بمعنى آخر كان يليق بهم عوض الدخول فى مناقشات غبية بتشاخ وكبرياء ضد الأمم أن يكونوا هم الكارزين لهم بالإيمان . هذا ماقصده الرسول بقوله : « فكيف يدعون بمن لا يؤمنوا به ؟ ! وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به ؟ ! وكيف يسمعون بلا كارز ؟ ! وكيف يكرزون إن لم يُرسلوا ؟ ! كما هو مكتوب ماأجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات » ع ١٤ ، ١٥ .

يقدم لنا القديس يوحنا الذهبى الفم تحليلاً لطيفاً لهذا النص الرسولى ، إذ يقول (٢٩٥) ان الرسول يجردهم من كل عذر ، فبعدما قال إن لهم غيرة لله لكن ليس حسب المعرفة بدأ عن طريق الأسئلة يوضح أنه كان يجب أن يكونوا أول المؤمنين بالسيد المسيح ، لأنه قد أرسل لهم الأنبياء ككارزين لهم به خلال النبوات ، لكنهم

سدوا آذانهم ورفضوا الإيمان . فإن كان الخلاص يتطلب الدعوة بإسمه كقول يوثيل النبي : « كل من يدعو بإسم الرب يخلص » (رو ١٠ : ١٣ ، يوثيل ٢ : ٢٨ ، ٢٩) ، فالدعوة بإسمه تستلزم الإيمان به ، والإيمان يتطلب السماع عنه ، والسماع لا يتحقق إلا بالكارزين ، والكارزون لا يمشرون ما لم يُرسلوا وقد أرسل لهم الكارزون فعلاً وكرزوا قبل مجيئه بأجيال كثيرة كقول إشعياء الذى أعلن عن رسالة الكارزين المبشرين بالسلام (إش ٥٢ : ٧) ، ومع هذا فقد رفض اليهود الإيمان فهم بلا عذر .

كان يليق باليهود أن يسبقوا الأمم فى قبول الإيمان بالمسيا المخلص ليقوموا هم بدور الكارزين ، مكملين رسالة أنبيائهم ، عوض مقاوتهم للإيمان . هكذا يظهر الرسول أن دينوتهم مضاعفة .

على أى الأحوال حتى هذا الرفض للإيمان تنبأ عنه إشعياء ، إذ يقول الرسول : « لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل ، لأن إشعياء يقول : يارب من صدق خبرنا ؟ ! إذاً الإيمان بالخبر ، والخبر بكلمة الله ، لكننى أقول : ألعلمهم لم يسمعوا ؟ ! بلى إلى جميع الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصى المسكونة أقوالهم » ع ١٦ : ١٨ .

لقد سبق فأنبأ إشعياء انه ليس الجميع يطيعون الإنجيل ، إذ يرفض كثير من اليهود خبر التبشير الذى سبق فأعلنه النبى نفسه (إش ٥٣ : ١) هو قدم الخبر ليؤمنوا بالإنجيل ، لكنهم لم يسمعوا مع أن الأمم الذين فى أقاصى المسكونة سمعوا وآمنوا ، وهكذا صاروا شهوداً على اليهود .

اقتبس الرسول جزءاً من المزمور ١٩ حيث ينشد المرتل : « السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه ، يوم إلى يوم يذيع كلاماً ، وليل إلى ليل يبدى علماً ، لا قول ولا كلام لا يسمع صوتهم ، فى كل الأرض خرج منطلقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم » ... فى هذا المزمور يعلن المرتل ان الشهادة عن الله عامة والكرازة بأعماله مقدمة لكل البشرية خلال الطبيعة عينها (السموات والفلك) وخلال كرازة الكارزين التى تبلغ أقصى المسكونة ، وكأن المرتل قد شاهد بروح النبوه

خدمة الرسل التي اتسعت لتضم الشعوب والأمم من مشارق الشمس إلى مغاربها .

٥ - شهادة الأنبياء عن جحودهم

إذ أعلن الرسول عن سرّ جحود اليهود بّر الله وعدم إدراكهم غاية الناموس ، ورفضهم الإيمان البسيط القريب إليهم ، وضيق قلبهم الذي لا يقبل حب الله الجامع لكل البشرية ، ونسيانهم رسالتهم ككارزين بالمسيا المخلص للعالم ، يقدم لهم الرسول شهادة أعظم تبين عن جحودهم ، هما موسى وإشعياء :

« لكنى أقول : ألع إسرائيل لم يعلم ؟ »

أولاً : موسى يقول أنا أغيركم بما ليس أمة ، بأمة غيبة أغيظكم (تث ٣٢ : ٢١) ؛

ثم أشعياء يتجاسر ويقول : « وجدت من الذين لم يطلبوني ، وصرت ظاهراً للذين لم يسألوا عني (إش ٦٥ : ١) ؛

أما من جهة إسرائيل فيقول : « طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم (إش ٦٥ : ٢) » ع ١٩ - ٢١ .

يلاحظ في هذه العبارات الرسولية والمقتبسة من أقوال موسى وإشعياء النبيين الآتي :

أولاً : يتساءل الرسول بولس : « ألع إسرائيل لم يسمع ؟ » ، وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم انه يقصد هل سمع إسرائيل ولم يفهم ؟ إن كان الأمم الوثنيون سمعوا وادركوا الإيمان فكم بالحري كان يليق باليهود الذين [أعطاهم الله منذ القدم كل العلامات التي تستهدف نحو إزالة الغشاوة عن عيونهم ^(٢٩٦)] .

ثانياً : إقتبس الرسول العبارة الموسوية (تث ٣٢ : ٢١) : « هم أغاروني بما ليس إلهاً ، أغاظوني بأباطيلهم ، فأنا أغيرهم بما ليس شعباً ، بأمة غيبة أغيظهم » ... وكأن الله قبل الأمم الوثنية كشعب له خلال الإيمان ليثير أيضاً مشاعر

اليهود لعلهم يرجعون عن جحودهم ويتوبون إلى الله ، وهكذا لم يغلق الرب الباب في وجه أحد .

ثالثاً : يرى القديس يوحنا الذهبي الفم في العبارة « طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم » إشارة إلى العهد القديم بأكمله حيث بسط الرب يده خلال نداء الأنبياء المستمر ، وإعلانه حبه لهم رغم عنادهم ومقاومتهم . أنه أب ييسط يده نحو شعبه كما نحو طفله الصغير الذي يرفض أحضان أبيه المتسعة له بالحب . ويرى القديس يوستين في هذا القول النبوي (إش ٦٥ : ٢) إشارة إلى الصليب حيث بسط الرب يده عند موته ليحتضن الكل (٢٩٧) .

+ + +



إن كان الرسول بولس كيهودى حقيقى بروح الحب فتد حجج اليهود لا ليحط من إمتيازاتهم فى العهد القديم إنما ليرفعهم فوق روح التعصب وضيق الأفق فيتمتعوا مع سائر الأمم ببر المسيح ، بل ويشعروا بالتزامهم بالكراسة به أكثر من غيرهم ، الآن كرسول للأمم بذات روح الحب يحذر أيضاً الأمم المنتصرين لئلا يفقدوا بر المسيح خلال كبريائهم أو إستخفافهم بإخوتهم اليهود ، موضحاً خطة الله الفائقة نحو الكل .

- | | |
|-----------|--------------------------|
| ١ - ١٠ . | ١ . الله لا يرفض شعبه . |
| ١١ - ١٦ . | ٢ . قبولهم خلال توبتهم . |
| ١٧ - ٢٤ . | ٣ . الأمم زيتونة برية . |
| ٢٥ - ٣٢ . | ٤ . إنتظار توبة اليهود . |
| ٣٣ - ٣٦ . | ٥ . خطة الله الفائقة . |

+ + +

١ . الله لا يرفض شعبه

مرة أخرى أود أن أؤكد أن حديث الرسول هنا كما فى الأصحاحات السابقة خاص بالشعوب ككل لا بالأفراد . هذا من جانب ومن جانب آخر فإن كانت الأصحاحات السابقة (٤ - ١٠) موجهة لشعب اليهودى كى لا يستكبر بسبب

إنتسابه الجسدى لإبراهيم واستلامه الناموس الموسى واختياره كشعب الله ، فانه فى هذه الأصحاح يتحدث مع الأمم فيحذره من إساءة فهم الحديث السابق لئلا يستكبروا ويستخفوا باليهود معلناً انهم فى أواخر الدهور لا بد أن يقبلوا السيد المسيح ويتراجعوا عن الجحود الذى يمارسونه الآن . بمعنى آخر حين يحدث اليهود يوتخهم ليفتحوا قلوبهم بالحب للأمم ، وحين يحدث الأمم يوتخهم ليفتحوا قلوبهم لليهود الراجعين بالإيمان لله ، يود أن يرى البشرية كلها تسند بعضها البعض بروح الحب والإتضاع لئلا يهلك أحد بسبب التشاىخ والعجرفة .

فى هذا الأصحاح يعطى الرسول رجاء لليهود ليتخلوا عن جحودهم للمسيح وتعصبتهم البغيض ، كما يقدم إتضاعاً للأمم الذين دخلوا إلى الإيمان بالتطعيم فى الشجرة الأصلية .

بدأ الرسول حديثه بسؤال مع إجابة سريعة قاطعة يليها شرح تفصيلي :
« فأقول : أعل الله رفض شعبه ؟ حاشا .

لأنى أنا أيضاً إسرائيلى من نسل إبراهيم من سبط بنيامين .
لم يرفض الله شعبه الذى سبق فعرفه . أم لستم تعلمون ماذا يقول الكتاب فى إيليا ؟ كيف يتوسل إلى الله ضد إسرائيل قائلاً : يارب قتلوا أنبياءك ، وهدموا مذابحك ، وبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ؟ لكن ماذا يقول له الوحي ؟ أبقيت لنفسى سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل . فكذلك فى الزمان الحاضر أيضاً قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة » ١ - ٥ .

خشى الرسول لئلا يُساء فهم إقتباسه من إشعياء النبى : « أما من جهة إسرائيل ، فيقول : طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم » رو ١٠ : ٢١ ، إش ٦٥ : ٢ ، فيحسبون انه يغلق الباب على إسرائيل مزدرياً به ... لذلك أسرع بهذا السؤال : أعل الله رفض شعبه ؟ وجاء بإجابة حاسمة : حاشا !

جاءت الإجابة بعد ذلك بدقة بالغة وبدلائل ، اذ يلاحظ فيها الآتى :

أولاً : كما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم (٢٩٨) إن الرسول عند إجابته لم يقل « شعبه » فحسب بل قال : « شعبه الذى سبق فعرفه » ع ٢ ... فإن الذين

قبلوا الإيمان من اليهود هم قليلون لكنهم « معروفون » لدى الله ، هذا هو شعبه !
كأن وعد الله قائم وقد تحقق حتى في اليهود وإن الذين تمتعوا به قليلين . الله لا يشغله
فخامة العدد لكنه يطلب أبناء أمناء وإن كانوا قلة .

شعب الله معروف لديه ، يعرف عددهم ، ويناديهم بأسمائهم ، وإن كانوا قلة مخفية ،
كما في أيام إيليا حيث انحرف الشعب إلى العبادة الوثنية وقتلوا الأنبياء وهدموا مذبح
الله ، لكن الشعب الحقيقي كان محصياً لديه (٧٠٠٠ رجل) لم يحن ركبة لبعل بل
هو أمين في عبادته ، لم يعرفه حتى إيليا نفسه الذي ظن ان الشعب كله قد هلك
فطلب لنفسه الموت ، قائلاً : « بقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها » امل
١٩ : ٤ ، ١٤ .

في كل جيل يوجد « شعبه الذي سبق فعرفه » ، السبعة آلاف رجل الذين لا
يحنون ركبهم لبعل ، المعروفون لله بأسمائهم . أما كونهم ٧٠٠٠ ، فلأن رقم ٧ يشير
إلى الكمال ، لأن الانسان اكمل خليقة الله على الأرض يحمل نفساً على صورة
الثالث وجسداً من هذا العالم (أربعة أركان العالم) ، فيرمز للإنسان بكليته
(٣ + ٤) برقم ٧ . وأما رقم ١٠٠٠ فيشير للحياة السماوية أو الروحية لأن يوماً
عند الرب كإلف (مز ٨٤ : ١٠) . كأن رقم ٧٠٠٠ يشير إلى جماعة الكاملين
روحياً ، الذين تقدست نفوسهم وأجسادهم بالروح القدس ليعيشوا بفكر روحي
وعلى مستوى سماوي . أما كونهم رجالاً فلا يعنى تمايز الجنس وإنما يعنى انهم يحملون
الحياة الناضجة البعيدة عن هو الأطفال وعجزهم وعن تدليل النساء وترفهم ... لذا
جاءت الوصية الرسولية : « كونوا رجالاً » أكو ١٦ : ١٣ .

ثانياً : يقدم الرسول بولس ثلاثة أدلة على عدم رفض الله لشعبه :

١ . يقدم نفسه دليلاً على ذلك ، اذ يقول : « لأنى أيضاً إسرائيلي من نسل إبراهيم
من سبط بنيامين » ع ١ . لعل قوله « أيضاً » يعنى به غيره من اليهود المؤمنين
بالسيد المسيح سواء في كنيسة رومية أو غيرها ، فقد أوضح ان الله لا يزال يحقق
مواعيده لشعبه ، وأنه هو إسرائيلي حقاً من سبط بنيامين من نسل إبراهيم وليس
دخيلاً ، وقد نال الوعد بل وصار كارزاً به . وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم :

[أنا المعلم والكارز ... لو أن الله رفضهم لما اختير هو نفسه الذى من هذا الجنس
ليقوم بالكرازة والإهتمام بشئون العالم وكل الأسرار والتدبير الشامل (٢٩٩)] .

ب . أما الدليل الثانى فهو ما ورد فى سفر ملوك الأول (ص ١٩) عن إيليا النبى
الذى ظن فى نفسه أنه يعد بعد هناك شعب مختار لله إذ يقول : « يارب قتلوا
أنبياءك زهدموا مذابحك ، وبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى » ع ٣ . لقد
اختفت الكنيسة حتى عن عيني إيليا النبى الغيور لكنها لن تختفى عن عيني الله .
وكان هذانبوة ورمزاً للشعب اليهودى الذى قاوم السيد المسيح وقتلوا تلاميذه وأرادوا
تخطيط مذابحه الحية ، وظهر الكل كهالكين ، لكن من بينهم كان التلاميذ الذين من
أصل يهودى وقد قبلوا الرب وشهدوا له ، وأيضا وجد كثيرون آمنوا وإن كانوا إن
قورنوا بالجاحدين يُحسبون قلة .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [إن كنتم لا تعرفونهم فهذا ليس بالأمر
العجيب ، فإن النبى الذى كان رجلاً عظيماً وصالحاً لم يعرفهم ، لكن الله دبّر كل
الأمور لنفسه حتى عندما لم يعرف النبى ... الآن يقرأ لهم الرسول العبارة : « قتلوا
أنبياءك وهدموا مذابحك » ليظهر لهم فى ألم أن ما فعلوه بالمسيح والرسول ليس بالأمر
الغريب ، إذ إعتادوا على ممارسة ذلك ... لاحظ كيف يوجه إليهم إتهاماً قوياً لا
خلال بولس ولا بطرس ولا يعقوب ولا يوحنا بل خلال من له أعظم تقدير عندهم ،
رئيس الأنبياء ، وصديق الله ، الغيور عليهم جداً (امل ١٩ : ١٤) حتى سلم
نفسه للجوع من أجلهم ، والذى لا يزال حياً حتى اليوم ... بهذا المعنى أيضاً يقول
الرسول بعبارة أخرى حين كتب إلى أهل تسالونيكي : « لأنكم تألمتم أنتم أيضاً من
أهل عشيرتكم تلك الألام عينها كما هم أيضاً من اليهود ، الذين قتلوا الرب
(يسوع) وأنبياءهم واضطهدونا نحن ، وهم غير مرضيين لله ، وأضداد لجميع
الناس » اتس ٢ : ١٤ ، ١٥ (٣٠٠)] .

ح . أما الدليل الثالث على تنمة وعود الله لشعبه الذى سبق فعرفه ، فقد أورده
فى الأصحاح السابق إذ أعلن كلمات الرب على فم موسى النبى : « أنا أغيركم بما
ليس أمة ، بأمة غبية أغيظكم » ١٠ : ١٩ ، الأمر الذى يشرحه بإسهاب فى هذا

الأصحاح (ع ١١ — ٣٦) ، موضحاً أن ما حدث من جحور بالنسبة لأغلبية اليهود إنما ليفتح باب مراحم الله أمام الأمم حتى متى يتم ملؤ الأمم — في آخر الأزمنة — يرجع اليهود عن كبريائهم وجحودهم ليقبلوا الإيمان بالسيد المسيح .

ثالثاً : إذ أوضح الرسول بالدليل القاطع ، خلال نفسه كمثال وخلال شهادة الأنبياء خاصة موسى وإيليا أن وعد الله قائم ، وإن كان الذين تحقق فيهم الوعد قلة ، فإن سر جحودهم هو « قساوة القلب » أو بمعنى آخر فساد العين الداخلية (القلب) وعجزها عن معاينة الله والتعرف على أعماله الخلاصية . هذا ما أعلنه الرسول بقوله :

« فكذلك في الزمان الحاضر أيضاً قد حصلت بقية حسب إختيار النعمة . فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال ، وإلا فليست النعمة بعد نعمة ، وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة ، وإلا فالعمل لا يكون بعد عملاً .

فماذا ؟ ما يطلبه إسرائيل ذلك لم ينله ، ولكن المختارون نالوه ، وأما الباقون فتقسوا .

كما هو مكتوب أعطاهم الله روح سبات وعيوناً حتى لا يبصروا ، وأذناً حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم .

وداود يقول : لتصر مائدتهم فخاً وقنصاً وعثرة ومجازاة لهم .

لتظلم أعينهم كي لا يبصروا ، ولتحن ظهورهم في كل حين » ع ١١ — ٥ .

هكذا يقدم لنا الرسول صورة واقعية لحال إسرائيل إذ رفض غالبيتهم الإيمان وقبل القلة أن يتمتعوا بالوعد كشعب الله الحقيقي ، مقدماً تفسيراً لسر جحود الغالبية ، مدعماً ذلك لشهادة العهد القديم نفسه عنهم .

يلاحظ في هذه العبارات الرسولية الآتى :

١ . ان البقية التي تتمتع بالخلاص إنما تتمتع به خلال نعمة الله المجانية وليس خلال :

حرفية أعمال الناموس ولا أعمال البرّ الذاتى ... لأن هذه هى الأعمال التى تضاد النعمة : أعمال الحرف القاتل التى بلاروح والأعمال النابعة عن الذات ، أما الأعمال الروحية التى هى من صنيع الروح القدس فىنا فليست مضادة للنعمة بل تتجاوب معها .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [هنا مرة أخرى يثبت الرسول النعمة ويظهر قوتها ، هذه التى بها يخلص الإنسان على الدوام ويدونها يهلك . لنقدم الت شكرات اننا نتسب للذين يخلصون وليس للذين يحسبون انهم قادرون على الخلاص بأعمالهم الذاتية بل بعطية الله . ونحن بتقديمنا للت شكرات إنما نقدمها لا بالكلام بل بالعمل والتصرفات . لأن هذه الت شكرات أصيلة ، إذ نمارس الأمور التى يتمجد الله بها بالتأكد ونهرب من الأعمال التى تحررنا منها^(٣٠١)] .

هكذا يحدثنا القديس يوحنا الذهبى الفم بإفاضة عن إرتباط النعمة بالعمل الروحى الذى يضاد أعمال البرّ الذاتى وأعمال الحرف ... فإن الشكر الذى نقدمه لله على عطية النعمة المجانية إنما يُقدم خلال الأعمال الروحية المقدسة بالرب والهروب من الشر الذى تحررنا منه . وكأن العمل الذى نمارسه سواء إيجابياً بممارسة الحياة الفاضلة بالروح القدس أو سلبياً برفض الشرور التى حررتنا منها النعمة الإلهية ، هذا العمل لا يضاد النعمة الإلهية بل يمجّد الله فىنا .

إن كانت النعمة الإلهية تجعل من الإنسان الترابى الأرضى كائناً سماوياً ، فالمرتل يعلن « السموات تحدث بـمجّد الله » مز ١٩ : ١ ، لا بالكلام بل بالحياة العاملة المجيدة . هذا هو ما فعلته النعمة فى نفس بولس الرسول التى صارت متألّكة بالمجد الإلهى خلال الحياة العاملة بالرب ، تجتذب الكثيرين إليها لمجد الله . وكما يقول الذهبى الفم :

[كان لبولس نفساً لا تقل عن السماء ، قادرة أن تجتذب إليها كل البشر .

نفوسنا لا تعادل الأرض ، وإنما كانت نفسه تعادل السموات ! ...

سمو نفسه يتخطى السموات كلها لتتدخل فى حديث مع المسيح نفسه !
جمالها فائق يعلن عنه الله نفسه !

الملائكة إندهشت عندما خلقت الكواكب (أى ٣٨ : ٧) ، أما بالنسبة له فالله يعجب به ، إذ يقول : « لأن هذا لى إناء مختار » أع ٩ : ١٥ .

السماء تظللها السحب عدة مرات ، أما نفس بولس فلم تظللها تجربة قط ! وحتى وسط العواصف كانت نفسه أكثر صفاءً من السماء وقت الظهيرة ، تضىء على الدوام قبل أن تلحقها غيوم . فإن « الشمس » الذى يشرق فى بولس يبعث بأشعته التى تفوق غيم التجارب لتضىء أكثر بهاءً . لذلك يقول : « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » ٢ كو ١٢ : ٩ .

إذن لنجاهد ممثلين به وعندئذ تصير هذه السماء كلا شىء ، بل إن أردنا حتى الشمس والقمر أيضاً ، فإن هذه قد خلقت لأجلنا ، ولسنا نحن لأجلها (٣٠٢) [.
ليتنا نقبل عمل النعمة المجانية لتصير نفوسنا سماءً للرب ، هذه التى تعمل فى النفوس المتجاوبة معها بالحب العملى والجهد الروحى القانونى ، فى غير إعتداد بالذات ولا حرفة قاتلة .

ب . إذ أبرز الرسول قوة النعمة الفائقة أظهر سرّ جحود غالبية شعب إسرائيل ، ألا وهو طلبهم البر الذائق فلم ينالوا النعمة التى تغىّر القلب لتفتح بصيرته وتترك عمل الله الخلاصى .

يقول الرسول : « فماذا ؟ ما يطلبه إسرائيل ذلك لم ينله » ع ٧ ، لأنه طلب أن يتبرر بأعمال الناموس الحرفية وسعى بيه الذاتى فحرم من عطية البر .

« ولكن المختارون نالوه » ع ٧ ... هذه القلة التى قبلت الإيمان بالمسيح ونالت النعمة الإلالية فتمتعت بالخلاص كفئة مختارة . ولئلا تعترض الأكثرية ، قائلة : ماذبنا نحن مادمننا غير مختارين ؟ لذلك كشف الرسول عن دورهم فى الجحود : « وأما الباقون فتنفسوا » ع ٧ . إن كانت النعمة هى عطية الله المجانية فإن قساوة القلب هى من عندياتنا .

لقد قاوموا الحق ، ولم يتجاوبوا من نعمة الله المجانية ، لذلك تركوا لفساد قلبهم القاسى فأنجبت بصيرتهم الداخلية عن معانية الله وأذانهم الداخلية عن الإستماع

لصوته ... الأمر الذين سبق فأنبأ عنه الأنبياء ، وقد خصه الرسول بقوله : « كما هو مكتوب : أعطاهم الله روح سبات ، وعيوناً حتى لا يبصروا ، وأذاناً حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم » ع ٨ ، اذ جاء في العهد القديم :

إسمعوا سمعاً ولا تفهموا ، وإبصروا إبصاراً ولا تعرفوا » إش ٦ : ٩ ، « ولكن لم يعطكم الرب قلباً لتفهموا ، وأعيناً لتبصروا ، وأذاناً لتسمعوا ، إلى هذا اليوم » تث ٢٩ : ٤ .

« الآن الرب قد سكب عليكم روح سبات وأغمض عيونكم » إش ٢٩ : ١٠ .

هكذا يوضح لهم الرسول انهم اذ رفضوا عمله فيهم صاروا إلى حال ردىء ، إذ صارت نفوسهم لا ترى الحق ولا تسمع له ، بل صارت نفوساً نائمة وخاملة تحمل روح السبات « الذى يعنى عدم التغيير ، أو الإستكانة لما هى عليه من شر .

أما ثمر هذا فقد أعلنه داود النبی هكذا :

« لتصر مائدتهم فخاً وقنصاً وعثرة ومجازاة لهم » ع ٩ (مز ٦٩ : ٢٢) ... بمعنى انهم وهم مطمئنون ومستكينون للشر تحل بهم النكبات وسط ولائمهم ، فيتحول فرحهم إلى غم ، وسلامهم إلى ضيق . ولعل «مائدتهم» هنا تشير إلى رموز العهد القديم ونبواته ، فانها مائدة مشبعة ان قدمت بطريقة روحية ، إذ تقدم لنا « شخص السيد المسيح نفسه » ، أما وقد تمسكت هذه الأغلبية بالحرف القاتل فصار ما هو للبنيان علة هدم لهم بل وفخاً وعثرة ومجازاة لهم ... يشهد ضدهم . ربما تشير « مائدتهم » بالأكثر إلى ذبيحة الفصح التى غايتها الشركة مع الله خلال المصالحة بالدم الكريم ، فقد قام يهوذا — ممثلاً لهؤلاء الجاحدين — بدور الخيانة العامة عوض قبول المصالحة .

« لتظلم عيونهم » ، إذ أبقوا على برقع الحرف ورفضوا إبطاله ، كقول الرسول : « لكن حتى اليوم حين يُقرأ موسى البرقع موضوع على قلوبهم ، ولكن عندما يرجع إلى الرب يُرفع البرقع ، وأما الرب فهو الروح ، وحيث روح الرب هناك حرية . ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة يتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح » ٢ كو ٣ : ١٥ — ١٨ .

« لتحنن ظهورهم » علامة الضعف والعجز الروحي والعبودية ، فإن الخطية ثقيلة ومرهقة للنفس ، والناموس يعجز عن أن يرفعها خارج النعمة .

ح . يحدثنا القديس أغسطينوس عن سرّ جحود إسرائيل ، قائلاً :
[لم يستطيعوا أن يؤمنوا لأن إشعياء النبي تنبأ عن ذلك ، وقد تنبأ لأن الله سبق
فعرف ما سيحدث .

إن سألت لماذا لم يستطيعوا ؟ أجيب في الحال : لأنهم لم يريدوا ، لأنه بالتأكيد
كان الله يرى مسبقاً إرادتهم التي فسدت ، وقد سبق فأخبر بها النبي لأنه ليس شيء
مخفياً عن الله (٣٠٣)] .

٢ . قبولهم خلال توبتهم

سبق فتحدث الرسول عن رجوع اليهود عن جحودهم متى قبلوا ذاك الذى
صلبوه وأمنوا به . يقول القديس أمبروسيوس (٣٠٤) إن شمشون اليهودى الذى قتل
الأسد كان رمزاً لليهود الذين صلبوا السيد المسيح الأسد الخارج من سبط يهوذا ،
وقد عاد شمشون ليجد في أحشاء هذا الأسد مخزناً لعسل الحكمة (قص ١٤ : ٨) ،
وكأنه يمثل اليهود الراجعين إلى السيد المسيح بالتوبة ليجدوا فيه كل لذة الحكمة
وشبعها .

يرى القديس بولس ان الله سمح بقساوة قلب اليهود لينفتح الباب للأمم ، فإن عاد
هؤلاء بالتوبة والإيمان إلى الله كم بالأكثر يكون حال الكل ؟ ! إذ يقول :
« فأقول : ألعلمهم عثروا لكى يسقطوا ؟ حاشا . بل بزلتهم صار الخلاص للأمم
لإغارتهم .

فإن كانت زلتهم غنى للعالم ، ونقصانهم غنى للأمم ، لكم بالحرى ملؤهم ؟ !
فإني أقول لكم أيها الأمم انى أنا رسول للأمم أجد خدمتى . لعل أغير أنساباً
وأخلص أناساً منهم ؟ ! لأنه إن كان رفضهم هو مصلحة العالم فماذا يكون
إفتباهم إلا حياة من الموت ؟ !

وإن كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين ! وإن كان الأصل مقدساً
فكذلك الأغصان ! ع ١١ - ١٦ .

وبلاحظ في هذه العبارات الرسولية الآتى :

أولاً : لاحظ القديس يوحنا الذهبي الفم^(٣٠٥) ان الرسول بولس إذ كان في الأصحاحات السابقة يوجه لليهود إتهامات متتالية لذا كان يستعين بشهادات الأنبياء مراراً وتكراراً ، مثل إشعياء وإيليا وموسى وهوشع ، أما الآن إذ يستخدم أسلوب الملاحظة معهم فلا يجد حاجة للإستعانة بشهادات نبوية .

ثانياً : الله عجيب في حبه وحكمته ، فهو يستخدم عثرة اليهود لخلاص الأمم ، ويستخدم خلاص الأمم لإغارة اليهود ليرجعوا إليه بالتوبة ... إنه صانع خيرات ، يحول الشر كما الخير لبنیان البشرية فيه .

ثالثاً : يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم^(٣٠٦) على العبارة : « فأقول : أعلهم عثروا لكي يسقطوا ؟ حشا ! بل بزلتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم » ع ١١ ، قائلاً بأن الرسول أراد أن ينزع عنهم روح اليأس ويبيّتهم لقبول النعمة ، مظهراً ان عثرتهم كانت بسماع إلهي لخلاص الأمم . كان يمكن للرسول أن يقول بأنهم تعثروا أو سقطوا عن الإيمان بسبب غباوتهم بينما تحقق خلاص الأمم بقبول الأمم للإيمان ، لكن الرسول أراد أن يرفع من نفسيّتهم حتى يقوموا من العثرة التي سقطوا فيها ، معلناً أنها سبب خلاص بالأمم .

هذه ليست لغة الرسول وحده وإنما جاءت الأمثال في الأناجيل تقدم ذات المعنى ، ففي مثل العرس إذ رفض المدعوون الحضور دُعي الذين في الشوارع والطرقات (مت ٢٢ : ٩) ، وفي مثل الكرم إذ قتل الكرامون الوارث جاء صاحب الكرم بكرامين آخرين (مت ٢١ : ٣٨) ... وإذ قاوم اليهود بولس مناقضين ومجدفين جاهر قائلاً لهم : « كان يجب أن تُكلموا أنتم أولاً بكلمة الله ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم انكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم » أع ١٣ : ٤٦ . من هذا يتضح أنه كان يجب أن تبدأ الكرازة بهم ثم تتحول إلى الأمم ، لكنهم إذ رفضوا الإيمان تغيّر الأمر ليصير الأمم أولين ، جاءهم يسوع فلم يقبلوه ولاهتموا بأعماله وآياته بل صلبوه فاجتذب الأمم إليه وصار الآخرون أولين ، حتى إذ قبلوا الإيمان وبنالوا المواعيد يغير اليهود .

رابعاً : يعلق أيضا القديس يوحنا الذهبي الفم على القول الرسولي : « فإن كانت زلتهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للأمم فكم بالحرى ملؤهم ؟ ! » ع ١٢ ، قائلاً : [هنا يتكلم ليعظمهم لأنه إن كان بتعثرتهم كثيرون تمتعوا بالخلاص ، وبرفضهم كثيرون صاروا مدعوين ، ماذا يكون الحال برجوعهم ؟ ! (٣٠٧)] .

ويلاحظ في هذه العبارة الرسولية إذ يكتب برقة ليرفع من نفسية اليهود بعد أن فند حججهم معلناً جحودهم تحت إسمين آخرين « زلتهم » ، « نقصانهم » فكلمة « زلة » تحمل التعثر الذى يمكن أن يصحبه قيام أو إشتياق للقيام ، والنقصان ربما يعنى أن البعض آمن والآخر لم يؤمن بعد لهذا فهم في حالة « نقص » حتى يكمل الكل أو الغالبية بقبولهم للإيمان . هذا من جانب ومن جانب آخر إذ يوجه هذا الاصحاح للأمم يهيم طمأنينة ان رفض اليهود قد فتح لهم الطريق وعودتهم للإيمان لايغنى غلقه بل بالحرى إتساعه بفيض من البركات السماوية .

أما قوله « ملؤهم » ، وليس « رجوعهم » ، « تغيرهم » فكما يقول القديس يوحنا الفم إنما يشير إلى رجوع الغالبية العظمى منهم في أواخر الأيام لينضموا للذين سبقوا فقبلوه

خامساً : يقدم لنا الرسول سببين رئيسيين في خدمته للأمم :
١ - التزامه بالعمل كرسول مفرز لخدمة الأمم ، يشعر بثقل المسئولية الملقاة على كتفيه من قبل الله نفسه الذى أفرز من بطن أمه وكرسه لهذا العمل ، لذا يقول : « فإنى أقول لكم أيها الأمم بما ألى رسول للأمم أمجد خدمتى » ع ١٣ . هذا الشعور كان لايفارقه مشتاقاً ان يحتضن العالم الأسمى كله بين ذراعيه ليحملهم بالحب إلى الصليب ، ويتمتعوا بعمل الله الخلاصى .

ب - أما السبب الثانى ، فهو يرى في خدمته للأمم ماثير غيرة اليهود ، مشتاقاً أن يقبلوا النعمة التى قدمت لهم ورفضوها : « لعل أغير (أجعلهم في غيرة) أنسبائى وأخلص أناساً منهم » ع ١٤ وقد جاءت الكلمة اليونانية التى ترجمت « أنسبائى » في حرفيتها « جسدى » ، إذ يدعو اليهود جسده !

سادساً : أراد أن يبرز قوة عودة اليهود الجاحدين إلى الإيمان بالسيد المسيح ، فحسب هذا العمل أشبه بالقيامة من الأموات ، إذ يقول : « لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة العالم فماذا يكون إقبالهم إلا حياة من الأموات ؟ » ع ١٥ كأن الله سيتمجد فيهم وتبتهج الكنيسة في العالم كله برجوع الجاحدين وتهلل الكل ليبراهم كمن هم قيام من الأموات .

سابعاً : لا يتجاهل الرسول بولس الباكورة الأولى ، أى رجال العهد القديم من اليهود كإبراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء ، هؤلاء الذين يشبههم الرسول بالباكورة المقدسة أو الأصل المقدس ، إذ يقول : « وإن كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين ، وإن كان الأصل مقدساً فكذلك الأغصان » ع ١٦ كأنهم سيرجعون في أواخر الدهور ليحملوا ذات التقديس الذى كان لآبائهم .

إن كان القديس يوحنا الذهبى الفم قد أخذ هنا بالتفسير الحرفى للعبارة ، قائلاً بأن آباء وأنبياء العهد القديم يمثلون الباكورة المقدسة التى لا بد أن يتقدس خلالها العجين كله ، فإن القديس إيريناؤس^(٣٠٨) يرى فى الباكورة إشارة إلى كلمة الله الذى إتخذ لنفسه جسداً ، أى حملنا نحن العجين فيه لتقديسنا . ويقدم لنا القديس غريغوريوس أسقف نيصص نفس المعنى إذ يقول :

[إذ صرت بكرة أقدم فى كل البشرية لإلهها وأبيها .
جعل البكر الله الحقيقى إلهاً للبشرية ، والآب الصالح أباً لها ، وصارت الطوباوية مؤكدة للطبع البشرى ككل .

بواسطة البكر صار الله الحقيقى الآب أباً وإلهاً لكل البشرية ، لأنه : « إن كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين »
حيث يكون المسيح البكر يكون أيضاً من هم للمسيح^(٣٠٩) .

[يقدس العجين كله بواسطة بكره فى نفسه^(٣١٠) .
ذاك الذى صار لأجلنا شريكاً لنا فى الدم واللحم يشفينا ويردنا إلى الموضع الذى شردنا منه وصرنا مجرد لحم ودم بالخطية (عب ٢ : ١٤)^(٣١١)] .

لنقبل مسيحننا الباكورة القادر أن يقدس عجین حياتنا كلها ، أى كمال بشریتنا
فتتحول نفوسنا وأجسادنا وأفكارنا وقلوبنا إلى مقدس للرب ، ويعلن ملكوت الله فينا
لنقبله أيضا بكونه الأصل الحامل للأغصان ، مقدساً إياها .

بمعنى آخر ، السيد المسيح هو سرّ تقدیسنا ، نحمله فينا كباكورة ، ويحملنا فيه
بكونه الأصل حامل الأغصان . يختفى فينا لتقدیسنا ، ونُحمل به لإثمارنا ، إذ
يقول : « إثبتوا فيّ وأنا فيكم ، كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي أن يأتي بثمر من ذاته
إن لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيضا إن لم تثبتوا فيّ ، أنا الكرمة وأنتم الأغصان ،
الذى يثبت فيّ وأنا فيه هذا هذا يأتي بثمر كثير ، لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا
شيئاً » يو ١٥ : ٤ ، ٥ .

٣ - الأمم زيتونة برية

يقدم الرسول بولس للأمم المنتصرين تحذيراً لئلا بعد ما طعموا في شجرة الزيتون
الأصيلة وحسبوا أبناء إبراهيم بسبب قبولهم الإيمان يسقطون في الكبرياء فينتزعون عن
هذه العطية . إذ يقول :^١

« فإن كان قد قُطع بعض الأغصان وأنت زيتونة برية طُعمت فيها فصرت
شريكاً في أصل الزيتون ودمها ، فلا تفتخر على الأغصان .

وإن أفتخرت فأنت لست تحمل الأصل بل الأصل إياك يحمل » ع
١٧، ١٨ .

يلاحظ في هذا التحذير الآتي :

أولاً : يقول القديس يوحنا الذهبي الفم ان الرسول قال : « قُطع بعض
الأغصان » ، مع أن الغالبية قد قطعت عن الأصل ، وحرّموا من إنتسابهم لإبراهيم
برفضهم الإيمان ، وذلك لأنه يكتب بلطف لتعزيتهم حتى لا يسقطوا في اليأس .

يشبه الرسول كنيسة العهد القديم بالزيتونة ذات الأصل المقدس ولها دسمها
الروحي ، وإن كانت بعض الأغصان جاءت غير مقدسة تستحق القطع ، بينما يشبه

الأميين بزيتونة بركة ليس فيها ثمر ولادسم ، بالإيمان تمتعت بعض اغصانها إن تُطعم
في الأصل المقدس ، فحسب الأمم أبناء إبراهيم .

ثانياً : يسأل الرسول الأمم المنتصرين : « لا تفخر على الأغصان لا
تستكبر بل خف » ع ١٨ ، ٢٠ .

بينما يوبخ اليهود على عدم إيمانهم : « حسناً ، من أجل عدم الإيمان قطعت »
ع ٢٠ ، يتحدث بحزم مع الأمم أن يثبتوا في الإيمان الذي قبلوه خلال « مخافة
الله » . يطالبهم ألا يستكبروا لئلا تُنتزع النعمة الإلهية عنهم بل يخافون ، لا الخوف
النابع عن عدم الإيمان الذي تطرده المحبة خارجاً (١ يو ٤ : ١٨) ، وإنما مخافة الله
المقدسة ، إذ قيل : « أجعل مخافتى في قلوبهم فلا يحيدون عني » أر ٣٢ : ٤٠ ،
« تموا خلاصكم بخوف ورعدة ، لأن الله هو العامل فيكم » أف ٢ : ١٢ ، ١٣ .

يقول القديس إيريناؤس : [يلزمنا ألا نستكبر ولا نقسو على رجال العهد القديم
بل نخف لئلا بعدما صرنا في معرفة المسيح إذ نرتكب ما يغضب الله لاننا لغفران
الخطايا بل نحرم من ملكوته (رو ٣ : ٢٣) (٣١٢)] .

إن كان عدو الخير غلب الكثيرين من اليهود برفض الإيمان تماماً ، فانه لايلقى
بسلاحه أمام الذين يؤمنون إذ يحاول تحطيمهم بالكبرياء نوالنا نعمة الله يسندنا
في الجهاد لكنه يثير العدو علينا أكثر فأكثر ، لذا يليق بنا ان نحذر مجاهدين بالنعمة
عينها التي نناها .

بهذا الروح كتب القديس جيروم إلى أو ستوخيوم : « أودك أن تخرجي من نذر
البتولية لا بالكبرياء بل بالخافة . إنك تسيرين حاملة ذهباً ، تحفظي من طريق اللص
(الكبرياء) (٣١٣)] .

لقد وهبنا الله نعمته الغنية لتعمل فينا إن تجاوزنا معها فنحمل الثمار الروحية في
حياتنا . وكما يقول القديس جيروم : [كرامنا يطلب الثمار . فإن كان بالحق قد قطع
الأغصان الأولى لأنهار كانت عقيمة فسيعاملنا بذات الحكم إن كنا بلا ثمر . علاوة
على هذا فإن الثمر لا يخص الجسد وحده بل والنفس أيضاً ، فإنه بالتأكيد إذ يخدم
الجسد الرب تخدمه النفس أيضاً مع الجسد (٣١٤)] .

ثالثاً : ان كان الله يطلب الثمر فإن الرسول يؤكد أن هذا الثمر يتحقق بالشبوت في لطف الله (ع ٢٢) ، فإن كنا بالإيمان تمتعنا بنعمته الغنية فبشبتنا في هذا الإيمان المعلن خلال تجاوبنا مع نعمة الله بالحياة العاملة ندخل بالأكثر في دائرة لطف الله . بمعنى آخر الله هو الأول في طريق حياتنا ، وهو الذى يكمل الطريق معنا ، وهو النهاية أو الغاية ، لكن دون سلبية من جانبنا إذ يقول : « وأما اللطف فلك إن ثبت في اللطف وإلا فأنت أيضا ستقع » ع ٢٢ .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [لم يقل هنا : « هوذا أعمالك الحسنة ، تأمل أتعابك » ، إنما يقول : « هوذا لطف الله » نحو الانسان ، مظهراً ان ماتمتع به ينبع بكليته عن النعمة التى من فوق فترتعب خف ، لأن البركات لا تقطن فيك بثبات إن صرت متراخياً ، وأيضا الشرور لا تثبت فيك إن تغيرت ، لهذا يقول : « إن لم تستمر في الإيمان فستقطع »] .

في الوقت الذى فيه يحذر المؤمن لكى يثبتوا في الإيمان بتمسكهم بنعمة الله وتجاوبهم معها عملياً حتى لا يُقطعوا ، يطلب من الجاحدين ألا يثبتوا في الجحود بل يتغيروا بقبولهم الإيمان ، إذ يقول : « وهم إن لم يثبتوا في عدم الإيمان سيظعمون ، لأن الله قادر أن يطعمهم أيضا » ع ٢٣ .

هنا أيضا يؤكد حرية الإرادة الانسانية، إذ يستطيع الانسان أن يثبت في الايمان أو يتركه ، وأن يقبل الجحود أو يرفضه ، ليس لأن الانسان قادر على ذلك بذاته وإنما لأن الله فاتح أحضانه باستمرار ليسند الكل حتى في الإرادة الصالحة (أف ٢ : ١٣) دون تجاهل لحرية الإنسانية . وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [ها أنت ترى عظم حرية إختيار الإنسان وعظمة فاعلية ذهنه ، فإنه ليس شيء ثابتاً لا الصلاح ولا الشر . ها أنت ترى كيف يرفع من نفسية الإنسان المحطم ويحط من الآخر الواثق في ذاته ، فلا تخور عند سماعك عن صرامة الله ولا تنتفخ عند سماعك عن لطفه (٣١٥)] .

رابعاً : ربما يستصعب الكثيرون عودة اليهود لقبول السيد المسيح الذى صلبوه وقاوموه حتى بعد صعوده ؛ هل يمكن لليهودى أن يقبل الإيمان المسيحى ويتخلى عن تعصبه ؟ !

يجيب الرسول أنه إن كان الإيمان عمل فائق للطبيعة ، إذ طعم أغصان الزيتون البرية في الأصل الدسم المثمر ، وحسب الأمم الذين ورثوا الرجاسات الوثنية أبناء إبراهيم روحياً ، فهل يصعب عليه أن يرد الأغصان الطبيعية إلى أصلها ؟ ! « لأنه إن كنت أنت قد قطعت من الزيتون البرية حسب الطبيعة وطعمت بخلاف الطبيعة في زيتونة جيدة ، فكم بالحرى يطعم هؤلاء الذين هم حسب الطبيعة في زيتونهم الخاصة ؟ ! » ع ٢٤ .

٤ - إنتظار توبة اليهود

يعتبر الرسول بولس نفسه أنه يقدم « سراً » يكشفه (ع ٢٥) ؛ يقصد بالسّر أمراً إلهياً بقى مخفياً ، هذا من جانب ومن جانب آخر فانه عمل يصعب على الإنسان قبوله بحكمته البشرية ، بنور هذا السّر هي :

- أ - ان جحود إسرائيل جزئى لا كلى إذ قبل بعض اليهود الإيمان بالسيد المسيح كالرسل وغيرهم (ع ٢٥) .
- ب - ان الله ينتظر ملء الأمم (ع ٢٥) .
- ج - ببلوغ ملء الأمم يعود إسرائيل فيقبل الإيمان بالمسيح ؛ هذا لا يعنى جميع الأفراد .

يلق القديس يوحنا الذهبى الفم على هذا الفصل بالعبارات التالية :

[يقصد بالسّر هنا (ع ٢٥) أمراً غير معروف وغير منطوق به ، ومدّ هش للغاية ولا يتوقعه أحد . فى موضع آخر يقول : « هوذا سرّ أقوله لكم ، لا نرقد كلنا ولكننا نتغير » ١ كو ١٥ : ٥١ .

ماهو السّر إذن ؟

« إن العمى قد حصل جزئياً لإسرائيل » هنا أيضا يلقي بصفحة على اليهود بينما يبدو كمن يحط من شأن الأمم ، إذ عنى الرسول تقريباً بأن عدم الإيمان لم يكن جامعاً وإنما كان جزئياً ولقد قدم إشعياء شاهداً ، هذا الذى صرخ ، قائلاً : « سيخرج من صهيون المنقذ ، ويرد الفجور عن يعقوب » (إش ٥٩: ٢٠) « هوذا هو العهد من قبلى لهم متى نزعتم خطاياهم »

(إش ٢٧: ٩؛ أرم ٣١: ٣١). يقول : متى نزلت خطاياهم وليس عندما يقدمون ذبائح ولا عندما يمارسون أعمال الناموس الأخرى . هذا الوعد لم يتحقق فيهم لأنهم لم ينالوا غفران الخطايا بالمعمودية ، لذلك فسيتهى هذا الوضع « من جهة الإنجيل هم أعداء من أجلكم » ع ٢٨ ، لأنه عندما دعيتم أنتم كانوا هم مسبيين ، ومع ذلك فإن الله لا يريد أن يقطع دعوتكم بل ينتظر حتي يؤمن كل الأمم وعندئذ يأتي هؤلاء للإيمان

لم يبلغ الرسول النهاية عند رفضهم إنما ستعلن لهم الرحمة ثانية (٣١٦) [.

٥ - خطة الله الفائقة

يختم الرسول بولس هذا الأصحاح بدكصولوجية يعلن فيها مجد الله من جهة أحكامه الفائقة الإدراك ومحبه الشديدة لكل البشرية . هذه الدكصولوجية تنبع عن قلب يتطلع إلى نعمة الله وصلاحه برجاء عجيب في خلاص العالم ، إذ يقول مترنماً :

« يالعمق غنى الله وحكمته وعلمه !
ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء !
لأن من عرف الرب ؟ ! أو من صار له مشيراً ؟ !
أو من سبق فأعطاه فيكافئ ؟ !

لأن منه وبه وله كل الأشياء ، له المجد إلى الأبد ؛ آمين » ع ٣٣ - ٣٦ .

هذه التسبحة يتהלل بها الرسول ، مدركاً ان خطة الله تفوق إدراك الخليقة ، ومحبه عجيبة إذ به تُخلق العالم ولأجله ، يتمجد في خليقته أبدياً !

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم معلقاً على هذه الدكصولوجية بأن الرسول وقد استعرض الأزمنة السابقة وتأمل تدبير الله القديم الذي به يقوم العالم الحاضر يدرك عناية الله فيصناب برهبة ، ويصرخ لكي يثق سامعوه أن ما قيل سيتحقق وفي رهبتة الشديدة أمام أعمال الله يقدم تشكرات وتمجيدات لله !

+ + +



- ١ - المؤمن والحياة اليومية . ١٢ .
- ٢ - المؤمن والوطن . ١٢ .
- ٣ - المؤمن والإخوة . ١٤ .
- ٤ - المؤمن والضعفاء . ١٥ .

الأصحاحات ١٢ - ١٥

الجانب العمل

عالج الرسول بولس في الأصحاحات السابقة الجوانب الإيمانية التي تمس خلاص الكل ، مبرزاً أهمية الإيمان الحثي العامل بالحجة على مستوى العمومية لكل الأمم والشعوب بلا محاباة ؛ قدمها لا بطريقة فلسفية جافة إنما ممتزجة بالحياة العملية لتعلن « الحياة الجديدة في المسيح يسوع » كحياة إيمانية عملية . والآن كعادته إذ يكرس الرسول الأصحاحات الأخيرة من الرسالة للوصايا العملية ، فإنه لايقدمها في عزلة عن الجانب الإيماني ، بمعنى أنه لايقدمها كوصايا أخلاقية أو سلوكية بحتة ، إنما من الزاوية الإيمانية .

بمعنى آخر إن كانت الرسالة إلى أهل رومية كما يدعوها البعض هي « إنجيل بولس » ، فإن هذا السفر يقدم الإيمان عملياً ، والوصايا إيمانية ؛ يقدم الحياة كوحدة واحدة .

+ + +



إن كانت الأصحاحات السابقة تكشف عن إمكانيات النعمة في حياة المؤمن ،
ففى هذا الأصحاح وما يليه يحدثنا الرسول عن ترجمة النعمة في حياتنا العملية ، حتى
لأنحرم من الثبوت فى السيد المسيح والتمتع بنعم إلهية بلا توقف ، كقول الإنجيلي :
« ومن ملئه نحن جميعا أخذنا نعمة فوق نعمة » يو ١ : ١٦ .

فى هذا الأصحاح يحدثنا عن :

- ١ - تقديم الحياة كلها لله . ١ .
- ٢ - تجديد الخارج والداخل . ٢ .
- ٣ - التعقل فى الجهاد . ٢ .
- ٤ - تنوع المواهب . ٤ - ٨ .
- ٥ - المحبة الأخوية . ٩ - ١٠ .
- ٦ - حرارة الروح . ١١ .
- ٧ - الفرح فى الرجاء . ١٢ .
- ٨ - الشركة فى إحتياجات القديسين . ١٣ .
- ٩ - مباركة المضطهدين . ١٤ .
- ١٠ - الشركة العملية . ١٥ .
- ١١ - الإلتضاع . ١٦ .
- ١٢ - مسألة الجميع . ١٧ - ٢١ .

١ - تقديم الحياة كلها لله

يفتح الرسول بولس هذا الفصل العملي لتقديم وصايا تفصيلية محددة وإنما بتقديم الحياة كلها ذبيحة حب الله ، معلناً لنا عن غاية الوصية : ردّ الحب بالحب ، وتسليم الحياة بكاملها لله ، في أعماقها ومن جذورها ، إذ يقول : « فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حيّة مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية » ع ١ .

إن كان كلمة الله المتجسد قد قدم لنا حبه عملياً بتقديم جسده ذبيحة حب على الصليب هكذا يليق بنا خلال إتحادنا معه أن نحمل ذات فكرو فنقدم حبنا لله عملياً بتقديم جسدنا ذبيحة حب الله ، لذببح الجسد بطريقة مادية ، وإنما بقبول « الإيمانه » من أجل الله ، وكما يقول الرسول : « من أجلك نمت كل النهار ، قد حسبنا مثل غنم للذببح » رو ٨ : ٣٦ .

يلاحظ في هذه العبارة الرسولية الآتي :

أولاً : يبدأ حديثه بحرف العطف « ف » كمقدمة للإلتماس الذي يرجوه ، معلناً أن ما يوصي به هنا هو إمتداد لحديثه السابق ، فلا إنفصال بين حديثه الإيماني وحديثه السلوكي ، إن صَحّ هذان التعبيران ، فلا سلوك حيّ خارج الإيمان ولا حياة للإيمان الصادق بدون سلوك عملي .

ثانياً : يسألهم أن يتطلعوا إلى « مراحم الله » أو رأفته غير المحدودة ، حتى يقدموا أجسادهم ذبيحة ... ولئلا يظنوا أنه يسألهم ذبيحة مادية قال : « ذبيحة حية » .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم :

[إذ قال « ذبيحة » ، فلكى يمنع كل أحد عن التفكير بانه يطالبهم بقتل أنفسهم أضاف : « حية » . ولكي يميزها عن الذبيحة اليهودية ، قال : « مقدسة » ، مقبولة لدى الله ، عبادتكم العقلية » ، لأن ذبيحتهم كانت مادية وليست مقبولة تماماً . يقول الله : « من طلب هذا من أيديكم ؟ » إش ١ : ١٢ . وبعبارات

متنوعة إستبعدها تماماً وبوضوح إذ يقول : « ذابح الحمد يمجدي » مز ٥٠ : ٢٣ ، « أسبح إسم الله بتسبيح وأعظمه بحمد ، فُستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذى قرون وأظلاف » مز ٦٩ : ٣٠ ، ٣١ . وفي موضع آخر يزدري بها ، قائلاً : « هل أكل لحم الثيران ؟ أو أشرب دم الثيوس ؟ » مز ٥٠ : ١٤ . هكذا يأمرنا بولس أيضاً أن نقدم أجسادنا « ذبيحة حية » .

ربما يُقال : كيف يصير الجسد ذبيحة ؟
دع العين لا تنظر الشر ، فتصير ذبيحة !
لا ينطق لسانك بدنس فيصير ذبيحة !
لا تمارس يدك عملاً محرماً فتصير محرقة كاملة !

لكن هذا لا يكفي إنما يجب ممارسة الأعمال الصالحة ، فتقدم اليد الصدقات ، ويبارك الفم من يقاومه ، وليجد السمع لذته في فصول الكتاب المقدس . لأن الذبيحة لا تسمح بأمر دنس بل هي بكر الأعمال .

إذن لنقدم لله الباكورة بأيدينا وأرجلنا وفمنا وكل أعضائنا ! فمثل هذه الذبيحة مرضية ، أما ذبائح اليهود فكانت غير طاهرة لذا قيل : « انها لهم كخبز الحزن » هوشع ٩ : ٤ . لا تكن ذبائحننا هكذا ! :....

شريعة هذه الذبيحة جديدة ونارها من نوع عجيب . نارها لا تحتاج إلى خشب يوضع تحتها ، بل نارها حية فيها ، لا تحرق الذبيحة بل بالحري تحيها . هذه هي الذبيحة التي كان الله يطلبها منذ القديم . لذلك يقول النبي : « ذبيحة الله روح منسحق » مز ٥١ : ١٧ ؛ كما قال الثلاثة فتية عندما قدموها : « في ذلك الوقت لا يوجد رئيس ولا نبي ولا قائد ولا محرقة أو موضع لنقدم فيه ذبيحة أمامك فنجد رحمة ، لكننا نقدم قلباً منسحقاً وروحاً متضعاً فاقبلنا إليك »

بهذا لا نحتاج إلى سكين أو مذبح أو نار ، بالحري نحتاج إلى هذه كلها لكنها ليست مصنوعة بالأيدى ، إنما تأتينا من فوق . نحتاج إلى نار علوية ، وسكين هكذا ؛ مذبحنا هو إتساع السماء !

إن كان إيليا إذ قدم ذبيحة منظورة نزلت نار من فوق إلهت كل الماء والخشب والحجارة فكم بالأكثر يحدث هذا بالنسبة لك ؟ ! (٣١٧) [.

يحدثنا القديس جيروم عن هذه الذبيحة التي نقدمها لله ، قائلاً : [إحضر تقدماتك ؛ أى نوع من التقدمة ؟ تقدمات نفسك ! فالبتولية هي ذبيحة محرقة للمسيح ، وكل طهارة سواء في الحياة البتولية أو الترميل أو العفة (الزوجية) هي تقدم ذبيحة للمسيح (٣١٨) [.

ثالثاً : لماذا يقول : « قدموا أجسادكم » ؟ ولم يقل « حياتكم » ؟
بلا شك أراد الرسول أن يقدم المؤمن كل حياته ذبيحة حب لله ، لكنه ركز هنا على الجسد لأنه الاداة التي تعبر عملياً عما في القلب والفكر دون انفصال عن النفس . هذا من جانب ومن جانب آخر أراد أن ينزع الأفكار الدخيلة من جهة إحتقار الجسد واعتباره عنصر ظلمة الله يقبل الجسد ذبيحة حيّة ، إذ يراه مقدساً له .

الجسد الذي يُقدم ذبيحة حيّة مقبولة لدى الله ، بلا شك يستحق بالنعمة أن يشارك النفس في المكافأة الأبدية ، فيقوم معها ليحيا أبدياً في السماء .

رابعاً : إن كان الجسد يُقدم ذبيحة حية ، إنما خلال « العبادة العقلية » ، أى العبادة التي تقوم على فكر روحى أصيل وهى عبادة عقلية ، إذ يتفهم المؤمن بالروح أسراراً إلهية .

٢ - تجديد الخارج والداخل

« ولا تشاركوا هذا الدهر ، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ماهى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » ع ٢ .

لكن نقدم حياتنا ذبيحة حب ، يلزم أن نقدمها مقدسة للرب ، فلا تكون حياتنا على شاكلة أهل العالم الحاضر الذي يعيشون لحساب الجسد ، ويطلبون الكرامات الزمنية ، وإنما يلزم تجديد الذهن الداخلى لنحمل لا إرادتنا الذاتية بل إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة . تجديد القلب والنفس على صورة خالقنا يهبنا إرادته عاملة فينا ، فتكون تصرفاتنا الخارجية أو سلوكنا الظاهر يمثل النقاوة الداخلية .

يقول القديس غريغوريوس أسقف نيصص : [كيف تقدرون أن تطيعوا بولس الذى يحثكم على تقديم أعضائكم ذبيحة حية مقدسة مرضية إن كنتم تمتثلون بهذا العالم ولاتشكلون بتجديد أذهانكم ، عندما لاتسلكون فى جدة الحياة بل تبقون سالكين فى روتين الإنسان العتيق ؟] (٣١٩) .

فى دارستنا للتجديد - فى كتاب : « الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر » مبرزنا بين التجديد الذى نناله فى مياه المعمودية حيث يُصلب الإنسان العتيق وننعم بالإنسان الجديد الذى على صورة خالقنا يحمل قوة القيامة فيه ، وبين التجديد الذهنى المستمر خلال نمونا الدائم بنعمة الله الدائمة الحركة فىنا ، ترفعنا من قوة إلى قوة ومن مجد إلى مجد . خلال هذا التجديد المستمر بعمل النعمة الدائم نمارس الحياة المقدسة كذبيحة حب لله لاتتوقف . لذا يقول الشهيد كبريانوس : [إنكم تقدمون هذه الذبيحة لله ، وتحتفلون بها بغير توقف ، نهراً وليلاً ، إذ صرتم ذبائح الله ، مظهرين أنفسكم كتقدمات مقدسة بلا عيب] (٣٢٠) .

يقارن القديس يوحنا الذهبى الفم بين الذين يشاكلون هذا العالم أو يحملون هيئته أو « شكله » وبين الذين يتغيرون داخلياً بتجديد أذهانهم ، فيرى فى الأولين يحملون شكل العالم الزائل خلال الأمور الظاهرة الوقتية بينما الأخيرون يحملون الحق الأبدى فى داخلهم ، إذ يقول :

[شكل (هيئة) هذا العالم حقير وزهيد ووقتى ، ليس فيه سمو ولا إستمرارية ولا إستقامة إنما هو فاسد تماماً . فإن أردت السلوك باستقامة لاتشكل نفسك حسب شاكلة هذه الحياة الحاضرة ، إذ لا يوجد فيها شئ باق أو مستقر . لهذا يقول « شاكلة (هذا الدهر) » وفى موضع آخر يقول : « لأن هيئة (أو شكل) هذا العالم تزول » ١ كو ٧ : ٣١

إن تحدثت عن الغنى أو المجد أو جمال إنسان أو ترف أو مايشبه ذلك من الأمور العظيمة التى تريدها تجدها مجرد « شكل » وليست حقيقة . إنها مجرد عرض وقناع وليست كياناً دائماً .

« لاتشاكلوا هذا الدهر ، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم » ، لم يقل « بتغيير شكله » بل « تغيروا » مظهراً أن طرق العالم هي « شكل » أما طريق الفضيلة فليس شكلاً بل كيان حقيقى يحمل جمالاً طبيعياً خاصاً به لا يحتاج إلى خداعات أو أشكال خارجية تزول

ليس شيء أضعف من الرذيلة ، ولا ما يشيخ سريعاً مثلها ! هل تخطيء كل يوم ؟ هل تجعل نفسك تشيخ ؟ لا تيأس ولا تخرب بل تجدد بالتوبة والدموع مع الإعتراف وعمل الصلاح ! (٣٢١) .

هكذا يرى القديس يوحنا الذهبى الفم أن من يحمل شكل العالم الحاضر إنما يحمل طبيعته الفانية الزائلة ، أما من يتجدد كل يوم بالتوبة فيلتقى بالحق الأبدى عوض الظلال الفانية بمعنى آخر من يرتبط بالخطية إنما تشيخ نفسه وتهلك ، ومن يرتبط بالتوبة يتجدد مثل النسر شبابه الداخلى (مز ١٠٣ : ٥) ، فيحمل فيه إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة .

٣ - التعقل فى الجهاد

إذ يطالبنا الرسول بولس بالحياة المقدسة فى الرب خلال الإمكانيات الجديدة التى صارت لنا بتجديد أذهاننا يسألنا ألا يرتضى أحد فوق ماينبغى ألا يظن فى نفسه أفضل من غيره ، فإن كان الروح يعمل فيه بطريقة فائقة لكن لكل واحد موهبته وقياس لقامته الروحية ، فيسلك فى جهاده الروحى بروح الإلتضاع والحكمة بما يناسب مايناله من نعم إلهية وعطايا .

يقول الرسول : « فإنى أقول بالنعمة المعطاة لى لكل من هو بينكم ألا يرتضى ماينبغى أن يرتضى ، بل يرتضى إلى التعقل كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان » ع ٣ .

يقول القديس أغسطينوس : [حين قال يوحنا المعمدان : « لأنه ليس بكيلى يعطى الله الروح » يو ٣ : ٣٤ ، كان يتحدث بنوع خاص عن ابن الله الذى لم يتقبل الروح بكيلى ، لأن الروح يسكنه فى كمال اللاهوت (كو ٢ : ٩)

بكونه الإبن الوحيد المساوى للآب بالطبيعة لا بالنعمة أما بالنسبة للآخرين فيُعطى الروح بكييل فائض حتى يبلغ كل واحد كمال ملكه ليس الروح هو الذى يُقسم إنما المواهب التى يمنحها الروح ، إذ توجد مواهب متنوعة ولكن الروح واحد (١ كو ١٢ : ٤) (٣٢٢) .

إذن نحن ننعم بعطايا الروح ، كل له موهبته وقامته لكى يمتلئ ... بهذا الملع الروحى نشواق أكثر لعمل الروح وعطاياه لنطلب أكثر فيه ، ونبقى فى حالة نمو دائم لعلنا نبغ قياس ملع قامة المسيح ... لكن شتان بين علاقتنا نحن بالروح وعلاقة المسيح به ، فنحن ننعم بالروح كهبة مجانية وعطية ونعمة ، أما المسيح فهو واحد مع الآب والروح القدس فى اللاهوت .

يعلق القديس يوحنا الذهبى الفم على العبارة التى بين أيدينا ، قائلاً :

[إذ قال قبلاً: « فأطلب إليكم برأفة (مراحم) الله ع ١ ، يعود هنا فيقول : « أقول بالنعمة » . لاحظ إتضاع فكر المعلم وروحه الخاضعة تماماً ! إنه يريد أن يقول بانه ليس أهلاً أن يكون موضع ثقة بأى حال (من ذاته) ليقدّم نصيحة أو مشورة ، لذا يحمل معه تارة « مراحم الله (الرأفة) » وأخرى « النعمة » . يود أن يقول : إذ أتكلم لا أنطق بكلماتى بل بكلمة من عند الله .

لايقول : « فإنى أقول بحكمة الله » ، ولا « فإنى أقول بالناموس المعطى من الله » ، وإنما يقول : « بالنعمة » ، ليذكرهم على الدوام بالهبات التى قدمت لهم ليجعلهم أكثر خضوعاً ، وليظهر لهم انهم لهذا السبب ملتزمون بطاعة مايقال هنا .

« لكل من هو بينكم » ع ٣ ، لأقول لهذا الشخص وحده أو ذاك ، وإنما الحاكم والمحكوم ، للعبد والحر ، للأمى والحكيم ، للمرأة وللرجل ، للصغير والشيخ ؛ لأن الشريعة عامة للجميع ، إذ هى شريعة الرب . بهذا يجعل لغته لاتقبل المعارضة ، مقدماً دروسه للجميع

لأسمع : « لايرتنى فوق ماينبغى » . هنا يقدم لنا أم كل الأعمال الصالحة ، أى إتضاع الفكر ، ممثلاً بسيدته . فعندما صعد على الجبل وأخذ يقدم نسيجاً من

الوصايا السلوكية قدم في المقدمة هذا الينبوع ، قائلا : « طوبى للمساكين بالروح » مت ٥ : ٣ ، هكذا أيضاً بولس إذ يعبر من الجوانب التعليمية إلى الجوانب العملية يحدثنا عن الفضيلة بطريقة عامة ، سائلاً إيانا أن نقدم ذبيحة عجيبة وإذ يود أن يقدم صورة خاصة بها بدأ بإتضاع الفكر كما من الرأس ، مخبراً إيانا : « لا يرتقى فوق ما ينبغي ، بل يرتقى إلى التعقل » ع ٣ .

انه يعنى القول : لقد تسلمنا حكمة لا لنستخدمها لكبريائنا وإنما لنكون متعقلي الفكر . وهو لا يقول هذا لنكون منحطين في الفكر بل نكون متعقلين ، قاصداً بالتعقل هنا الفضيلة العاقلة والصحية في الذهن الكلمة اليونانية للتعقل تعنى فقط حفظ التعقل سليماً .

إذن لكى يظهر أن الذى لا يكون متضعباً هكذا لا يمكن أن يكون متعقلاً ، أى لا يكون ذا عقل رزين صحتى يدخو إلى اتضاع الفكر تعقلاً

أنظر كيف يستعرض بوضوح علة المرض لينزعه تدريجياً ؛ فبعد ما قال إنه يجب ان نتعقل أردف قائلاً : « كما قسّم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان » ع ٣ ، ليقصد هنا العطية بالإيمان . بقوله « قسّم » يلاطف من له عطية أقل ، ويجعل من له نصيب أكبر متضعباً ، لأنه إن كان الله يقسمها وهى ليست بجهاذك الذاتى فلماذا تتكبر ؟ إن كان الإيمان الذى به تتم المعجزات هو ذاته من الله فعلى أى أساس تنتفخ ؟ (٣٢٣) [.

٤ - تنوع المواهب

الآن إذ سألنا أن نحمل تجديداً حقيقياً في الداخل (ع ٢) ، فيكون لنا الفكر المتعقل مدركين بروح الإلتضاع أن مانحمله حتى من إيمان هو عطية إلهية ، ليس لنا أن نفتخر بها كما لو كانت من عنديتنا أو باستحقاقنا ، فعلى هذا الأساس المتين يطالبنا بالعمل والجهاد ، معلناً إن يضم كل واحد موهبته حسبما وهبه الله . بمعنى آخر إن تجديداً الداخل وإتضاع فكرنا يلهب قلبنا للعمل لاحسب هوانا بل حسب عطية الله لنا التى تتكامل مع عطاياه لإخوتنا ، وتتناغم معها بروح واحدة كل يعمل

فى مجاله بفرح وبهجة قلب ، فلا يحسد من يظنه أفضل منه فى الموهبة ولا ينتفخ على من يظنه أقل منه فيها فإن المواهب متنوعة ولكن الروح واحد (١ كو ١٢ : ٤) ؛ هى عطية النعمة الإلهية ، إذ يقول الرسول : « فإنه كما فى جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد ، هكذا نحن الكثيرون جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضاً لبعض ، كل واحد للآخر ، ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا » ع ٤ - ٦

التشبيه الذى إستخدمه الرسول هنا يرد أيضاً فى رسالته إلى أهل كورنثوس (١ كو ١٢ : ١٢ الخ) حيث يبرز الرسول جمال الكنيسة فى وحدتها وتكامل أعضائها معاً بكونهم جسداً واحداً متنوع المواهب هذا المفهوم هو علاج لكل نفس متشاخخة على إخوتها !

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم :

[عظيم هو قوة هذا الدواء ، وعظيمة هى قدرة هذا التشبيه ، فى علاج مرض الكبرياء . لماذا تنتفخ ؟ أو لماذا يحتقر آخر نفسه ؟ أليس جميعنا جسداً واحداً ، العظيم منا والصغير ؟

إن كنا فى مجموعتنا واحداً ، وأعضاء لبعضنا البعض ، فلماذا تعزل نفسك بالتشاخ ؟ لماذا تهين أخاك ؟ فكما هو عضو لك أنت عضو له .

لقد قرر (الرسول) أمرين يكسران الروح المتكبر : الأول اننا أعضاء بعضنا لبعض ، ليس فقط الصغير عضو للكبير وإنما الكبير أيضاً للصغير ، والثانى اننا جسد واحد . بل توجد نقطة ثالثة وهى أن العطية من قبل النعمة ، لذلك لاتستكبر ، لانها معطاه لك من الله

أيضاً إذ يمس موضوع المواهب لا يقل ان أحداً أكبر وآخر أصغر بل ماذا ؟ المواهب مختلفة ! كلماته هكذا « لنا مواهب » ليست أقل وأعظم بل « مختلفة » (٣٢٤) [

لأن يقدم لنا الرسول عينات من المواهب :

أولاً : « أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان » ع ٦ .

ماذا يعنى بالنبوة ؟ لايعنى مجرد الكشف عن أحداث مقبلة فى هذا العالم ، إنما غاية النبى الحقيقىة هى إعلان أسرار الله نحو الإنسان لبنيان الكنيسة وتمتع البشرية بالامجاد المقبلة ، أى الكشف لا عن أحداث زمنية وإنما عن « المجد الأبدى » .

فى العهد القديم كان عمل الأنبياء الرئيسى هو الإنطلاق بشعب الله إلى ترجى مجىء المسىّا المخلص خلال الرموز والظلال والنبوات بطريقة أو أخرى ، أما وقد جاء السيد المسيح صارت النبوة فى جوهرها هى الدخول بالنفوس إلى مجيئه الأخير لتنعم بشركة الميراث معه .

هذا العمل ليس بشرياً إنما عو عطية الله للناطق والمستمع ، لذا تحتاج إلى الإيمان فى حياة الإثنين لينعما بهذه البركة الإلهية .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [وإن كانت عطية لكنها لا تُسكب جزافاً إنما يتوقف قياسها حسب مستقبلها ، إنها تفيض متى وجدت أوانٍ للإيمان قدر ما تتسع (٣٢٥)] .

ثانياً : « أم خدمة فى الخدمة » ع ٧ .

يقول القديس الذهبى الفم : [حتى الرسولية تدعى خدمة ، وكل عمل روحى هو خدمة . حقا إن « الخدمة » هى إسم خاص بوظيفة معينة (أى الدياكونية) ، لكنه هنا يستخدم الكلمة بمعنى شامل (٣٢٦)] .

يقصد الرسول كل خادم — أيا كانت رتبته — ليعمل فيما أوكل عليه ، أى فى الخدمة ، عوض الإنشغال بأعمال الآخرين . ليكن أميناً فى خدمته أيا كانت هذه الخدمة !

ثالثاً : « أم المعلم فى التعليم » ع ٧ .

يميز الرسول بين الرسل والأنبياء والمعلمين : « وضع الله أناساً فى الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين » ١ كو ١٢ : ٢٨ . ربما يختلف المعلمون عن

الأنبياء في تخصصهم للعمل التعليمي البحث كدراسات روحية بناءة .

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الرسول بدأ بمن هم أقل « الأنبياء » ثم الأعظم « الرسل » ثم عاد إلى الأقل « المعلمين » حتى ينزع كل فكر للكبرياء بسبب نوعية الموهبة .

رابعاً : « أما الوعظ ففي الوعظ » ع ٨ .

يقوم التمييز بين الواعظ والمعلم على أساس ان الاول عمله الحث على التوبة خاصة بين الجماهير أما الثاني فيهتم بالفكر الدراسي الروحي وإن كان غاية الكل هو إلتقاء كل نفس بالثالوث القدوس .

ربما عني بالوعظ الحديث التأمل العاطفي ، أما التعليم فيقوم بالأكثر على دراسة موضوع معين .

خامساً : « المعطي فبسخاء » ع ٨ .

بعد أن إستعرض المواهب الروحية الخاصة بالكرازة والتعليم والوعظ والعمل الرعوى صار يتحدث عن العمل السلوكي كجزء لايتجزأ من المواهب الروحية ، فحين يبحث المعطي أن يقدم بسخاء إنما يود أن يعلن له أن يكون أميناً في عطائه يعطي بحب كما بغير كيل ، يعطي بقلبه المتسع وكما يقول السيد : « مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » أع ٢٠ : ٢٥ ، بمعنى انه يعطي بفرح وتهليل ولاينتظر أجرة ؛ يشعر بلذة وبهجة روحية في عطائه أكثر مما في أخذه .

جاءت الترجمة اليونانية الحرفية : « المعطي فببساطة » ، لأن الإنسان البسيط يهب بسخاء .

سادساً : « المدبر فبإجتهد » ع ٨ .

لايفصل الرسول بين المواهب الكرازية والتعليمية والرعوية وبين الخدمات الحبية (العطاء) أو التدبير فالكنيسة وإن حملت أعضاء لهم مواهب متنوعة لكنها مادامت تقدم بروح الإنجيل فهي متكاملة .

ليكن المدير للأمر الكنسية عاملاً بإجتهد روى وغيره مقدسة .

سابعاً : « الراحم فسرور » ع ٩ .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [لا يكفي أن تظهر رحمة وإنما يليق بنا أن نقدمها بإتساع ، بروح سمحة ، وليس فقط بروح سمحة بل بروح فرحة مبتهجة وقد ركز على نفس النقطة بقوة عندما كتب إلى أهل كورنثوس ليحثهم على الإتساع ، إذ يقول : « من يزرع بالشح فبالشح أيضا يحصد ، ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضا يحصد » ٢ كو ٩ : ٦ . ولكي يصحح مزاجهم يقول : « ليس عن حزن أو إضطراب » ٢ كو ٩ : ٧ فإنك إن حزنت وأنت تصنع رحمة فأنت قاس وعنيف . إن كنت حزينا كيف تقدر أن تسند الذين هم في حزن ؟ ! هذا هو السبب في قوله الراحم فسرور » ، لأنه كيف يكون حزين الملاح من يتقبل الملكوت ؟ ! من يبقى كتيب النظرة وهو ينال غفران خطاياهم ؟ إذن لاتفكر في إنفاقك المال (عمل الرحمة) بل في الفيض الذي تناله خلال الإنفاق . فإن كان الذي يبرز يفرح مع أنه يبذر وهو غير متأكد من جهة الحصاد ، كم بالأكثر من يفلح السموات ؟ ! فإنك تعطى إنما القليل لتنال الكثير الأرملة بالفلسين حُسبت أنها فاقت من قدم وزنات كثيرة وذلك بسبب روحها المتسع^(٣٢٧)] .

٥ - المحبة الأخوية

إذ حثنا الرسول على العمل ، كل حسب موهبته ، بروح متضع ، يسألنا أن نسلك بالحب الأخوى مترجماً عملياً بحب الخير للآخرين وكره الشر ، وتقديم الآخرين في الكرامة ، إذ يقول :

« المحبة فلتكن بلا رياء .

كونوا كارهين الشر ، ملتصقين بالخير .

وادين بعضكم بعضاً بالحب .

مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة » ع ٩ ، ١٠ .

إن كان الإلتضاع هو الخط الواضح في إضرام المواهب ، فإن الحب هو الفكر السائد الذى يربط الكنيسة معاً في الرب كأعضاء حيّة متكاملة ، تعيش معاً بروح الكمال ، منسجمة معاً ، تشارك بعضها البعض .

يوصينا القديس باسيليوس الكبير : [يليق بالمسيحي أن يكون هادئاً في صوته ، لا يجيب أحداً أو يتصرف مع أحد بخشونة أو بأستخفاف بل في كل شيء يسلك بحلم (في ٤ : ٥) مكرماً كل أحد (٣٢٨)] .

حدثنا الرسول بولس بفيض عن المحبة (١ كو ١٣) مبرزاً قوتها وفاعليتها بل وابديتها ، ويوصينا الرسول بطرس : « لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة » ١ بط ٤ : ٨ ، ويرى القديس يوحنا أن ممارسة الحب أشبه بتمتع بالقيامة ، إذ يقول : « نحن نعلم اننا قد إنتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة » ١ يو ٣ : ١٤ .

المحبة ليست عاطفة مجردة إنما هي تمتع والتصاق بالخير خلال إتحادنا برنا يسوع « المحبة » ونفورنا من الشر بهذا تنبع المحبة من أعماق داخلية وشركة مع الله ، إذ يقول الرسول : « كل من يحب فقد ولد من الله ، ويعرف الله لأن الله محبة » ١ يو ٤ : ٧ ، ٨ هذا مايعنيه الرسول بقوله : « المحبة فلتكن بلا رياء » ع ٩ .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [إن كان لك هذه (المحبة) فإنك لا تبالي بالخسارة المادية ولا بتعبك الشخصى ولا بجهادك في الكلام ومشتقاتك وخدمتك بل تحتل هذا كله بشجاعة ... لكى تساعد أخاك ... هذا هو الحب ، إن إقتناه أحد يقتنى كل شيء بعد ذلك] .

هكذا يرى ذهبي الفم ان من له الحب الذى بلا رياء يمارس الوصايا السابق ذكرها ، وأيضاً يبغض الشر من أعماقه ، إذ يصير غريباً عن الأعمال الشريرة فحسب وإنما يكون غريباً عن مجرد الميل إلى الشر ؛ يدخل في عداوة وبغضة وحرب ضد الرذيلة . ولا يقف الأمر عند الجانب السلبي أى بغض الشر وإنما يلتصق بالخير

لقد أوصى الله الإنسان أن يلتصق بامرأته (تك ٢ : ٢٤) ويكونا جسداً واحداً ، هكذا يوصينا الرسول أن نلتصق بالخير ، وكأنه زوجة نتحد معها ونصير واحداً معها .

يترجم الرسول هذه المحبة عملياً من جانبين : المودة الأخوية وتقديم الآخرين في الكرامة (ع ١٠) . ويوصينا القديس بطرس بالمودة النابعة عن الحياة التقوية (٢ بط ١ : ٧) ، ويوصينا القديس بولس بتكريم الآخرين : « حاسين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم » في ٢ : ٣ .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [حينما يقول « وادين بعضكم بعضاً » ، يعنى كونوا أصدقاء وحارين أيضاً . لا تنتظر أن يحبك الغير بل إقفز نحوه بنفسك ولكن أنت المبتدئ . بهذا تحصد أجرة محبته أيضاً . إذ أظهر السبب لماذا يلزمنا أن نحب بعضنا بعضاً يخبرنا عن الطريق الذى فيه تلتهب المودة ثابتة ، إذ أردف قائلاً : « مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة » ع ١٠ . هذا هو الطريق الذى ينتج المودة ، والذى فيه تسكن مودة بعد إنتاجها . ليس شيء يخلق أصدقاءً مثل السعى بغيرة لتكريم الإنسان قريبه] .

٦ - حرارة الروح

« غير متكاسلين في الإجتهد ،

حارين في الروح ،

عابدين الرب » ع ١١ .

إن كان الرسول بولس قد ركز أنظارنا على عطايا الله الفائقة ونعمته العاملة فينا ، لنضرم مواهبه فينا بروح الإلتضاع ونسلك معاً بروح الحب ، فإن الحياة المسيحية جهاد لا ينقطع ، هى إنتهاز لكل فرصة للعمل بروح الله بإجتهد لنحيا ملتبهين بالروح عابدين الرب بقوة .

يحثنا على الجهاد ، قائلاً : « غير متكاسلين في الإجتهد » ع ١١ . وكما يقول الحكيم سليمان : « كل ماتجده يدك لتفعله فإفعله بقوتك » جا ٩ : ١٠ ، « إذهب

إلى النحلة أيها الكسلان . تأمل طرقها وكن حكيماً » أم ٦ : ٦ . ويوصينا القديس بطرس الرسول : « وأنتم باذلون كل إجتهد قدموا في أيمانكم فضيلة ... لذلك بالأكثر إجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم وإختياركم ثابتين ، لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً » ٢ بط ١ : ٥ ، ١٠ .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم :

[كيف نصير « غير متكاسلين في الإجتهد (في الغيرة) » ؟ « حارين في الروح » أى نكون حارين ومتيقظين إن سكن الروح فيك يجعلك صالحاً لتحقيق تلك الأهداف ، ويصير كل شيء سهلاً بالروح والحب وتتلاً أنت من كل جانب » .

إن كان روح الله ناراً متقدة ، فإننا إذ نتجاوب معه يلهب أعماقنا ، ويحولنا إلى لهيب متقد ، لاتستطيع مياه كثيرة أن تطفئه . هذا اللهيب الروحي يعلمنا كيف نعبد الرب بالروح والحق ، لذا يكمل الرسول حديثه قائلاً : « عابدين الرب » ١١٤ .

يحدثنا القديس جيروم عن الوصية الرسولية : « حارين في الروح » ، قائلاً :

[عندما يقول الرسول : حارين في الروح ، إنما يعنى كونوا صادقين في الحكمة (٣٢٩)] .

[ليهبنا الله ألا يزحف البرود إلى قلبنا (مت ٢٤ : ١٢) ، فإننا لانرتكب خطية إلا بعد أن تبرد المحبة

« إلهنا نار آكلة » تث ٤ : ٢٤ ، فإن كان الله ناراً إنما لكى ينزع برودة الشيطان (٣٣٠)] .

هذا الروح الناري يلهبنا فنعبد الرب بالروح فوق حدود الزمن والأحداث ، لنعيش بالروح في حالة نصرّة دائمة وأعظم من نصرّة ، وكما يقول القديس البابا أثناسيوس الرسولي :

[إن كنت تخش الأزمنة وتعمل بحسن فذهنك ليس ناضجاً . يليق بك أن تظهر غيره نحو المسيح ، وتواجه الظروف بشجاعة ، مستخدماً لغة الطوباوى بولس : « في هذه جميعها نحن أكثر من غالبين » رو ٨ : ٣٧ . الأكثر هنا هو أننا نعبد الرب لا الزمن^(٣٣١)] . هكذا يرى البابا أناسيوس في النفوس الضعيفة غير الحارة انها عبدة الزمن لا الرب ، تسلك في العبادة حسب الظروف والأحداث بروح الضعف لا الغلبة .

٧ - الفرح في الرجاء

إذ يلهبنا الروح القدس فنعبد الرب فوق حدود الزمن نمتلىء رجاءً بالأمور غير المنظورة فنفرح قلوبنا ويتسع قلبنا لإحتمال الضيق ملتجئين إلى الله بالصلاة الدائمة ، إذ يقول الرسول : « فرحين في الرجاء ، صابرين في الضيق ، مواظبين على الصلاة » ع ١٢ .

يقول القديس أغسطينوس : [لنصغ ولنبتهج في الرجاء حتى وإن كان الحاضر حياة لا تحب وإنما تُحتمل ، إذ تكون لك القوة على إحتمال كل تجاربها^(٣٣٢)] .

ويرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الرسول في وصاياه هذه يقدم سلسلة من الامكانيات تعين المؤمن في جهاده ، إذ يعلق على هذه العبارة الرسولية ، قائلاً :

[هذه الأمور كلها هي وقود لهذه النار . فعندما طلب إنفاق المال (ع ٨) وإحتمال التعب والتدبير بإجتهد (ع ٨) والتعليم (ع ٧) وغير ذلك من الأعمال يمد المصارع بالحب والروح خلال الرجاء .

ليس شيء يجعل النفس شجاعة هكذا ومحبة للمخاطرة مثل الرجاء ! وقبل نوالنا الأمور التي نترجهاها يقدم لنا مكافأة هي : « صابرين في التجارب » . قبل نوالنا الأمور المقبلة تتمتع في الحياة الحاضرة بصلاح عظيم خلال التجارب إذ تصير إنساناً صبوراً ومجرباً .

يقدم لنا أيضاً عوناً آخر : « مواظبين على الصلاة »

الحب يجعل الأمور سهلة ، والروح يعين ، والرجاء ينير ، والتجارب تصقلك فتجعلك مجرباً قادراً على احتمال كل شيء بشهامة ، يرافق هذا كله سلاح عظيم جداً هو الصلاة .

ها أنت تراه يقدم للمصارعة بكل طريقة قدماً ثابتة ، مظهراً أن الوصايا تُمارس بطريقة سهلة^(٣٣٣) [.

٨ - الشركة في إحتياجات القديسين

إن كان « الحب » هو الخط الواضح في كل هذه الوصايا الرسولية ، فأحد ملامح هذا الخط العملي هو : « مشتركين إحتياجات القديسين ، عاكفين على إضافة الغرباء » ع ١٣ . هذا هو ثمر طبيعي للعضوية في الجسد الواحد ، إذ يشارك العضو أخاه في إحتياجاته . نرى ذلك واضحاً في مساهمة أهل فيلبى في إحتياجات القديس بولس الذى فرح لا بالعطية في ذاتها وإنما بثمر الحب المتكاثر ، إذ كتب إليهم هكذا . « أرسلتم إليّ مرة ومرتين لحاجتى ، ليس انى أطلب العطية بل أطلب الثمر المتكاثر لحسابكم فيملاً إلهى كل إحتياجاتهم بحسب غناه في المجد فى المسيح يسوع » فى ٤ : ١٦ - ١٩ .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [لم يقل : « معطين » بل قال « مشتركين فى إحتياجات القديسين » مظهرًا انهم ينالون أكثر مما يهبون ، فإن الأمر هو تجارة ، إذ هى « شركة » . هل قدمت لهم مالاً ؟ هم يقدمونك شهماً أمام الله . « عاكفين على إضافة الغرباء » . لم يقل « مضيفين للغرباء » بل « عاكفين » عليها ، ليعلمنا ألا ننتظر أن يسألوننا ، لا يأتون هم بل نحن نجرى إليهم لنعكف حتى نجدهم . هكذا فعل لوط ، وأيضاً إبراهيم . فقد قضى إبراهيم كل يومه منتظراً ضحية صالحة ، وإذا رآها أسرع إليها وجرى للإلتقاء بهم وسجد أمامهم إلى الأرض ، وقال : « ياسيد إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك » تك ١٨ : ٣ . ليس كما نفعل نحن عندما نرى غريباً أو فقيراً نقطب جبيننا ولانود حتى الحديث معه . وبعد آلاف التوسلات نلين فنأمر الخادم أن يعطيه شيئاً تافهاً ، ظانين اننا قمنا بواجبنا^(٣٣٤) [.

أرسل القديس كبريانوس (٣٣٥) يشكر أساقفة نوميديا Numidia لأنهم سمحوا له أن تشترك كنيسة من إخوة وإخوات وزملاء في المساهمة بدفع مبلغ إليهم لتحرير الإخوة الذين أسره البراة . هكذا كانت عادة الكنيسة الأولى انها تشعر بفرح شديد حين يُسمح لها بمثل هذه الشركة في خدمة القديسين .

٩ - مباركة المضطهدين

« باركوا على الذين يضطهدونكم ، باركوا ولا تلعنوا » ع ١٤ .

جاء الوصية الإلهية تأمرنا أن نبارك الذين يضطهدونا (مت ٥ : ٤٤ ؛ لو ٦ : ٢٨) . فإننا إذ كنا نستحق اللعنة حملها السيد المسيح عنا على الصليب ليهبنا بركته عاملة فينا ، يليق بنا أن نرد له هذا العمل في خليقته التي يحبها فنحب مضطهديننا مباركين إياهم لقد صارت حياتنا بالمسيح تحمل بركته ، فكيف نستطيع أن نلعن أحداً ؟ ! لذلك يقول معلمنا يعقوب الرسول : « من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة ؛ ألعل ينوعاً ينبع من نفس عين واحدة العذب والمّر ؟ ! » يع ٣ : ١٠ ، ١١ .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [لم يقل : لاتكن شتاما ولامنتقما ، وإنما سألنا ما هو أفضل : « باركوا على الذين يضهدونكم » فإن إنساناً هكذا يعمل بحكمة ، وهذا هو عمل الملائكة . بعد قوله « باركوا » قال « لاتلعنوا » لئلا نمارس الإثنين معاً . الذين يضطهدونا يمدوننا بمكافأة لحسابنا . فإن كنت متعقلاً فلتضف إلى المكافأة مكافأة أخرى تقدمها لنفسك . هو يهبك الإضطهاد ، هب لنفسك مباركتك للآخرين ، بهذا تفتني علامة عظيمة جداً لمحبة المسيح . فمن يلعن مضطهده يظهر أنه لايسر بإحتمال الآلام من أجل المسيح ، هكذا من يبارك يظهر عظمة حبه للمسيح (٣٣٦)] .

١٠ - الشركة العملية

« فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين » ع ١٥

هذه الشركة لاتقوم على فكر إجتماعي بحت أو مجاملات ظاهرية ، وإنما عن شركة الأعضاء التي تشعر ببعضها البعض

ربما يسهل على الإنسان أى يحزن مع الحزين ويئن مع أناته ، لكن يصعب جداً أن يفرح أخيه ، مع فرح أخيه ، وكما يقول أن هذا يتطلب نفساً سامية ، فلا يحسد أخاه على نجاحه بل يفرح معه حاسباً كل نجاح لأخيه هو نجاح لنفسه . يقول الرسول : « فإن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه ، وإن كان عضو يكرم فجميع الأعضاء تفرح معه ، وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً » ١ كو ١٢ : ٢٦ ، ٢٧ .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [ليس شيء يثبت الحب بقوة مثل المشاركة في الفرح والألم . ليس لأنك بعيد عن المتاعب تنعزل عن مشاركة الآخرين أيضاً . فعندما يتعب قريبك إحسب الضيق خاصاً بك . شاركه دموعه لكي تسند روحه المنسحق ، وشاركه فرحه ليصير الفرح فيه عميقاً متأصلاً ؛ ثبت المحبة إذ بهذا تخدم نفسك أكثر من خدمتك له . فبدموعك تصير أنت رحوماً وبمشاعر البهجة تنقى نفسك من الحسد والغم إن كنت لاتستطيع أن تنزع عنه الشرور شاركه بدموعك فتزيل عنه نصف الشر ؛ وإن كنت لاتستطيع أن تزيد خيراته فشاركه فرحة فتضيف إليه أمراً عظيماً^(٣٣٧)] .

١١ - الاتضاع

« مهتمين بضعكم لبعض إهتماماً واحداً ، غير مهتمين بالأمر العالية ، بل منقادين إلى المتضعين ؛ لاتكونوا حكماء عند أنفسكم » ع ١٦ .

يبحثنا على المحبة التي « لاتطلب ما لنفسها » ١ كو ١٣ : ٥ ، بل ماهو للغير (في ٢ : ٤) كأنه لنفسها هذا هو الحب الذى به يحب الإنسان قريبه كنفسه ، مهتماً إهتماماً واحداً غير مميز بين ماهو لنفسه وماهو لغيره .

بهذا الروح لايهتم المؤمن بالأمر العالية ، أى بغنى هذا العالم وأمجاده وكرامته ، ولا بمعاشرة الأغنياء والعظماء لأجل غناهم وكرامتهم بل ينقاد إلى النفوس المتضعة وإلى الفقراء ، حاملاً فكر المسيح ، كقول الرسول : « فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلصة أن يكون معادلاً لله

لكنه أدخل نفسه آخذاً صورة عبد » في ٢ : ٥ - ٧ . وقد عاش السيد المسيح منقاداً إلى المتضعين ، إذ قيل : « أما إختار الله فقراء هذا العالم أغنياء في الإيمان وريثة الملكوت ؟ ! » يع ٢ : ٥ .

لتقبل فكر المسيح هذا ولا تسلك بالحكمة البشرية المتعجرفة : « لا تكونوا حكماء عند أنفسكم » ع ١٦ ، وكما جاء في سفر الأمثال : « رأيت رجلاً حكيماً في عيني نفسه ؟ ! الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به » أم ٢٦ : ١٢ ، لأن الجاهل قد يدرك جهله فيقبل المشورة ، أما الحكيم في عبد نفسه فيعيش متصلاً لا يقبل مشورة الله ولا نصيح الكنيسة .

يعلق 'لقديس يوحنا الذهبي الفم' على هذه الوصايا الرسولية ، قائلاً :

[مرة أخرى يركز على إتضاع الفكر ، الأمر الذي سبق فحث به ، إذ كانت الاحتمالات قائمة لأن يمتلأوا تشاغلاً أما بسبب مدينتهم (كعاصمة الدولة الرومانية) أو لأسباب أخرى متنوعة ليس شيء يسبب إتشاقات في الكنائس مثل (المجد) الباطل .

ماذا يعنى بقوله : « مهتمين لبعضكم البعض إهتماماً واحداً » ع ١٦ ؟ هل دخل فقير إلى بيتك ؟ تشبه به في سلوكك ؛ لاتضع أشياء فاخرة للمياهاء بغناك . ليس غنى ولا فقر في المسيح . لاتخجل من الفقير بسبب ملايسه الخارجية بل إقبله من أجل إيمانه الداخلي . إن رأيت في حزن فلا تمتنع عن مواساته ، وإن رأيت فرحاً فلا تحزه بل شاركه فرحه إحمل في ذهنك ماله كما لك أنت ، إذ قيل : « مهتمين ببعضكم البعض إهتماماً واحداً » . كمثال إن كنت تحسب نفسك إنساناً عظيماً فإحسبه هو أيضاً كذلك

« غير مهتمين بالأمر العالي بل منقادين إلى المتضعين » ع ١٦ ، بمعنى إنزل إلى إتضاعهم وشاركهم ، سر ؛ لاتضع فقط م : جهة الفكر وإنما كن معيلاً وابسط يدك إليهم ليس كمن ه آخرون بل كأ : شحصبك أنت ، كما يهتم الأب بطفله ، والرأس بالجسد . وكما يقول في موضع آخر : « كأنكم مقيدون معي » عب ١٣ : ٣

« لاتكونوا حكماء عند انفسكم » ع ١٦ . لاتظنوا انكم تستطيعون العمل بذواتكم يقول الكتاب في موضع آخر : « ويل للحكماء في أعين أنفسهم ، والفهماء عند ذواتهم » إش ٥ : ٢١ ليس شيء ينفخ البشر ويجعلهم يحسبون أنفسهم مختلفين عن غيرهم من البشر مثل ظنهم أنهم قادرون أن يعملوا بذواتهم . لذلك وضعنا الله في مكان فيه يحتاج كل للآخر ؛ فإن كنت حكيماً تشعر أنك محتاج للآخر ، أما إن حسبت نفسك في غير إحتياج إلى الغير فأنت أكثر الناس غباءً وضعفاً لاتحسب نفسك انك تنحط بإحتياجك للغير ، بل هذا بالأكثر يمجّدك ، ويجعلك أقوى ، وأكثر بهاءً ، وفي آمان أعظم (٣٣٨)] .

١٢ - مسألة الجميع

« لا تجاوزوا أحداً عن شرّ بشرّ ، معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس .
إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس .
لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحياء بل أعطوا مكاناً للغضب .

لأنه مكتوب : لى النعمة أنا أجازى يقول الرب .
فإن جاع عدوك فأطعمه ، وإن عطش فإسقه ،
لأنك إن فعلت هذا تجمع جمع نار على رأسه .
لا يغلبنك الشر بل يغلب الشر بالخير » ع ١٧ - ٢١

سبق لنا الحديث عن هذه الوصايا فى دراستنا للإنجيل بحسب متى (أصحاب
٥) ، لذا أكتفى هنا بإبراز النقاط التالية :

أولاً : ان الانسان المسيحى يعتنى بأمور حسنة قدام جميع الناس ، يهتم
بالشهادة لله محب البشر ، فلا يجد مجالاً لرد شر الآخرين بالشر لا يتلائم هذا مع
غايته ولا مع طبيعته الجديدة التى تمتع بها .

ثانياً : يقول « إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس » ، إذ يليق
بنا بذل كل الجهد لنكسب كل نفس بالحب والسلام ، لكن هناك أوضاع يستحيل
فيها ذلك مثل مقاومة الهراطقة للإيمان ، إذ يستحيل أحيانا مسالمتهم لأنهم يخدعون
البسطاء إلى الجحود أو الإيمان المنحرف إن تسللوا إلى الكنيسة ، أو إنكار أحد
الزوجين الإيمان (١ كو ٧ : ١٥) .

ليتنا نبذل كل الجهد أن نسالم إن أمكن كل البشرية فننعم بسلام أورشليم
السماوية فينا ، وكما يقول القديس جيروم : [من كان ليس فى سلام مع أخيه فهو
خارج تخوم أورشليم^(٣٣٩)] .

ثالثاً : ماذا يعنى بقوله : « لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحياء بل أعطوا مكاناً
للغضب » ع ١٩ إن كان يقصده غضب الانسان ، فيعنى أن نحتمل غضبه بالصبر

وتقابل ثورته بالحب كقول السيد المسيح : « لاتقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر أيضا » مت ٥ : ٣٩ .

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم إنه يقصد « غضب الله » ، بمعنى ألا ينتقم الإنسان لنفسه تاركاً الأمر لله نفسه مدافعاً عنه ، إذ يقول : [إتركه لله ولتتهم أنت بأخطائك] .

يقدم لنا القديس أمبروسيوس أبانا يعقوب كمثال حتى للهروب من وجه أخيه عند غضبه ، إذ يقول :

[إمثل بالأب (اسحق) الذى بمشورة الأم (رقة) جعله يهرب بعيداً

من هى هذه الأم ؟ إنها « رقة » التى هى « الصبر »
لقد أحبت الأم ابنها لكنها فضلت أن يحرم منها عن أن يحرم من الله (فأشارت عليه بالهروب من الغضب) (٣٤٠)] .

[تعلم مشورة الصبر ، مفضلاً أن يهرب ليعيش فى أرض غريبة عن أن يثير غضب أخيه ، ولم يرجع حتى شعر أن أخاه قد هدأ . بهذا وجد نعمة عظيمة لدى الله (٣٤١)] .

رابعاً : ماذا يعنى « تجمع جمر نار على رأسه » ؟ هل نقدم الطعام للعدو الجائع والماء للظمان بقصد أغاظته ؟ !

رأبنا فى دراستنا لإنجيل متى (٥ : ٤٤) أن الوصية بعيدة كل البعد عن هذا المفهوم ، إنما تعنى جمر نار روح الله الذى ينقى العدو بالتوبة حتى يدرك حبك مقابل عداوته .

+ إنها تعنى انك تنقى عدوك من الخطية ، لأن صبرك يغلب مشورته .

+ :- آخر ، إنك تشفيه من رذائله بحرق حقله لترده بالتوبة .

+ حتى الناموس يعلمنا أن نحب العدو ، فإن سقط حيوان العدو يلزمنا أن نرفعه

(تث ٤٢ : ٤) ونخبرنا الرسول : « فإن جاع عدوك فأطعمه ، وإن عطش فأسقه ، لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه » ، لا بطريق اللعنة والإدانة كما يظن غالبية الناس وإنما بتهذيبه وجذبه إلى التوبة ، فيغلبه الحنو ، ويدوب بدفء الحب ، فلا يصير بعد عدواً .

القديس جيروم (٣٤٢)

خامساً : يوصينا الرسول : « لا يغلبك الشر بل إغلب الشر بالخير » ع ٢١ ، فإن كان الشر يجعل الانسان ضعيفاً فلا تقابل الضعيف بالضعيف ، إنما قابله بإتساع القلب في نضوج الحب . وكما يقول الأب يوسف : [بلطفنا نقهر غضبهم الإنسان الضعيف لا يقدر أن يعين الضعيف ، ولا من يعاني أمراً يقدر أن يشفى عليلاً مثله . أما من كان غير خاضع للضعف فهذا يستطيع أن يقدم علاجاً للضعيف (٣٤٣)] .



سبق فتحدث الرسول عن المسيحي والحياة اليومية (ص ١٢) مظهراً كيف يليق به أن يترجم إيماناً عملياً في كل حياته ، سواء في عبادته لله أو تقديس جسده بالروح القدس ، أو في علاقته بالمؤمنين كأعضاء معه في الجسد الواحد ثم مع جميع الناس حتى مضطهديه ، مقدماً بنعمة الله شهادة حية لمسيحه محب البشر . الآن يحدثنا الرسول عن مركزه كمواطن حتى يشعر بالتزاماته نحو وطنه بروح التواضع والإحترام . فإن كان المؤمن يدرك أن قلبه قد إنطلق نحو السماء ليجد له فيها موطناً أبدياً ، فهذا يزيده إلتماً بالخضوع والحب ليشهد للوطن السماوى خلال سلوكه العملى .

- ١ - الخضوع للسلطين . ١ - ٥ .
- ٢ - أمانته نحو الوطن . ٦ - ٧ .
- ٣ - إلتماه بحب القريب . ٨ - ١٠ .
- ٤ - إستعدادنا للوطن السماوى ١١ - ١٤ .

+ + +

١ - الخضوع للسلطين

« لتخضع كل نفس للسلطين الفائقة ، لأنه ليس سلطان إلا من الله ، والسلطين الكائنة هي مرتبة من الله ، حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة » ع ١ ، ٢ .

بلاشك كانت علاقة اليهود الحكام - غير الإسرائيليين - تمثل مشكلة ، إذ تمسكوا بحرفية الوصية الموسوية : « إنك تجعل عليك ملكاً الذى يختاره الرب إلهك ، من وسط إخوتك تجعل عليك ملكاً ، لا يحل لك أن تجعل رجلاً أجنبياً ليس هو أخاك » تث ١٧ : ١٥ . لقد أساء اليهود فهم هذه العبارة فكانوا يقاومون السلطات أينما وجدوا ، وكانوا مثيرى شغب فى روما حتى إضطرت الإمبراطور كلوديوس قيصر إلى

طردهم من روما (أع ١٨ : ٢) حوالى عام ٤٩ م . لقد إرتبطت العقيدة الدينية فى ذهن اليهودى بالسياسة ، فحسبوا أن المسيا المخلص قادم لإنقاذهم من السلطة الرومانية وبسط نفوذهم على مستوى العالم ، الأمر الذى دفعهم إلى صلب ربنا يسوع المسيح إذ لم يجدوا فيه سؤل قلبهم . أما المسيحى فكمؤمن حقيقى يدرك أن السماء هى دائرة إهتمامه الداخلى ، كقول الرسول : « فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فأطلبوا مافوق حيث المسيح جالس عن يمين الله ، إهتموا بما فوق لا بما على الأرض » كو ٣ : ١ ، ٢ . هكذا ينسحب قلبه إلى السمويات مدركاً أن حياته كلها فى يدي الله ضابط الكل . هكذا لايطمع المسيحى كمؤمن فى مراكز زمنية ولا يرتبط إيمانه بالسياسة ، إذ يرى فى كنيسته ليست مؤسسة زمنية وإنما « حياة سماوية » ، لاتدخل فى السياسة ، وإنما تقبل الكل بروح الإلتضاع والخضوع والحب فى الله .

كتب الرسول بولس : « لتخضع كل نفس للسلطين ، لأنه ليس سلطان إلا من الله ، والسلطين الكائنة هي مرتبة من الله » ع ١ ، وذلك فى الوقت الذى كان فيه نيرون يضطهد الكنيسة بكل عنف ، إذ كان يؤمن ان نيرون أيضاً - بالرغم من شوه - قد أقيم بسماح إلهى لخير الكنيسة ، وليس عمل الكنيسة أن تقاومه لا فى الظاهر ولا بالقلب ، إنما ترد مقاومته بالحب والخضوع فى الأمور الزمنية مادامت لاتمس إيمانها بالله .

جاء في سفر الأمثال : « بى تملك الملوك ، وتقضى العظماء عدلاً ، بى تترأس الرؤساء والشرفاء ، كل قضاة الأرض » أم ٨ : ١٥ ، ١٦ ، « قلب الملك فى يد الرب كجداول مياه حيثما شاء أن يميله » أم ٢١ : ١ ، لهذا لا تكف الكنيسة عن أن تصلى من أجل .. من أو الملك ومشيريه ررجاله لكى يعطيهم الرب سلاماً وحكمة

يحدثنا القديس يوحنا الذى فى الفهم عن خضوع الكنيسة للحكام ، قائلاً : [إن كان يليق بنا أن نجازى الذين يضروننا بالخير فكم بالحرى يليق بنا أن نطيع من هم نافعون لنا ؟ لقد أظهر (الرسول) أن هذه التعليمات تشمل الكل كالكهنة والرهبان وليس فقط الذين يمارسون أعمالاً عالمية إذ يقول : « لتخضع كل نفس للسلطين الفائقة » ع ١ . فإن كنت رسولاً أو انجيلياً أو نبياً ، أو أ: كنت فلتعلم ان هذا ليس بدمراً للدين (٣٤٤)] .

يفسر لنا القديس يوحنا الذهبى الفهم موضعاً اننا نلتزم بالخضوع للرؤساء والحكام لأن هذا التدبير هو من الله ، لابعنى كل ملك أو مسئول أقيم من عند الله وإنما التدبير ذاته هو من الله ، إذ يقول : [ماذا تقول ؟ هل كل حاكم إختاره الله ؟ يجيب : لست أقول هذا ، فإننى لا أتحدث عن أفراد وإنما عن المركز نفسه ، إذ يجب أن يرجد حكام ومحكومين ، حتى لا تفسر كل الأمور بـ إرباك ، فيصير الناس كالأمواج - يتخبطون من هـ وهناك ، هذا ما أقول عنه انه حكمة الله . لذلك لم يقل : « لأنه ليس حاكم إلا من الله » وإنما يقول : « ليس سلطان إلا من الله » . وذلك كما يقول الحكيم : « زواج الرجل بإمرأة من عند الرب » أم ١٩ : ١٤ (الترجمة السبعينية) ، بمعنى أن الله أوجد الزواج لكن فى هذا لايعنى أنه هو الذى يأتي بكل رجل يتزوج بإمرأة. فإننا نرى كثيرون يتزوجون للشر تحت شريعة الزواج ، هذا لانسبه الله] .

يكمل القديس يوحنا الذهبى الفهم مظهراً ان الخضوع هنا ليس لأجل منفعة زمنية وإنما من أجل الله نفسه . فالخضوع هنا لايعنى ضعفاً بل « طاعة فى الرب » ، لذا يليق بالمؤمن فى خضوعه أن يخاف لامن الله . وإنما من الشر : « فإن الحكام ليس خوفاً للأعمال بل الخلة بل الشريرة . اتحيد أن لا تخاف السلطان ؟ افعل

الصالح فيكون لك مدح منه ، لأنه خادم الله للصالح ، ولكن إن فعلت الشر فخف ، لأنه لا يحمل السيف عبثاً إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر . لذلك يلزم أن يُخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير » ع ٣ - ٥ .

هكذا يرفعنا الرسول من الخضوع عن خوف أو للتملق إلى الخضوع عن ضمير داخلي حق ، فيكون خضوعنا للسلطين نابعاً عن أعماقنا الداخلية ، ممارسين الخير والصالح وممتنعين عن الشر من أجل الضمير الداخلي . هكذا يلتقى خضوعنا للسلطان بتقديسنا الداخلي .

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على العبارة الرسولية السابقة ، قائلاً : [انظروا كيف يجعل منهم أصدقاء للحاكم ، مظهراً انه يمتدحهم من عرشه ، فلا مجال للغضب ليس الحاكم هو السبب في الخوف وإنما شرنا !] .

٢ - أمانته نحو الوطن

في خضوعنا للسلطان نمارس وصية إنجيلية كجزء لا يتجزأ من حياتنا الروحية هذا الخضوع لا يكون بالفم أو اللسان وإنما بالعمل الجاد ، بإيفاء الوطن حقه علينا ، فبسرور نقدم الإلتزامات ، إذ يقول الرسول : « فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً ، إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه ؛ فاعطوا الجميع حقوقهم ، الجزية لمن له الجزية ، الجباية لمن له الجباية ، الخوف لمن له الخوف ، والإكرام لمن له الإكرام » ع ٦ ، ٧ .

يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الرسول قد حوّل ما يراه الكثيرون ثقلاً إلى راحة ، فإن كان الشخص ملتزم بدفع الجزية إنما هذا لصالحه ، لأن الحكام هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه ، يسهرون مجاهدين من أجل سلام البلد من الأعداء ومن أجل مقاومة الأشرار كاللصوص والقتلة فحياتهم مملوءة أتعاباً وأسهاراً بينما تدفع أنت الجزية لتعيش في سلام يُحرم منه الحكام أنفسهم . هذا مادفع الرسول بولس أن يوصينا لا بالخضوع للحكام فحسب وإنما بالصلاة من أجلهم لكي نقضى حياة هادئة مطمئنة (١ تي ٢ : ١ ، ٢) .

هذا وان كلمة « إعطوا » هنا فى الأصل اليونانى تعنى « ردوا » ، فما نقدمه من جزية أو تكريم للحكام ليس هبة منا وإنما هو إيفاء لدين علينا ، هم يسهرون ويجاهدون ليستريح الكل فى طمأنينة .

سبق لنا الحديث بإفاضة عن الوصية الإلهية : « إعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » فى تفسيرنا مت ٢٢ : ٢١ ، ١ بط ٢ : ١٣ ، ١٧ .

هذا والجزية هنا يقصد بها ما يأخذه الحاكم على النفوس والعقارات ، أما الجباية فيأخذها على التجارة .

٣ - إلتزامه بحب القريب .

التزامنا نحو الوطن لا يقف عند الخضوع للسلطين ودفع إلتزاماتنا المادية كالضرائب وإنما يمتد أيضا لحب كل إنسان ، إذ يقول الرسول : « لاتكونوا مديونين لأحد بشيء إلا بأن يحب بعضكم بعضاً ، لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس » ع ٨ .

لايستريح المؤمن مادام عليه دين ، فيبذل كل الجهد أن يفى دين الآخرين عليه ، ولعله يقصد هنا أنه يليق بالشعب أن يفوا الحكام الدين ، لأن الآخرين يبذلون كل الجهد لأجل سلام الشعب .

على أى الأحوال يليق بنا أن نفى كل إنسان دينه ، إنما نبقى نشعر بدين الحب نحو الكل من أجل الله الذى أحبنا ، فنعيش كل حياتنا نرد حب الله لنا بحبنا للناس . وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم عن إيفاء دين الحب [يريدنا أن نبقى على الدوام نفى الدين ، ولاينتهى] . يسألنا القديس أغسطينوس ان نطلب من الله الحب حتى نقدر أن نفى الدين (٣٤٥) .

بهذا الفكر لانمارس « الحب » وحده ، إنما نكمل الناموس كله ، « لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس » ع ٨ . وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [مرة أخرى يناقش الأعمال الصالحة ، المنتجة لكل فضيلة ... إنك مدين لإخيك بالحب ، لأننا أعضاء لبعضنا البعض ؛ فإن تركنا الحب تمزق الجسد إلى

اشلاء . إذن فلتحب أخاك ، فإن كنت بصداقتك له تقتنى إتمام الناموس كله
فأنت مدين له بالحب بكونك تنتفع به [.

يوضح الرسول ذلك بقوله : « لأن لاتزن ، لاقتل ، لا تشهد بالزور ،
لا تشته ، وإن كان وصية أخرى هي مجموعة في هذه الكلمة : أن تحب قريبك
كنفسك » ع ٩ .

إذ يمتلئ القلب حباً حقيقياً إنما يمتلئ بالله نفسه الذى يشبع القلب والنفس
والعواطف والأحاسيس ، فلا يحتاج الإنسان إلى ملذات العالم وإغراءاته ولا شهوات
الجسد ولا خداعات الخطية لثملاً حياته . الحب مشبع للكيان الإنسانى ، ومبهج
للحياة !

بالحب أيضا نلتقى مع السيد المسيح محب البشر ، فتصير الوصايا الإنجيلية هي
ناموس حياتنا الداخلية ، عندئذ يكمل فينا الناموس بكونه وصايا سهلة وهينة .

يكمل الرسول حديثه ، قائلاً : « المحبة لاتصنع شراً للقريب ، فالمحبة هي
تكميل الناموس » ع ١٠ .

المحبة وهي أم كل فضيلة ، ترفع الإنسان في أعماقه فوق كل شر ، ليحيا بالروح
مكماً الناموس .

+ حيث يوجد الحب ماذا نحتاج بعد ؟ وحيث لا يوجد الحب فأى شيء
يمكن أن يكون نافعا ؟ ! فإن الشيطان يؤمن (يع ٢ : ١٩) لكنه لا يحب ،
لكن ليس أحد يحب مالم يؤمن .

القديس أغسطينوس (٣٤٦)

+ المحبة هي تكميل الناموس، مثل المسيح (الذى أكمل الناموس)... بالحب
تكمل الوصايا: لاتزن، لا تشته امرأة قريبك، تلك الخطايا التى منعت قبلاً بالخوف .

القديس أليمنضس الإسكندري (٣٤٧)

+ الحب هو بداية الفضيلة ونهايتها ، الحب هو جذورها وأساسها وقمتها . إن

كان الحب هو البداية والتكميل ، فماذا يعادلها ؟ !
القديس يوحنا الذهبي الفم (٣٤٨)

٤ - إستعدادنا للوطن السماوى

إن كان يليق بنا أن تكون أمناء بالنسبة لوطننا الأرضى فنخضع للسلطين ونقدم لهم الكرامة عملياً بالحياة الفاضلة ، ونحب جميع إخواننا كأفئسنا فإن هذا الإلتزام ينبع عن أعماقنا الملتبهة بحب الوطن السماوى ، وشوقنا الدائم للأستعداد للإنتلاق إليه .

يقول الرسول : « هذا وانكم عارفون انها الآن ساعة لنستيقظ من النوم ، فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا » ع ١١ .

لكن أمناء ومحبين لكل لأن أيا منا على الأرض مقصرة ، هى مجرد « ساعة » ، وكأنها ساعة نوم نستيقظ لنجد أنفسنا مع الله وجهاً لوجه فى ملكوته السماوى أبدياً .

يشعر الرسول أن كل يوم ينقضى إنما يدخل به إلى الأبدية مقرباً من نهاية حياته الزمنية لينعم بشهوة قلبه كأنه يتربح خروجه من العالم يوماً وراء يوم ، وساعة بعد ساعة ! هذه هى إحساسات الكنيسة الأولى ، إذ نسمع : « الوقت منذ الآن مقصر » ١ كو ٧ : ٢٩ ؛ « نهاية كل شئ قد إقتربت » ١ بط ٤ : ٧ ؛ « هى الساعة الأخيرة » ١ يو ٢ : ١٨ .

+ لقد إقتربت القيامة ، إقتربت الدينونة الرهيبة ، إقترب اليوم الذى يحرق كأتون . لذلك وجب علينا أن نتحرر من تغافلنا

أنظر كيف يضع القيامة قرية جداً منهم ، فالأيام تتقدم لينتهى زمان حياتنا الحاضرة ، والحياة العتيدة تقترب فإنه لا يلىق أن يكونوا فى بداية سعيهم غير ملتبيين غيرة وقد بلغ شوقهم كمال شدته ليفتروا فى غيرتهم مع مرور الزمن إنما يجب أن يحدث العكس ألا أن يتراخو بعامل الزمن وإنما أن يزدادوا قوة أكثر فأكثر . فكلما إقترب مجيء الملك يلزم بالأكثر أن يستعدوا ؛ كلما إقتربت المكافأة بالأكثر

يصحون في صراعهم كما يحدث في المباريات حيث يزداد حماس المتسابقين كلما إقتربت نهاية المباراة .

القديس يوحنا الذهبي الفم (٣٤٩)

يكمل القديس بولس حديثه ، قائلاً : « قد تنهى الليل وتقارب النهار ، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور ، لنسلك بلياقة كما في النهار ، لا بالبطر والسكر ، لا بالمضاجع والعهر ، ولا بالخصام والحسد ، بل إلبسوا الرب يسوع ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات » ع ١٢ - ١٤ .

يرى القديس بولس ان ليل الحياة الحاضرة يتناهى لكى يقترب نهار الأبدية التى بلا ليل ، لذا لاق بنا أن نتهياً لهذا النهار فنحمل فينا السيد المسيح « شمس البر » ، نلبسه فيحطم فينا كل أعمال الظلمة ، مشرقاً علينا بأعماله المقدسة كأسلحة نور .

يشبه القديس غريغوريوس (الكبير) الرسول بولس هنا بالديك الذى يعطى صوتاً جميلاً لنستيقظ عند إنتهاء الظلمة وحلول النهار فى الفجر (٣٥٠) .

+ لتمامس حياتنا هنا الآن بنفس الطريقة التى سنحياها فى النهار ، أى فى العالم العتيد

القديس جيروم (٣٥١)

+ إن كانت الظلمة قد رحلت عن صدرك ، إن كان الليل قد تبدد من هناك ، إن كان الظلام قد طُرد ، إن كان بهاء النهار قد أثار حواسك ، إن كنت قد بدأت أن تكون إنسان النور فلتمارس أعمال المسيح ، لأن المسيح هو النور والنهار .

القديس كبريانوس (٣٥٢)

+ يليق بنا أن نترك الأعمال نفسها تصرخ عالياً ، إذ تجعلنا نسير فى النهار ، إذ تضىء أعمالك (مت ٥ : ٦) .

القديس أكليمندس الإسكندري (٣٥٣)

+ « بل إلبسوا الرب يسوع المسيح » ع ١٤ .

نلبسه عندما نحب الفضيلة ونبغض الشر ؛ عندما ندرب أنفسنا على العفة ونميت شهواتنا ؛ عندما نحب البر لا الإثم ؛ عندما نكرم القناعة ويكون العقل راسخاً ؛ عندما لا ننسى الفقير بل نفتح أبوابنا لجميع البشر ، عندما نقبل إتضاع الفكر ونبذ الكبرياء .

القديس البابا أثناسيوس الرسولي (٣٥٤)

+ « قد تنهى الليل وتقارب النهار » ع ١٢

إذ أوشك هذا (الليل) على النهاية وإقترب الأخير يلزمنا أن نمارس الأعمال التي تخص الأخير لا الأول

إذ يرحل الليل تماماً يسرع كل منا نحو الآخر ، قائلاً : لقد حلّ النهار ، فنمارس أعمال النهار كأن نلبس ، تاركين أحلامنا ونومنا ليجدنا النهار مستعدين ... هكذا فلنخلع عنا تخيلاتنا ، ولنترك أحلام هذه الحياة الحاضرة ، ولننزع عنا النوم العميق ولنتحف بثياب الفضيلة

يقول : « فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور » ع ١٢ . نعم لأن النهار يدعونا أن نلبس الأسلحة ونحارب (روحياً) . لا تخف عند سماعك الأسلحة ، لأن العدة المنظورة ثقيلة وارتدائها مضني ، أما السلاح هنا فمرغوب فيه يستحق أن نصلي لنواله ، لأنها أسلحة من نور ! إنها تجعلك أكثر بهاءً من أشعة الشمس وتهيك بريقاً عظيماً ، وتقدم لك أماناً إنها أسلحة النور !

« لنسلك بلياقة كما في النهار » ع ١٣ لم يقل : « إسلخوا » ، بل قال « لنسلك » ليجعل حثه بعيداً عن التعقيد وتوبيخه لطيفاً !

« بل إلبسوا الرب يسوع المسيح » ع ١٤, لا يحدثهم عن أعمال معينة وإنما يثير فيهم أموراً أعظم ، لأنه حينما تحدث عن الرذيلة أشار إلى أعمالها أما وهو يتحدث عن الفضيلة فلا يشير إلى أعمالها بل إلى أسلحتها ليظهر أن الفضيلة تجعل صاحبها في آمان كامل وبهاء عظيم إنه يقدم الرب نفسه كثوب ، الملك نفسه ، من يلتحف به تكون له الفضيلة مطلقاً .

القديس يوحنا الذهبي الفم (٣٥٥)



إن كانت الكنيسة هي مستشفى لعلاج كل مريض وليست محكمة لإدانة الناس ، فإنه يليق بالمسيحي أن يترفق بأخيه الضعيف في الإيمان ليسده بروح الحب لا الإدانة حتى يسير الكل في طريق الخلاص ، وينعم الكل بالشركة مع الله .

- | | |
|------------------------------|-----------|
| ١ - قبول الضعيف بلا ازدراء | ١ - ٩ . |
| ٢ - عدم إدانة الإخوة | ١٠ - ١٣ . |
| ٣ - ملكوت الله وعثرة الضعفاء | ١٤ - ٢٣ . |

+ + +

١ - قبول الضعيف بلا إزدراء

نود قبل إستعراض حديث الرسول بولس أن نفهم ماذا يقصد بالأخ الضعيف .
أ - يرى القديس يوحنا الذهبي الفم (٣٥٦) ان الرسول بولس يعالج هنا مشكلة قامت بين اليهود المتنصرين وبعضهم البعض ؛ إذ كان البعض يخشى لئلا في أكلهم اللحوم يأكلون لحم خنزير وهم لا يدرون فيكونوا كاسرين للناموس ، وإذا كان ضميرهم متشككاً تظاهروا بالصوم والتقشف فإمتنعوا عن أكل اللحوم بالكلية ، بينما آخرون أدركوا انهم في المسيح يسوع نالوا الحرية من هذه الطقوس الحرفية فصاروا بأكلون اللحوم أيا كانت ، ودخلوا في صراع فكري ومناقشات مع إخوتهم المتظاهرين بالصوم ، وهم في الحقيقة ضعيفوا الإيمان .

في حكمة لم يرد الرسول أن يدخل في هذا الصراع وإنما حسب أن أمر الأكل أتفه من أن يشغل فكر المسيحيين ووقتهم ، فصار مقاوماً لا لفكر هؤلاء ولا أولئك وإنما يقاوم الصراع ذاته القائم بين الفريقين .

بحكمة أيضاً ظهر الرسول كمن ينتهر الأقوياء الذين لا تتشكك ضمائرهم من جهة أنواع اللحوم لإزدرائهم بإخوتهم الضعفاء الذين يتشككون من أجل أحكام الشريعة الموسوية التي عاشوا تحت سلطانها زماناً قبل الإيمان المسيحي ويصعب عليهم التخلص منها ، لكنه في إنتهاره هذا لم يعرج عن الحق إذ كشف بلطف عن ضعف الضعفاء وتشككهم مقدماً لهم العلاج بطريقة غير مباشرة بدعوتهم « ضعفاء » مظهراً أنهم فاقدوا الصحة ومحتاجون أن يستندوا على الروح ليصيروا أقوياء .

ب — يرى البعض انهم مجموعة من المتنصرين من الفرقة اليهودية التي تسمى بالأسينية ، وكانوا يميلون الى قهر الجسد بنسك شديد ، وقد أشار اليهم الرسول بولس في كو ٢ : ١٦ — ٢٣ . هذا ويقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس في حديثه عن يهود روما أن بعضهم امتنع عن أكل اللحوم تماماً خشية أن يتدنسوا بما هو نجس منه .

ح — يرى البعض ان هؤلاء الاخوة هم الذين حرّموا أكل اللحم وشرب الخمر للذين قدما في الهياكل الوثنية أولاً ثم عرضا في السوق (كو ٩ : ٤ — ١٣) .

على أى الأحوال فإن ما ورد في هذا الأصحاح هو دستور حتى للمعاملات بين الإخوة في الكنيسة المتفاوتة القامة الروحية ، يكشف عن التزام الكل بترك المناقشات الغبية في الصغائر والإهتمام بما هو لبنيان الكل بروح الحب الخالي من كل إزدراء أو إدانة .

يقول الرسول : « ومن هو ضعيف في الإيمان فإقبلوه لا لمحاكمة الأفكار ؛ واحد يؤمن أن يأكل شيء وأما الضعيف فيأكل بقولاً ، لا يزدر من يأكل بمن لا يأكل ، ولا يدن من لا يأكل من يأكل ، لأن الله قبله » ع ١ — ٣ .

يلاحظ في هذا النص الرسولي وما يليه في هذا الشأن (ع ١ — ٩) الآتي :

أولاً : إن كان أحد في ضعف إيمانه متشككاً من جهة أكل اللحوم التي يحسبها الناموس نجاسة ، فهو وإن كان ضعيفاً لكنه مقبول لدى الله ، فلا يليق رفضه ، إنما تقبله الكنيسة دون أن تحطمه بمناقشات تحطم حياته .

ثانياً : يقول الرسول « لا يزدِر » القوى بالضعيف ... فقد يوجهه أو يحثه على ما هو أفضل لكن دون تشكيكه في أمر خلاصه ، ودون الاستخفاف به . والعجيب ان الرسول بولس وهو يمثل الانسان القوى الإيمان من جهة عدم تشكيكه سامياً فوق الأعمال الناموسية الحرفية خضع لهذه الأعمال ليس من أجل ضميره هو وإنما من أجل ضعفاء الإيمان حتى لا يعثروا بسببه ، اذ يقول : « فإني إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفى للجميع لأربح الأكثرين ، فصرت لليهود كيهودى لأربح الناموس ، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس ... صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء ، صرت لكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً » ١ كور ٩ : ١٩ - ٢٢ .

يحدثنا الأب يوسف في نفس الأمر ، قائلاً : [بالتأكيد لم يكن مفيداً أن يختن تيموثاوس ، ولا أن يخلق (الرسول) رأسه ، ولا أن يتبع التطهيرات اليهودية ، ولا أن يسير عارى القدمين ، ولا أن يدفع النذور الشريعية ، إنما فعل هذا لأنه يطلب لا ما لنفسه بل ما هو للكثيرين ^(٣٥٧)] .

ثالثاً : يقول الرسول : « لا يدن من لا يأكل من يأكل » ، فإن الضعفاء في الإيمان الذين تشككوا من جهة الأطعمة المحرمة ناموسياً صاروا يدينون اليهود المتنصرين الذين لم يعودوا يخضعون لهذه التشريعات خرفياً ، وحسبوا انهم نهمون . هكذا صار الضعيف دياناً للقوى عوض مراجعته لنفسه فيما يتصرف .

رابعاً : يرى القديس أمبروسيوس ^(٣٥٨) ان المؤمن الذى يحيا في بتولية الجسد بل يتزوج يكون كمن يأكل بقولاً ؛ فلا يليق بالبتول أن يزدري بالمتزوج ، ولا المتزوج أن يدن البتول ، لأن الله يقبل هذا وذاك إن سلكا بروح الإيمان المملوء حباً .

يتحدث القديس أكليمنخس الاسكندري عن الطعام في حياة المؤمن مظهراً انه يليق بنا ألا نهتم بالأطعمة الشهية حتى في إضافتنا للغذاء ، إذ يقول : [الطعام الحق

هو تقديم الشكر . فمن يقدم التشكرات لا يشغل وقته بالملذات . إن أردنا أن نحث أحد ضيوفنا على الفضيلة فلنحجم عن تقديم الأطباق الشهية ، فنظهر مثلاً بهياً للفضيلة ، إذ نعلن حبنا له في المسيح^(٣٥٩) .

خامساً: يكمل الرسول حديثه: «من أنت تدين الذى عبد غيرك؟ اهو لمولاه يثبت أن يسقط ، ولكنه سيثبت لأن الله قادر أن يثبت» ع ٤ . هنا يوجه الحديث للشخص الضعيف الذى يدين أخاه لأنه يأكل متهماً إياه النهم ، حاسبا في تصرفاته أنه إنسان ساقط ، فيضع نفسه موضع مولاه ليحكم على الآخرين ... بينما يهتم المولى نفسه ليثبت المؤمنين .

بقوله « هو لمولاه يثبت أو يسقط » يعنى ان ثبوت الانسان فى الإيمان يحسبه المولى مكسباً له ، وسقوطه يحسبه خسارة ، فالأمر خاص بالله نفسه الذى هو سيد الكل ، الذى يشاق أن يربح لنفسه كل إنسان .

لنتنا ندرك هذا فندرك مدى شوق الله لثبوتنا فيه وثبوت إخوتنا العبيد معنا فيه ... هو المهتم الأول عن خلاص الكل ، إن صح هذا التعبير !

سادساً : « واحد يعتبر يوماً دون يوم وضاحر يعتبر كل يوم ، فليتيقن كل واحد فى عقله » ع ٥ .

ماذا يقصد الرسول باليوم هنا ؟

يرى البعض انه يطبق ذات المبدأ الخاص بالأطعمة المحللة والأطعمة المحرمة حسب الشريعة اليهودية على الأعياد اليهودية والمواسم حسب الشريعة ، هل يحفظها اليهود كأيام مقدسة أم يرون كل الأيام مقدسة ؟ هذا ويرى القديس يوحنا الذهبى الفم انه يلح على الأصوام اليهودية ... على أى الأحوال نجده هنا يطالب كل مؤمن « أن يتيقن كل واحد فى عقله » ، بمعنى ان يحكم عقله وضميره فى هذا الأمر .

يتساءل القديس يوحنا الذهبى الفم عن السبب لماذا يتحدث الرسول مع أهل رومية لهذا الأسلوب فيعطى لكل واحد الحرية فى الحكم فى هذا الأمر مع أنه يشدد جداً فى ايضاح الحق فى رسائل أخرى مؤكداً عدم الإلتزام بالأعياد والمواسم اليهودية ،

إذ يقول : « أنظروا ان لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب اركان العالم وليس حسب المسيح ... فلا يحكم عليكم أحد في الحل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت » كو ٢ : ٨ ، ١٦ ؟ ويجب بأن كنيسة روما قد وصلتها رسالة الإيمان مؤخراً ولم يكن المؤمنون هناك قادرون على البت في هذه الأمور ، فأراد الرسول ألا يحدث إنشقاقات بسبب حفظ الأعياد اليهودية والشرائع الموسمية أو الإمتناع عنها . هذا ويمكننا أن نضيف بأن الرسول أراد أن ينتظروا حتى مجيئه ليكشف لهم أسرار الإيمان المسيحي فيرتفع بالكل فوق هذه الشرائع الموسمية لا كأمر رسولي يلزم طاعته بلا فهم ، وإنما كفكر إنجيلي رسولي يتذوقونه ويدركوه خلال حديثه معهم فمألفهم .

هذا ولعل الفارق بين حديثه هنا وحديثه في الرسالة إلى أهل كولوسي ، أن الرسول هنا يكتب بخصوص الشعب البسيط الذي قد بدأ طريق الإيمان ، أما في حديثه إلى أهل كولوس فهو يحذر من المعلمين المنشقين الذين يثبون فكر التهود عن عمد وبقوة ، فيسيبون بلبلة فكرية على نطاق واسع . هناك فارق بين مؤمن يتشكك ضميره لأنه عاش زمانه القديم يمارس أعمال الناموس الحرفية وبين معلم يتحدث عن عمد ويكرز بالعودة إلى الحياة الناموسية في حرفيتها كفكر تلتزم به الكنيسة .

هذا ونحن لا نريد الدخول هنا في الحديث عن التدبير الكنسي من جهة الأعياد الكنسية والأصوام بفكر إنجيلي وإختلافه تماماً عن الفكر الناموسي الحرفي ... الأمر الذي أتركه للحديث عنه في تفسير الرسالة إلى أهل كولوس إن شاء الرب وعشنا .

نعود إلى حديث الرسول بولس هنا لنراه يود أن يرفع المؤمنين في هذه الكنيسة الناشئة عن الصراع في أمر الأعمال الناموسية الحرفية ليهتم الكل لا بهذه الأمور وإنما بالشكر لله ، قائلاً « الذي يهتم باليوم للرب يهتم ، والذي لا يهتم باليوم للرب لا يهتم ، والذي يأكل للرب يأكل لأنه يشكر الله ، والذي لا يأكل للرب لا يأكل ويشكر الله » ع ٦ . هكذا يظهر الرسول صدق نية الكل سواء الذي في ضعف لا يقدر أن يتخلى عن إلتزامه بأعمال الناموس كحفظ الأعياد والأصوام اليهودية أو الذي تحرر عن هذا الحرف ، لذا لاق بالكل أن يشكر الله عوض الدخول في مجادلات .

هذه العبارة أيضا ربما تكشف عن عادة المسيحيين منذ العصر الرسولي وهو تقديم صلاة شكر لله عند تناولهم الطعام .

سابعاً : في حكمة عجيبة سحب الرسول الطرفين من النقاش في هذا الأمر يكشف لهما أن أمور الكل تشغل الله نفسه الذي إقتنانا بالدم الكريم ، فيحسبنا خاصته ، فإن عشنا له بالإيمان حسب ذلك رجاء إلهياً وإن متنا بفقدان الإيمان حسبه خسارة . يقول الرسول : « لأن ليس أحد منا يعيش لذاته ، ولا أحد يموت لذاته ، لأننا إن عشنا فللرب نعيش ، وإن متنا فللرب نموت ، فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن ، لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يسود على الأحياء والأموات » ع ٧ - ٩ .

يقول : القديس يوحنا الذهبي الفم : [بهذا جعل الأمر أكثر وضوحاً . كيف يمكن لمن يعيش لأجل الناموس (مستعبداً لحرفيته) أن يعيش للمسيح ؟ ... إننا لسنا أحراراً بل لنا سيد يريدنا أن نحيا ولا يشاء لنا الموت ، فإن هذه الأمور تخصه هو أكثر منا . بقوله هذا يظهر أن الله مهتم بنا أكثر من إهتمامنا نحن بأنفسنا ، فيحسب حياتنا رجاءاً له موتنا خسارة . نحن لا نموت لأنفسنا وحدنا بل لسيدنا . هنا يقصد الموت عن الإيمان . على أى الأحوال هذا يكفى لإقناعنا أنه مهتم بنا ، اننا نعيش له ونموت له . لم يكتفِ الرسول بذلك وإنما يردف ، قائلاً : « فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن » عابراً بنا الى الموت الجسدى ... مقدماً إشارة عظيمة عن إهتمامه بنا (٣٦٠)] .

يكمل القديس يوحنا ذهبي الفم تعليقه قائلاً بأن الله كسيد فهتم بخلاصنا ؛ لا يحتقر عبيده ، مقدماً حبه لهم لا بالمال وإنما بحياته ، إذ صار هو نفسه خلاصنا . قدم دمه فدية كثر من عظيم ، مظهراً قوته غير المنطوق بها ... فكيف نتركه بعد هذا كله لنرتد الى أعمال الناموس الحرفية ؟ !

لقد مات وقام لكي يهبنا الحياة ، فنحسب أنفسنا مدينين له بحياتنا ، سواء في وجودنا هنا في هذا الزمان الحاضر أو إنتقالنا منه . يقول الرسول : وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام » ٢ كو ٥ : ١٥ .

٢ — عدم إدانة الإخوة

إن كان الرب قد قدم دمه الثمين سرّ خلاصنا ، به نحيا وبه نتشدد في جهادنا ، فقد صرنا بكليتنا في ملكيته ... بهذا المفهوم لا يليق بنا إلا أن نسلم كل أحاسيسنا ومشاعرنا لذلك الذى إفتدانا عوض الإنشغال بإدانة الآخرين ، الذين هم أيضاً ليسوا ملك أنفسهم بل ذاك الذى فدى الكل .

إدانتنا لإخوتنا تفسد حياتنا وتسيء الى الهنا كما الى إخوتنا . فمن جهة تفسد أعماقنا إذ تحمل إزدراء بالإخوة عوض إتساع القلب لهم ، وتسيء إلى الله بكونه هو الديان الذى يخضع الكل له مقدماً حساباً عن نفسه وأخيراً تعثر الآخرين . هذا ما أعلنه الرسول بقوله :

« وأما انت فلماذا تدين أخاك ؟

أو أنت أيضاً تزدرى بأخيك ؟

لأننا جميعاً سنقف أمام كرسي المسيح ، لأنه مكتوب : أنا حتى يقول الرب انه لى ستجثو كل ركبة وكل لسان سيحمد الله .

فإذا كل واحد منا سيعطى عن نفسه حساباً لله .

فلا نحكم أيضاً بعضنا بعضاً بل بالحرى أحكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة أو معثرة » ع ١٠ — ١٣ .

إنه يسأل الأخ الضعيف الذى يتشكك ضميره بخصوص الطقوس اليهودية الحرفية ألا يدبّن أخاه القوى الذى إرتفع فوق حرفية الناموس ، كما سأل الأخير ألا يستخف . بالأول ... فلا ينحصر كل منهما في تصرفات الآخر ، بل يتطلع الكل الى ذاك الذى يدين الجميع ، والذى يخضع له كل حتى (إش ٤٥ : ٢٣) .

هنا يقتبس الرسول ما ورد في إشعياء عن الله (٤٥ : ٢٣) لينسبه للسيد المسيح يكونه الله الكلمة الديان .

٣ - ملكوت الله وعثرة الضعفاء

ينقلنا الرسول بولس من الإنشغال بإدانة الآخرين أو الإستخفاف بالإخوة الى الوقوف أمام كرسي الله لا لنشعر بمهابة ذلك اليوم فحسب ، وإنما لكي ترتفع أفكارنا على الدوام الى « ملكوت الله » الذى يلزم أن ننعم به جميعاً . خلال هذا الملكوت نهتم بأمر واحد هو شركتنا جميعاً مع الله فى المسيح يسوع بروحه القدوس .

يقول الرسول : « الى عالم ومتيقن فى الرب يسوع ان ليس شيء نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس » ع ١٤ ... هنا يقدم الرسول تصريحاً واضحاً من قبل ربنا يسوع ان كل شيء هو طاهر للطاهرين ، ويصير نجساً للنجسين . خليفة الله طاهرة ، إن أكلناها بدون تشكك تحسب طاهرة ، لكن إن تشككنا بسبب الناموس الذى ميز بين أطعمة محللة وأخرى نجسة كرموز وقتية تحققت فى الأصل وتلاشت عندئذ تصير الأطعمة نجسة ، وأيضاً إن تشككنا انها قدمت للأوثان كذبائح تصير نجسة لا لسبب إلا لتشكك ضميرنا . هذا ما أكدته الرسول لأهل كورنثوس : « كل الأشياء محل لى لكن ليس كل الأشياء توافق ... كل ما يباع فى الملحمة كلوه غير فاحصين عن شيء من أجل الضمير ، لأن للرب الأرض وملأها ؛ وإن كان أحد من غير المؤمنين يدعوك وتريدون أن تذهبوا فكل ما يُقدم لكم كلوا منه غير فاحصين من أجل الضمير ، ولكن إن قال لكم أحد هذا مذبوح لوثن فلا تأكلوا من أجل ذاك الذى أعلمكم والضمير ... أقول الضمير ، ليس ضميرك أنت بل ضمير الآخر » ١ كو : ٢٣ - ٢٩ .

إذن ليس فى خليفة الله شيئاً نجساً ، لهذا فإن الكنيسة فى أصوامها تؤكد أنها لا تمتنع عن الأطعمة بكونها نجسة وإلا حسب ذلك بدعة وإنحراف عن الحق (١ تي ٤ : ٣ ، ٤) ، إنما يكون الصوم لأجل قمع الجسد وتدييره حسناً تحت قيادة الروح القدس (٣٦١) .

حقاً إن كل شيء طاهر لكن الذى يفسده هو روح الإنسان الذى يتشكك فى استخدام الأشياء الصالحة بطبيعتها كأشياء دنسة فتصير بالنسبة له هكذا... أما القوى وإن كان لا يتشكك بضميره القوى لكنه من أجل المحبة ، حتى لا يهلك أخوه الذى مات المسيح عنه يمتنع عن هذه الأطعمة ، كما يوصينا الرسول : « فإن كان أخوك

بسبب طعامك يحزن فلست تسلك بعد حسب المحبة ؛ لا تهلك بطعامك ذلك الذى مات المسيح لأجله » ع ١٥ . فى موضع آخر يقول الرسول : « الطعام لا يقدمنا الى الله ، لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص ، ولكن أنظروا لئلا يصير سلطانكم هذا معثرة للضعفاء ... إن كان طعام يعثر أخى فلن آكل لحمًا الى الأبد لئلا أعثر أخى » ١ كو ٨ : ٨ - ١٣

وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [إحتفاظ ايلانسان بالطعام (دون تشكك) ليس بالأمر الأهم من حزن أخيك . أنظر كيف يركز (الرسول) على المحبة ، ذلك لأنه يعلم أن المحبة تفعل كل شيء ... أما تقدر أخاك فتقتنى خلاصه بامتناعك عن الأطعمة ؟ فإن المسيح لم يمتنع عن أن يصير عبداً بل وأن يموت من أجله ، أما أنت فلا تستخف بالطعام من أجل خلاصه ... إنه لم يمت من أجل الضعيف فقط وإنما من اجل العدو أيضا ، أفلا تمتنع عن الطعام من أجل الضعيف ؟ قدم المسيح ما هو أعظم ألا تقدم ما هو أقل ؟] (٣١٢) .

« فلا يفتر على خلاصكم ، لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً ، بل هو برّ وسلام وفرح فى الروح القدس » ع ١٧

إن كان أمر خلاص أخيك يشغل كل كيائك لا تنشغل بأمر الأطعمة ، بل من أجله أترك الطعام الذى يعثر حتى لا تعطى فرصة أيضاً للغير أن يفتر على صلاح فكرك (عدم التعثر بالأطعمة) ... بمعنى آخر حتى وإن كنت من جهة الصلاح لا تتشكك فى الأطعمة لكن بعثرتك للضعيف يتعثر الآخرون فيك ، لان نفس أخيك أثمن من طعامك أو عدمه .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم بانه عندما يصارع المؤمن ويتماحك بسبب الأطعمة ، فهذا النزاع يسبب إنشقاقاً فى الكنيسة بانتهاز الاخوة الممتنعين عن الأطعمة فينطق الذين فى الخارج بالشر على الكنيسة وعلى صلاحك الذى هو المحبة والوحدة بين الإخوة والسلام واللفظ الخ ...

إذن لنشهد ملكوت الله لا بانقسامنا فى أمور ثانوية كالطعام وإنما بإتحادنا برباط الحب الحقيقى وتجلي ثمار الروح فىنا الذى هو البرّ والسلام والفرح .

+ أفضل شيء أن نقتنى ملكوت الله ... بمجتمع المحبة المقدسة ، الكنيسة السماوية ؛ فإن المحبة هي أمر نقي يؤهل لله ، عملها بركة .

القديس اكيمنديس الاسكندري (٣٦٣)

+ إن كان ملكوت الله داخلنا (لو ١٧ : ٢١) ، وهو برّ وسلام وفرح (رو ١٤ : ١٧) ، فإن من يتمم هذه يكون في ملكوت الله . وعلى العكس من يعيش في الشر والنزاع والحزن الذي للموت يكون في ملكوت الشيطان وفي الحميم والموت . بهذا ملكوت الله عن ملكوت الشيطان .

+ لا يتحدث الرسول عن الفرح بغير تمييز ... بل يوضح مؤكداً نوعه أنه « في الروح القدس » رو ١٤ : ٧ ، إذ يعرف تماماً الفرح المقوت الذي نسمع عنه : « العالم يفرح » يو ١٦ : ٢٠ ، « ويل لكم أيها الضاحكون لأنكم ستحزنون وتبكون » لو ٦ : ٢٥ .

الأب موسى (٣٦٤)

ما هو ملكوت الله الذي يتحدث عنه الرسول هنا ؟

+ يليق بنا بالحق أن ننظر الى ملكوت السموات من جوانب ثلاثة :

إما انه ما سيملكه القديسون حين تخضع لهم الأمور ، كما قيل : « فليكن لك سلطان على عشر مدن ... ولكن أنت على خمس مدن » لو ١٩ : ١٧ ، ١٩ وما قيل للتلاميذ : « وتجلسون أنتم أيضاً على إثني عشر كرسيّاً تدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر » مت ١٩ : ٢٨ .

أو يعنى أن السموات يملكها السيد المسيح ، حيث : كل الأشياء « تخضع له » ، ويكون الله « الكل في الكل » ١ كو ١٥ : ٢٨ .

أو أن القديسين سيملكون مع الله في السموات .

الأب موسى (٣٦٥)

لنهتم بملكوت الله — أى يملك فينا ، أو نملك نحن به — فوق كل إعتبار ، لكى بهذا نُحسب مرضيين عند الله مزكين عند الناس لأن من خدّم المسيح فى هذه (البرّ والسلام والفِـرَاحِ - "روح القدس) فهو مرضى عند الله ومزكى عند الناس « ع ١٨ .

أخيراً يختم حديثه مطالباً بالعمل الإيجابى البناء لكل نفس ، قائلاً :
« فلنعكف إذاً على ما هو للسلام وما هو للبيان . . . لبعض .
لا تنقض لأجل الطعام عمل الله .

كل الأشياء طاهرة لكنه شر للإنسان الذى يأكل بعثرة .
حسن أن لا تأكل لحماً ولا تشرب خمراً ولا شيئاً يصطدم به أخوك أو يعثر أو يضعف إيمانك ؟ فليكن لك بنفسك أمام الله . طوبى لمن لا يدين نفسه فى ما يستحسنه . وأما الذى يرتاب فإن أكل يدان لأن ذلك ليس من الإيمان ، وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية « ع ١٩ — ٢٣ .

إذن لتكن غايتنا هو حفظ سلام الكنيسة ووحدةها بعيداً عن الإنشقاقات . فانه ليس بنيان للكنيسة وتثبيت لعملها بدون السلام والمحبة الأخوية .

+ + +



« سرّ المسيح » عند الرسول بولس هو إنفتاح باب الإيمان للعالم كله ، لتمتع جميع الشعوب بخلاص المسيح المجاني . وقد جاءت هذه الرسالة في مجملها تعلن هذا السرّ ، فتحدث عن عمومية الخلاص . والآن يقدم لنا الرسول هذا الأصحاح العملي متناغماً مع فكر الرسالة كلها ، ألا وهو إلزام الكنيسة ككل وكل عضو فيها بإنفتاح القلب نحو خلاص الجميع ، محتملين الضعفاء ، مهتمين بالأمم أيا كان ماضيهم ، يسندون الرسول بصلواتهم ليحقق في حياته وكرازته إعلان هذا السرّ بالرغم من مقاومة بعض اليهود المتعصبين له :

- | | |
|----------------------------|-----------|
| ١ — إحتال الضعفاء | ١ — ٧ . |
| ٢ — إتساع القلب للأمم. | ٨ — ١٣ . |
| ٣ — مساندته في خدمة الأمم | ١٤ — ٢١ . |
| ٤ — شوقه لخدمتهم في روما | ٢٢ — ٢٤ . |
| ٥ — فهمه لعطاء الأمم . | ٢٥ — ٢٨ . |
| ٦ — جهادهم معه بالصلوات. | ٢٩ — ٣٠ . |
| ٧ — مقاومة غير المؤمنين له | ٣١ — ٣٢ . |
| ٨ — خاتمة . | ٣٣ . |

+ + +

١ - إحتال الضعفاء

« فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نرضى أنفسنا ، فليرض كل واحد منا قريه للخير لأجل البنيان ، لأن المسيح أيضاً لم يرضى نفسه بل كما هو مكتوب تعبيرات معيريك وقعت على » ع ١ - ٣ .

هذا هو « سرّ المسيح » أن كلمة الله أعلن قوته بنزوله إلينا يحمل ضعفنا لكي يرفعنا إلى كمال قوته وهائه ومجده ؛ فالمؤمن إذ يحمل فيه « سرّ المسيح » أو فكره إنما يدرك القوة الحقّة بإحتاله بالحب ضعفات الضعفاء ، مهتماً بخير قريه لأجل بنيانه ، ولا يطلب ما هو لذاته . هذا العمل ليس من عندياته ، إنما هو عمل المسيح الساكن فيه ، والذي يشترك إلى خلاص الكل .

وبلاحظ في هذه الوصية الرسولية تجاه الضعفاء الآتي :

أولاً : يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [أنظر كيف يثير إهتمامهم بمديحه لهم لا بدعوتهم أقوياء فحسب وإنما بضمهم إليه كأقوياء ... » فيجب علينا نحن الأقوياء^(٤٦٦)] .

هذا هو منهج الرسول بولس في كل كرازته وفي كل رسائله ، قبل أن يوصي يشجع ، وقبل أن يكشف الجراحات يعلن الأمور الصالحة والفاضلة فيهم ؛ فعوض أن يوبخهم هنا لأنهم يحتقرون الضعفاء ويستخفون بالأئم يعلن لهم أنهم بالمسيح أقوياء فيلزمهم أن يمارسوا عمل المسيح الفاتح أحضانه لكل ضعيف وكل أعمى بالحب لا بالإدانة !

هذا وحديث الرسول يعلن أن في الكنيسة يوجد على الدوام أقوياء وأيضاً ضعفاء ، وكما يقول القديس أغسطينوس [لا توجد الكنيسة بدونها^(١٦٧)] ... إذ يحتمل الأقوياء الضعفاء فيتزكون على عظيم محبتهم ، ويمثل الضعفاء بالأقوياء دون حسد فينمون على الدوام .

ثانياً : بقوله « لأن المسيح لم يرض نفسه بل كما هو مكتوب : تعبيرات معيريك وقعت على » يود أن يعلن لهم بطريقة غير مباشرة ، أنهم إن كانوا أقوياء إنما

لأن السيد المسيح حمل ضعفهم ، فتعيراتهم وقعت عليه ، إذ حمل عار خطاياهم ليقمهم أقوياء بعد الضعف . وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم [هل أنتم أقوياء ؟ ردوا هذا لله الذى جعلكم هكذا ، وذلك إن رأيتم ضعف المرضى بحق . فأننا نحن كنا ضعفاء أيضاً وبالنعمة صرنا أقوياء . لنعمل أيضاً بالنسبة بالضعفاء (أى نسندهم بالنعمة) (٤٦٨)] .

ثالثاً : إن كنا بالنعمة الإلهية نلنا القوة فى المسيح يسوع يليق بنا ترجمة هذه القوة عملياً ، وكما يقول الرسول : « فليرض كل واحد منا قريه للخير لأجل البنيان » ع ٢ . فى هذا يقول : القديس يوحنا الذهبي الفم : [هل أنت قوى ؟ ليختبر الضعيف قوتك . ليأت ويعرف قوتك ، إرضه . لم يقل « إرضه » هكذا بطريقة مجردة وإنما « لخير » ، وليس فقط « لخير » مجردة ، لئلا يقول الشخص المتقدم : أنظر ها أنا أسحبه لخير ! ، إنما يضيف الرسول : « لأجل البنيان » ... هذا التصرف يلزم أن يفعله « كل واحد » (٤٦٩)] .

هذه هى « القوة » الحققة فى المسيح يسوع ، أن ننزل الى الضعيف مع مسيحتنا لنحمله على منكبى الحب ونرتفع معه لنحيا معاً سالكين الحياة الصالحة لبنيان نفوسنا ونفوسهم ، أو لبنيان العالم كله فى الرب .

بهذا نرضى الآخرين للخير للبنيان ، مقدمين لا أموالنا وطاقاتنا لخدمتهم ، وإنما أيضاً نقدم قلوبنا ومشاعرنا وأحاسيسنا تشاركهم آلامهم وأتاعبهم وضيقاتهم .

رابعاً : يقدم لنا الرسول بولس السيد المسيح مثلاً تقتدى به ، إذ لم يرضى نفسه بل من أجلنا حمل تعيرتنا التى كنا نستحقها ليهبنا به . هذه هى عادة الرسول أنه يقدم لنا السيد المسيح فى كل شيء مثلاً .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [إذ كان (الرسول) يتحدث عن الصدقة قدم لنا المسيح (مثلاً) : « فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم إفتقر وهو غنى » ٢ كو ٨ : ٩ . وإذا كان يبحث على المحبة حثنا به قائلاً : « كما أحبنا المسيح » (أف ٥ : ٢٥) . وعندما نصحبنا على احتمال الحزى والمخاطر قدمه

ملجأ لنا : « من أجل السرور الموضوع أمامه إحتمل الصليب مستهيناً بالخزى »
عب ١٢ : ٢ . هكذا في هذه العبارة (رو ١٥ : ٣) يفعل ذات الشيء ،
موضحاً أن النبي سبق فأعلن عن ذلك قديماً ، بقوله : « تعبيرات معيريك وقعت
على » مز ٦٩ : ٩ . لماذا لم يقل : « أخلى نفسه » في ٢ : ٧ ؟ لأنه لم يرد أن يشر
فقط إلى تأنسه وإنما أيضاً الى إساءة معاملته وإتهامه بواسطة كثيرين والنظر اليه
كضعيف . فقد قيل : « إن كنت ابن الله فإنزل عن الصليب » مت ٢٧ : ٤٠ ،
وأيضاً : « خلّص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها » مت ٢٧ : ٤٠ ...
وهنا أيضاً يظهر ان المسيح لم يُعَيَّر وحده وإنما الآب أيضاً ، إذ يقول « تعبيرات
معيريك وقعت على » . فما يقوله تقريباً هو هذا : ما يحدث الآن ليس بالأمر
الجديد أو الغريب ، فإنهم في العهد القديم إعتادوا أن يعيروا (الآب) ، وها هم الآن
ثائرون على ابنه . لكن هذه الأمور كتبت لكي نمثل بهما^(٤٧٠) .

خامساً : إن كان ما قد كتب في العهد القديم (مز ٦٩ : ٩) أن التعبيرات قد
سقطت على الآب والإبن ، إنما لأجل نفعنا ، لكي يبعثنا ذلك على إحتال الضعفات
والتعبيرات حتى بالصبر مع التعزية يكون لنا رجاء اننا نمثل بالله نفسه محتمل
الضعفاء . هذا ما أعلنه الرسول بقوله : « لأن كل ما سبق فكتب كُتب لأجل
تعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء » ع ٤ .

غاية الكتاب المقدس أن يحثنا على الإحتال بصبر ، ليهبنا تعزية في وسط الآلام ،
الأمر الذي يفتح لنا باب الرجاء ... لأننا إن كنا نتعزى وسط آلامنا ، فماذا يكون
حالنا حين ننطلق من العالم بالآمه ؟ !

سادساً : إذ يحثنا الرسول بولس على إحتال ضعفات الضعفاء لخيرهم لبنيانهم ،
وهو يقدم لنا السيد المسيح مثلاً حياً في هذا العمل ، بل وعاملاً فينا لتحقيق ذلك ،
يرفع الرسول صلاة لله كي يسندنا ، قائلاً :

« وليعطكم إله الصبر والتعزية أن تهتموا إهتماماً واحداً فيما بينكم بحسب
المسيح يسوع ، لكي تمجدوا الله أبا ربنا يسوع المسيح بنفس واحدة وفم
واحد » ع ٥ ، ٦ .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [هذا ما يود الحب أن يفعله أن يهتم الإنسان بالآخرين كما بنفسه ، ولكي يظهر أن ما يطلبه ليس حباً مجرداً يضيف : « بحسب المسيح يسوع » . هذا ما يفعله في كل موضع ، إذ يوجد نوع آخر من الحب . فإنه أى نفع للإتفاق معاً (إن لم يكن بحسب المسيح يسوع) ؟ ! (٤٧١)] .

هذا الحب في المسيح يسوع يمجّد الله الآب لا خلال وحدة الفم فقط أى بالكلام ، وإنما وحدة الإرادة أيضاً (نفس واحدة) ...

هذا الحب في المسيح يسوع واهب الوحدة هو طريق تنفيذ الوصية : « لذلك إقبلوا بعضكم بعضاً كما أن المسيح أيضاً قبلنا لمجد الله » ع ٧ .

٢ — إتساع القلب للأمم

الآن إذ يوصينا بإحتمال الضعفاء خلال الحب الحقيقي واهب الوحدة في المسيح يسوع يقدم لنا تطبيقاً عملياً في حياة السيد المسيح كما في حياتنا نحن أيضاً ، فبالحب ضم السيد المسيح أهل الختان والأمم معاً فيه حاملاً ضعفات الكل ، وبذات الحب يليق باليهود المنتصرين أن يفتحوا قلوبهم لإخوتهم الراجعين من الأمم لله لتتحقق فيهم إرادة الله التي سبق فأعلنها في العهد القديم من جهة قبول الأمم للإيمان بالله .

يقول الرسول : « وأقول إن يسوع المسيح قد صار خادماً للختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء ، وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة ، كما هو مكتوب : من أجل ذلك سأحمدك في الأمم وأرتل لإسمك » ع ٨ ، ٩ .

ماذا يقصد الرسول بهذا ؟ يقول القديس يوحنا الذهبي الفم ان إبراهيم نال وعداً أن بنسله تتبارك جميع الأمم (تك ١٢ : ٧ ؛ ٢٢ : ١٨) . وما حدث أن نسل إبراهيم وإن كان قد مارس الختان لكنه كسر الناموس وحسب متعدياً قسقط بالناموس تحت اللعنة ، لهذا جاء السيد المسيح خادماً للختان ، إذ أكمل الناموس ولم يكسره ، حتى متى إرتفع على الصليب ينزع لعنة الناموس التي للعصيان . تألم لكي لا يسقط الوعد المعطى لإبراهيم ، حاملاً الغضب عن الساقطين فيتحرروا عن

العداوة والتغرب عن الله ... بهذا رفعهم السيد المسيح عن اللعنة ، وأقامهم من سلطان الناموس ، ليتحقق فيهم الوعد الالهي الذي أعطى لآبائهم . هذا من جانب أهل الختان ، أما من جانب الأمم فقد انفتح لهم أيضا باب المرحم الإلهية لينعموا مع أهل الختان بالعمل الخلاصي جنبا إلى جنب ، فيشترك الإثنان — اليهودي والأُمِّي — خلال نعمة الله في تقديم الحمد لله والتسبيح لإسمه ، كما سبق فأنبا المرتل : « لذلك أحمداك يارب في الأمم وأرنم لك » مز ١٨ : ٤٩ ، وما أعلنه موسى النبي : « تهللوا أيها الأمم شعبه » تث ٣٢ : ٤٣ ، وداود النبي : « سبحوا الرب يا كل الأمم » مز ١١٧ : ١ ، وأيضا إشعياء النبي : « ويخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله ... ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسي القائم رايه للشعوب إياه تطلب الأمم » إش ١١ : ١ ، ١٠ .

[كل هذه المقتطفات قدمت لكي يظهر انه يجب أن نتحد ونمجد الله ، ولكي يتضع اليهودي ولا ينتفخ على هذه الشعوب ، وفي نفس الوقت يحث الأُمِّي على الإلتضاع إذ يظهر له انه قد نال نعمة عظيمة^(٤٧٢)] .

إن كان الله منذ القدم قد خطط لخلاص كل الشعوب والأمم حتى أنبا بذلك رجال العهد القديم فكيف يمكن لليهودي أن يغلق قلبه عن قبول أخيه الأُمِّي معه في الإيمان، والتهليل والتسبيح لله ؟ !

ليفتح اليهودي قلبه بالحب ليضم الى صدره الأُمِّي ، وليفتح الأُمِّي قلبه شاكرًا الله الذي رفعه عن ضعفه ليدخل بين صفوف المؤمنين !

إذ فتح أبواب الرجاء لليهود كما للأمم . لهذا يقدم الرسول أشبه بصلاة أو شفاعاة لدى الله ليزيدهم في هذا الرجاء بدخولهم الى الإيمان بقوة الروح القدس مملوئين سرورا وسلاماً ، إذ يقول : « ولتلاكم إله الرجاء كل سرور وسلام في الإيمان لتزدادوا في الرجاء بقوة الروح القدس » ع ١٣

٣ — مساندة في خدمة الأمم

إذ تحدث عن التزامهم كأقوياء أن يحتملوا ضعفات الضعفاء ، وكيهود متنصرين أن يقبلوا الأمم في الإيمان بفرح وسرور ، أراد أن يلطف الحديث معهم ، فلا يجعل

من وصيته أمراً ثقيلاً على نفوسهم لهذا بادر يمدحهم مظهراً أن ما يطلبه منهم ليس بالكثير بالنسبة لقامتهم الروحية وادراكهم ، إذ يقول : وأنا نفسى متيقن من جهتكم يا إخوتي انكم أنتم مش نون صلاحاً ومملؤون كل علم ، قادرون أن ينذر بعضكم بعضاً ع ١٤ .

وبلاحظ هنا رفته في الحديث من جهة الآتى :

أولاً : لم يقل أنه " صلاحهم ، وإنما هو بنفسه سيفن من صلاحهم ... ليس محتاجاً الى آخرين يشهدون لهم أمامه ... وكأنه يقول إن كنت أوصيكم أو أقسو عليكم بالإنتهار لكننى متيقن من جهتكم انكم مشحونون صلاحاً !

٢انيا : يعلق القديس يوحنا الذهبى الفم على تعبيره : « أنكم أنتم مشحونون صلاحاً » ، بالقول : [فانه يقول : ليس لأنكم قساة أو مبغضون لإخوتكم لذا أنصحكم أن تقبلوا عمل ولا تهملوه أو تحطموه ، ف أعرف أنكم مشحونون صلاحاً ؛ وإنما يبدو لى ما أن أدعوكم لكمال فضيلتكم (٤٧٣)] .

ثالثاً : فى رقة يحثهم كما على إتساع القلب أكثر فأكثر بحب الآخرين حيث لا ينقصهم ملع الصلاح والمعرفة والقدرة ... من جهة القلب هم صالحون لطفاء محبوبون ؛ من جهة الفكر لهم ملع العلم والمعرفة ، ومن جهة الإمكانية قادرون ... هذا كله أعطاه الجسارة ليطالبهم أكثر فأكثر ، حاية فى الحكمة والتشجيع !

رابعاً : يكتب القديس بولس اليهم بروح الأخوة المتضعة ، الأخوة ... أعطته دالة ليتجاسر فيكتب اليهم لا كمن يوصيهم بأمر غريب عن حياتهم وإنما يذكرهم لينمو بالأكثر فيما يمارسونه فعلاً ، إذ يقول : « ولكن بأكثر جسارة كتبت إليكم جزئياً أيها الإخوة كمذكر لكم بسبب النعمة التى وهبت لى » ع ١٥

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [لاحظ إتضاع فكر بولس ، لاحظ حكمته ... إنه ينزل من كرسى السيادة هنا وهناك ليتحدث اليهم كإخوة وأصدقاء فى نفس الدرجة (٤٧٤)] .

خامساً : يعلن الرسول انه مـ بالكتابة لهم لأنه يمارس خدمته الرسولية التى

أفرز لها كرسول للأمم ، فإن كانت روما عاصمة العالم الأسمى في ذلك الحين فهو يشعر انها يجب أن تكون مركز عمله . هذه هي النعمة التي وهبت له من الله — خدمة الأمم — التي لا يتوقف عن التمتع بها قط .

بحسب الرسول نفسه كاهناً يقدم ذبيحة الحب خلال الكرازة ، فإن كان ليس من سبط لاوى لكنه كاهن الله كرسول للسيد المسيح يقدم قربان الأمم مقبولاً ومقدساً بفعل الروح القدس ، إذ يقول : « حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس » ع ١٦

يفسر القديس يوحنا الذهبي الفم هذه العبارة هكذا : [بالنسبة لى هذا كهنوت ، الذى هو الكرازة والإعلان . هذه ذبيحة أقدمها . لا يخطئ أحد كاهناً عندما يكون غيوراً على تقديم ذبيحة بلا عيب . يقول هذا لكى يرفع أفكارهم ؛ ويظهر لهم أنهم ذبيحة ، معترفاً عن دوره فى هذا العمل . كأنه يقول : السكين التى لى هى إنجيلى ، كلمة الكرازة . أقوم بهذا لا لأتمجد ولا لأشتهر وإنما لكى تكون ذبيحة الأمم مقبولة ومقدسة بالروح القدس . بمعنى أن نفوس الذين أعلمهم تصير مقبولة . فانه إذ قادنى الله الى هذا السمو فليس فى هذا تكريمى أنا قدر ما هو يخصكم أنتم .

كيف يصيرون مقبولين ؟ بالروح القدس ، فالحاجة ليس فقط الى الإيمان وإنما طريق الحياة الروحية لكى نتمسك بالروح الذى أعطى مرة لكل . فإنه لا حاجته لحطب أو نار أو مذبح أو سكين بل للروح الذى فينا بالتمام . لهذا أبذل كل وسيلة لأمنع النار من أن تنطفئ ، إذ أسر بها ... كما أن الكاهن يقف ليلهب النار هكذا أفعل أنا إذ أثير تذكركم (٤٧٥)] .

هذا ويوضح الرسول دوره فى الخدمة بدقة إذ يلقب نفسه « خادماً » و « كاهناً » ، لكن الذى يقدر روح الله نفسه ، إذ يقول : « ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس » . يحدثنا القديس باسيليوس الكبير عن دور الروح القدس ، قائلاً :

[المخلوق عبد ، والروح هو الذى يحمر (رو ٨ : ٢) ؛
المخلوق محتاج الى حياة ، والروح هو واهب الحياة (يو ٦ : ٦٣) ؛
المخلوق يطلب التعلم ، والروح هو الذى يعلم (يو ١٤ : ٢٦) ؛
المخلوق يتقدس ، والروح هو الذى يُقدس (رو ١٥ : ٢٦) ؛
من تدعوهم ملائكة ، رؤساء ، قوات سمائية ... هؤلاء يتقبلون التقديس خلال
الروح ، أما الروح نفسه فهو قدوس بطبيعته ، لا يتقبل صلاحاً من خارجه بل
الصلاح من جوهره ، لهذا فيميز بالاسم : « قدوس »^(٤٧٦) .

سادساً : إن كان الرسول بطريق غير مباشر يقدم نفسه مثلاً ، يشعر خلال
الحب الرسولى أنه كاهن يقدم حياتهم الإيمانية مقدمة حب مقبولة لدى الله
ومقدسة ، يقدمها لا لحساب نفسه بل لحسابهم هم ، ليتمجد الله فيهم بقبولهم ،
حتى يردوا الحب بالحب فيسندوه في خدمته للأمم بإتساع قلبهم واحتياهم ضعفاتهم
والصلاة عنهم والشهادة لله أمامهم ... فرما يتساءلون : وماذا تنتفع أنت بهذا العمل
الكرازى ؟ لذا يجيب ، قائلاً : « فلي إفتخار في المسيح يسوع من جهة ما لله ،
لأنى لا أجسر أن أتكلم عن شيء مما لم يفعله المسيح بواسطتى لأجل إطاعة الأمم
بالقول والفعل » ع ١٧ ، ١٨ .

إن كانت الخدمة لحساب الآخرين لبنيانهم روحياً فى الرب فهى أيضاً لحساب
الكارز أو الخادم فيتمجد لا بذاته وإنما بنعمة الله العاملة فيه ككارز وفيهم
كمخدومين ، إذ يعمل الله بروحه القدوس فيه وفيهم . وكما يقول القديس يوحنا
الذهبي الفم على لسان القديس بولس : [إنه يعنى إننى أتمجد لا بذاتى ولا بغيرتى
وإنما بنعمة الله ... أنظر كيف يحاول بكل قوة أن يظهر العمل كله لله ولا ينسب
شيئاً لنفسه . فما انطق به أو أفعله أو أمارسه من معجزات الله هو العامل هذا
كله ، الروح القدس صانع الكل^(٤٧٧)] .

للتابعاً : إذ يحثهم الرسول بولس على مساندته فى خدمة الأمم بالصلاة كما بعمل
الحبة لكى يتمجد الله فيهم يقدم لهم نفسه مثلاً فى خدمته ، انه منطلق للخدمة فى
غيرة بلا حدود للكراسة لا فى البلاد الخاضعة لروما فحسب وإنما بين البرابرة أيضاً ،
لكن هذه الغيرة تلتحم بروح الاتضاع ؛ فإن كان ينطلق من أورشليم ليعلم فى كل

موضع بالانجيل حتى الليريكون^(٤٧٨) ، لكنه وهو يخدم لا ينطلق الى حيث إنطلق رسول آخر فيدخل على تعبته وينسب الناس النجاح إليه ... بل يذهب الى حيث لم يكرن الرسل حيث الطريق غير ممهد والجهد أصعب .

يقول : « بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله ، حتى الى من اورشليم وما حولها الى الليريكون قد أكملت التبشير بانجيل المسيح ، ولكن كنت مختصاً أن أبشر هكذا ، ليس حيث سُمي المسيح لثلاثا أبني على أساس آخر » ع ١٩ ، ٢٠ .

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم ، قائلاً : [قال هذا ليظهر نفسه إنه متغرب عن المجد الباطل ، وليعلمهم انه يكتب إليهم لا حباً في المجد أو في تكريمهم له ، وإنما لإتمام خدمته ، وتحقيق كمال عمله الكهنوتي كمحب لخلاصهم ... ها أنت تراه يجرى إلى حيث العمل الأكثر والتعب الأقسى^(٤٧٩)] .

يقول القديس جيروم : [أنظر بولس الذي كان مضطهداً في اليهودية ، ها هو يركز بين الأمم . إنه يحمل صليب المسيح كغالب يأسر الكل . لقد قهر العالم كله من المحيط حتى البحر الأحمر^(٤٨٠)] .

٤ — شوقه لخدمتهم في روما

كما أبرز الرسول انه لم يكتب إليهم حباً في مجده الذاتي بل في خلاصهم ، ليعت فيهم ذات الروح من جهة الشوق لخلاص الآخرين خاصة الضعفاء والأُميين ، الآن يؤكد لهم أيضاً انه منذ سنوات يشاق إليهم لزيارتهم بدافع الحب لا المجد الزمني . يقول الرسول : « لذلك كنت أعاق المزار الكثيرة عن المجيء إليكم ، وأما الآن فإذ ليس لي مكان بعد في هذه الأقاليم ، ولي إشتياق إلى المجيء إليكم منذ سنين كثيرة فعندما أذهب إلى أسبانيا آتي إليكم ، لأنني أرجو أن أراكم في مروي وتشيعوني إلى هناك ان تملأت أولاً منكم جزئياً » ع ٢٢ — ٢٤ .

ويلاحظ في كلمات الرسول هذه :

أولاً : يرى القديس يوحنا الذهبي الفم إن الرسول أبرز محبته الشديدة لهم بشوقه لزيارتهم منذ سنوات ، وفي نفس الوقت لم يعطهم مجالاً للكبرياء ، إذ أوضح

انه يلتقى بهم عابراً بهم أثناء رحلته إلى أسبانيا . فهم موضع حبه بحق ، وغيرهم كأهل أسبانيا أيضاً موضع هذا الحب عينه ، حتى أن زيارته لهم ستأتى عارضاً في طريقه ، لكن ليس حبه عارضاً . لقد أثار مشاعر محبتهم بفيض محبته ، بقوله إنه « يمتلىء بصحبتهم » هذه هى لغة الوالدين اللذين يجتذبان أولادهما إليهما .. [إنه كأب ملتهب أنجب بحق إبناً ؛ هكذا كان يحب المؤمنين ^(٤٨١)] .

٥ - فهمه لعطاء الأمم

إذ أعلن الرسول عن شوقه الشديد لزيارتهم ، قدم عذراً لتأجيله الزيارة إذ هو مضطر أن يذهب أولاً إلى أورشليم حاملاً معه عطاء الأمم لقديسى أورشليم الذين تعرضوا لمجاعة ، فقد سّر مؤمنوا مكדونية وآخائية الذين هم من أصل أسمى أن يحسبوا أهلاً لرد حب اليهود المتنصرين في أورشليم بخدمتهم روحياً بالحب بتقديم عطاء مادياً وقت عوزهم .

يقول الرسول : « لأن أهل مكدونية وآخائية إستحسنوا أن يصنعوا توزيعاً للفقراء القديسين الذى في أورشليم ، إستحسنوا ذلك وانهم لهم مدينون ، لأنه إن كان الأمم قد اشتركوا في روحياتهم يجب عليهم أن يخدموهم في الجسديات أيضاً » ع ٢٦ ، ٢٧ .

أولاً : يرى القديس يوحنا الذهبى الفم أن حديث الرسول هنا لم يكن بقصد إثارة كنيسة روما للمساهمة في إحتياجات القديسين في أورشليم الذين تعرضوا للمجاعة ، وإلا كان قد زارهم للجمع للقديسين ... إنما إستغل هذا العطاء من جانب الكنائس التى معظم أعضائها من أصل أسمى للكنيسة التى معظم أو كل أعضائها من أصل يهودى ، ليعلن دخول الكنيسة ككل في شركة حب . بهذا يثير الرسول كنيسة روما لا للعطاء المادى لكنيسة أورشليم وإنما لانفتاح القلب لخدمة الأمم .

ثانياً : يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [لم يقل : أذهب لأحمل العطاء ، بل « لأخدم » (دياكونس) ^(٤٨٢) ، فإن كان الرسول العظيم لا يتطلع إلى العطاء إلا كعمل روحى وخدمة وليس عملاً إجتماعياً مجرداً ، فكيف بالأكثر تكون بهجته ليس حين يحمل عطاء مادياً بل إنجيل الحق لأهل روما ؟ !

لقد حسبت الكنائس عطاءهم « شركة » ، علامة حب داخلي ووحدة ، فحمل الرسول لا أموالهم ولا تقدماتهم المادية ، إنما ما هو أعظم ، حمل قلوبهم المملوء حباً وروح الوحدة الذى فيهم مع بقية الأعضاء . ولهذا السبب حسب الرسول انه يحمل كنزاً ملوكياً محفوظاً بختم ملكى لا يستطيع أن يسلبه لص أو تحقيق به مخاطر .

ثالثاً : يقول القديس الذهبى الفم^(٤٨٣) إن الرسول يدعو ما يحمله « ثمراً » ع ٢٨ لا « عطاء » ، لأن ما يحمله إنما هو لنفع مقدميه ، وثمرهم الروحى .

٦ — جهادهم معه بالصلوات

إن كان الرسول يبدو متهللاً من أجل ثمر الروح المعلن في كنائس الأمم التى قدمت لا عطاء مادياً مجرداً بل ثمراً متكاثراً علامة حب لإخوتهم في أورشليم ، الآن يثير كنيسة روما لتساهم هى أيضاً في الخدمة لا بتقديم مال لإحتياجات القديسين وإنما لتقديم صلوات بجهاد عظيم لدى الله من أجله لكى يتمم الله رسالته فيه بالرغم من مقاومة البعض له .

والعجيب انه قبل أن يسألهم هذا الطلب كمن هو محتاج إلى جهادهم معه في خدمة الكرازة للأمم خلال الصلوات خشى لئلا يحسبوا أنفسهم ليسوا أهلاً لهذا العمل ، لذا يقول : « وأنا أعلم انى إذا جئت إليكم سأجىء في ملء بركة إنجيل المسيح » ع ٢٩ . وكأنه يقول عند مجيئى إليكم أجدم أهلاً للمدح بلا حدود خلال الإنجيل ، من أجل فيض أعمالكم المقدسة المستحقة كل تطويب . هذا من جانب ومن جانب آخر فإن ما يقدمونه من جهاد في الصلاة عنه لأجل الخدمة يأتى متناغماً مع عمل السيد المسيح الخلاصى ومحبة الروح القدس ، إذ يقول : « فأطلب إليكم أيها الإخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معى في الصلوات من أجلى إلى الله » ع ٣٠ . لذا فصلواتهم حتماً تكون مقبولة وفعالة لأنها حسب إرادة الله الصالحة ومحبه الفائقة .

٧ — مقاومة غير المؤمنين له

لا تقف خدمتهم النابعة عن إتساع قلوبهم بالحب نحو إخوتهم الذين من الأمم عند إحتمال ضعفاتهم والشهادة لعمل الله الخلاصى أمامهم وإنما أيضاً تمتد إلى الصلاة من

أجل الكارزين حتى يخلصهم الرب من مقاومة المعاندين . ويحسب الرسول نفسه أكثرهم إحتياجاً للصلاة عنه من أجل شدة المقاومة التى يجابهها ، إذ يقول : « لكى أنقذ من الذين هم غير مؤمنين فى اليهودية ، ولكى تكون خدمتى لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين » ع ٣١ .

٨ — خاتمة

إذ يتحدث عن المقاومة التى تصيبه من الأشرار ، وإلتزام الكنائس أن تصلى من أجله ، يصلى هو أيضا من أجل الكل ليسندهم الله فى جهادهم ، إذ يقول : « إله السلام معكم أجمعين . آمين » ع ٣٣ .

+ + +





إن كان الأصحاح السابق يُعتبر خاتمة الفصل العملي من الرسالة وهو فصل متكامل ومتناغم مع الفصل السابق له ، الفصل الإيماني ، حيث يصعب فصل إيمان الكنيسة عن حياتها السلوكية ، فإن هذا الفصل الأخير والذي يمثل ختام الرسالة يقدم لنا في غالبيته عدداً كبيراً من الأسماء التي لا نعرف عن بعضها شيئاً ؛ لكنه في الواقع يمثل صورة حية ومبهجة وفعالة عن الحياة المسيحية في العصر الرسولي ، فيها يكشف الروح القدس عن إلهاب الكنيسة بروح الحب الذي يقدس المشاعر والعواطف المتبادلة في الرب لبنیان الكنيسة روحياً ، فكثيرون يدعوهـم « أحبـاء » أو « أنسباء » أو « العاملين معنا في الرب » ، بينما يدعو هذه « أختنا » وتلك العجوز « المحبوبة » وثالثة « التابعة في الرب » ... لكل شخص لقب خاص محفور بالروح في قلب الرسول ...

- | | |
|--------------------------------|-----------|
| ١ - توصيته بخصوص فيبي . | ١ - ٢ . |
| ٢ - تحيات شخصية . | ٣ - ١٥ . |
| ٣ - القبلـة الروحية العامة . | ١٦ . |
| ٤ - تحذير من المعلمين الكذبة . | ١٧ - ٢٠ . |
| ٥ - تحيات أصدقاء الرسول . | ٢١ - ٢٤ . |
| ٦ - ذكـصولجية « ختام » | ٢٥ - ٢٧ . |

+ + +

١ - توصيته بخصوص فيبي

« أوصي إليكم بأختنا فيبي التى هى خادمة (شماسة) الكنيسة التى فى كنخريا ، كى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين ، وتقدموا لها فى أى شىء إحتاجة منكم ، لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا أيضا » ع ١ ، ٢ .

إذ يكتب الرسول إلى كنيسة لم يسبق له خدمتها بحضوره هناك لكنه فى دالة الحب يقدم لهم فيبي شماسة بالكنيسة التى فى كنخريا موصياً عنها ... بهذا يشعرهم الرسول أنه ليس بغريب عنهم لكنه صاحب دالة لديهم ، كما يهبهم حباً يطلب حبهم وخدمتهم .

يرى البعض انها من متصرفى الأمم لأن إسم « فيبي » مشتق من « فيبس » إسم أحد الآلهة الوثنية . ويرى البعض ان هذا الإسم « فيبي » مشتق من الكلمة اليونانية « فوس » التى تعنى « يشرق » أو « يضىء » ^(٤٨٤) .

يبدو أنها كانت غنية وذات مركز إجتماعى مرموق ، أقيمت كشماسة للكنيسة فى كنخريا ميناء كورنثوس ، يبعد حوالى تسعة أميال شرق كورنثوس ، وكان لها خدمتها الفعالة فى الكنيسة ، حتى قال الرسول عنها : « لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا أيضاً » .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم :

[أنظر كيف يكرمها بطرق كثيرة ، فقد أشار إليها قبل الكل ودعاها أخاً . وهذا ليس بالأمر الهين أن تدعى أختاً لبولس ؛ كما ذكر رتبته بكونها « شماسة » (خادمة) ...

لتهتموا بها على أساسين : تقبلوها من أجل الرب ، ولأنها هى نفسها قديسة ^(٤٨٥)] .

٢ - تحيات شخصية

إن كانت هذه الرسالة تقدم لنا أسماء ٢٦ شخصاً أغلبهم لا نعرف عنهم شيئاً ، لكننا نشعر بأهمية هذا الجزء من الرسالة إذ يقدم لنا صورة حية لقلب رسولنا بولس

الذى يظهر عاطفته الحانية وإعتزازه وتقديره للمشاعر المقدسة فى الرب . يمكننا أيضاً أن نرى فى هذه التحيات الحارة صورة للصدقات العميقة والحب الطاهر السخى بين أعضاء الكنيسة الأولى .

لقد قدم لنا الرسول كل صديق له يحمل لقباً خاصاً يعتز به الرسول ، هذا اللقب لا يقوم على الشهرة أو الغنى أو العلم وإنما على شركة الحياة التقوية والجهاد فى الخدمة .

يلاحظ فى ال ٢٦ إسماً ، ان إسماً واحداً عبرانياً هو « مريم » ، وأربعة أسماء لاتينية هى أمبلياس وأوربانوس وجوليا ونيربوس ، وبقية الأسماء يونانية .

يقول الرسول : « سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معى فى المسيح يسوع ، اللذين وضعنا عنقيهما من أجل حياتى اللذين ليست أنا وحدى أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم ، وعلى الكنيسة التى فى بيتهما » ع ٣ — ٥ .

جاء ذكر أكيلا وزوجته بريسكلا فى أع ١٨ : ٢ ، ١٨ ، ٢٦ ؛ ١ كو ١٦ : ١٩ ، ٢ : ٤ : ١٩ ؛ وهما يهوديان يعملان كصانعى خيام ، تركا روما كأمر كلوديوس قيصر عام ٤٩ الذى طرد جميع اليهود من روما ، ليعودا ثانية . كانا تاجرين غنيين وتقيين ، كانت الزوجة أكثر غيرة على ما يظن لذا ذكرها الرسول قبل زوجها (أيضاً فى ١ كو ١٦ : ١٩ ، رو ١٨ : ٢) . إلتقى بهما الرسول لأول مرة فى كورنثوس (أع ١٨ : ٢) وبقي معهما حوالى ١٨ شهراً ، وذهبا معه إلى أفسس (أع ١٨ : ١٨) ، ثم رجعا إلى روما . إينا وجدا كان يفتحان بيتهما ككنيسة لخدمة المؤمنين الغرباء ويجتمع فيها المؤمنون للعبادة . يرى القديس يوحنا الذهبى الفم^(٤٨٦) ان بيتهما كان يُدعى كنيسة إما لأنهما كسبا كل أهل بيتهما للإيمان أو لفتح بيتهما لخدمة المؤمنين الغرباء .

لقد عرض هذين المؤمنين حياتهما للخطر بسبب معلمنا بولس الرسول ربما أثناء الشغب الذى حدث فى كورنثوس (أع ١٨ : ٦ — ١٠) أو فى أفسس (أع ١٩ : ٣١ ، ٣٢) ... لذلك يبقى لا الرسول وحده بل وجميع كنائس الأمم يقدمون الشكر لهما .

« سلموا على أينتوس حبيبي الذي هو باكورة أخائية للمسيح » ع ٥ .

كلمة « أينتوس » من أصل يوناني تعني « مستحق للمديح »^(٤٨٧) ، وهو أول من قبل الإيمان في آسيا الصغرى على يدى الرسول ... يدعو الرسول حبيبه وباكورة عمله هناك ، وكأنه يسأله أن يرد الحب بالحب ، فلا يكف عن العمل في روما لحساب الإيمان الذي قبله قبل كثيرين .

« سلموا على مريم التى تعبت لأجلنا كثيراً » ع ٦ ؛ لا نعرف عنها شيئاً إلا أنها كانت نافعة للرسول في خدمته قبل ذهابها إلى روما ... وكأنه أيضاً يطالبها ألا تكف عن التعب من أجل الخدمة .

يعلق القديس يوحنا الذهبى الفم على هذه العبارة قائلاً : [ما هذا ؟ لقد كُرمت امرأة وحسبت متنصرة ! أفلا نخجل نحن كرجال ؟ ! ... إننا نحسبه كرامة لنا أن توجد نساء بيننا كهذه ، ولكننا نخجل إن كنا كرجال صرنا خلفهن^(٤٨٨)] . يكمل حديثه قائلاً بأنه وإن كانت النساء ممنوعات من خدمة التعليم العامة (١ تي ٢ : ١٢ ، ١ كو ١٤ : ٣٥) لكنها لا تحرم من النطق بكلمة التعليم ، إذ تستطيع الزوجة أن تربح رجلها (١ كو ٧ : ١٦) ، وتهذب أولادها (١ تي ٢ : ١٥) ، بل ونجد بريسكلا تعلم أبولس . كما يعلق على قول الرسول : « التى تعبت لأجلنا كثيراً » ، بقوله : [قدمت خدمات أخرى كثيرة محتملة مخاطر ، من جهة المال والأسفار . فإن نساء تلك الأيام كن روحيات أكثر من الأسود (فى القوة) ، ساهمن مع الرسل فى التعب لأجل الإنجيل^(٤٨٩)] .

« سلموا على أندرونكوس ويونياس نسيي المأسورين معي اللذين هما مشهوران بين الرسل وقد كانا فى المسيح قبلى » ع ٧ . الإسم الأول من أصل يوناني يعنى « الغالين »^(٤٩٠) ، والثانى من أصل لاتينى ، وهما يهوديان يمتان بصلة قرابة للرسول ، إحتمالا السجن معه فى وقت غير معروف ، يعتز بهما لأنهما قد عرفا السيد المسيح قبله ، ولهما دورهما الهام فى الخدمة حتى صارا مشهورين بين الرسل .

يرى القديس يوحنا الذهبى الفم^(٤٩١) أنهما لم يسقطا تحت الأسر بالمعنى الحرفى (كأسرى حرب) وإنما إحتمالا ما هو أقسى من ذلك إذ عاشا فى الغربة

محرومين من أقربائهما وإحتملا المجاعة والميتات المستمرة وسقطا تحت المتاعب بلا حصر .

على أى الأحوال لم يتجاهل الرسول القرابة الجسدية التى تتقدس خلال الإيمان ، كما لا ينجل من الكشف عن إيمانها بالسيد المسيح قبله ...

« سلموا على أمبلياس حبيبى فى الرب » ع ٨ .

كلمة « أمبلياس » من أصل لاتينى تعنى « مكبر » أو « مضخم » (٤٩٢) .

يرى القديس يوحنا الذهبى الفم ان دعوته « حبيبى » تكشف عن حب الرسول الشديد له بسبب حياته الفاضلة .

« سلموا على أوربانوس العامل معنا فى المسيح وعلى أستاخيس حبيبى ، سلموا على أبلس المزكى فى المسيح ، سلموا على الذين هم من أهل أرستوبولوس ، سلموا على هيروديون نسيبى ، سلموا على الذين هم من أهل نركسيس الكائنين فى الرب » ع ٩ — ١١ .

« أوربانوس » كلمة لاتينية تعنى : « قاطن مدينة » (٤٩٣) ، « أستاخيس » كلمة يونانية تعنى : « سنبلة قمح » (٤٩٤) ، « أبلس » ربما مشتقة من « أبولو » (٤٩٥) ، « أرستوبولس » كلمة يونانية تعنى : « ناصح حكيم » (٤٩٦) ، « هيروديون » ربما من « هيرودس » أى « من نسل بطولى Hero » ، « نركسيس » كلمة لاتينية من أصل يونانى معناها غير أكيد ...

يلاحظ ان الرسول يمدح الجميع ، فيدعو الأول عامل معه فى خدمة السيد المسيح ، والثانى حبيبى ، والثالث مُزكى فى المسيح ربما لإجتيازه ضيقات كثيرة بصبر أو لجهاده فى الخدمة الخ ... أما بالنسبة لأهل أرستوبولس وأهل نركسيس فرمما كان هذا الإثنان وثنين ولكن لهما عبيد أو أبناء مؤمنون ...

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [إذ يقدم مدحاً خاصاً بكل أحد ، لا يسمح بوجود حسد فيما بينهم بمدحه لأحد وإستخفافه بآخر ، ولكى لا يوجد بينهم تهاون أو إرتباك ، مقدماً لكل واحد كرامة متساوية ، وإن كان ليس الكل يستحق كرامة هكذا متساوية (٤٩٧)] .

يهدى الرسول السلام أيضا لتريفينا وتريفوسا ، وهما كما يُقال انهما كانتا جاريّتين قد تعبتا في الرب واستحققتا مديح الرسول بولس . الإسمان لاتينيان مشتقان عن الكلمة اليونانية التي تعنى « رقيقة » أو « لطيفة » . كما يسلم على برسيس ، إسمها يونانى معناه « فارسى » ، لم ينجل من أن يدعوها « المحبوبة » من أجل كبر سنّها .

يذكر أيضا روفس الذى يقال أنه ابن سمعان القيروانى الذى حمل مع السيد المسيح صليبه (مر ١٥ : ٢١) ، وقد شهد لأم روفس انها في محبتها للرسول وخدمتها له صارت « أمّاً » له .

وهكذا أخذ يعدد السلام لإخوة في الرب ...

٣ — القبلة الروحية العامة

بعد أن قدم التحيات لأسماء معينة ، من رجال ونساء ، خدام للرب وشعب ، سادّه وجوارى ، أعلن حبه للجميع ، الذين لا يعرفهم بالاسم ، ليس حبه وحده وإنما حب الكنائس كلها لهم : « سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة ، كنائس المسيح تسلم عليكم » ع ١٦ . هكذا كانت الكنيسة في العالم تشعر انها أسرة واحدة ، وكان الرجال يقبلون الرجال ، والنساء يقبلن النساء بقبلة مقدسة (١ كو ١٦ : ٢٠ ؛ ١ تس ٥ : ٢٦ ؛ ١ بط ٥ : ١٤) . وكانت القبلة الروحية تمثل جزءاً لا يتجزأ من العبادة ، علامة الحب الذى بلا رياء ، وإلى يومنا هذا نسمع الشماس في القداس الإلهى ، يعلن : « قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة » .

يقول الراهب الانجليكانى دكس إن القبلة الرسولية لا تزال بصورتها الأولى عند الأقباط والأثيوبيين فقط (٤٩٨) .

+ لا تظن أن هذه القبلة كتلك التى إعتاد الأصدقاء على ممارستها في الإجتماعيات (agio) ، هى ليست من هذا الصنف ، إنما هذه توحّد النفس وتزيل كل حقد . هى علامة إتحاد النفوس معاً .

القديس كيرلس الأورشليمى (٤٩٩)

+ هي علامة السلام ، فما تظهره الشفاه من الخارج يوجد في القلوب في الداخل .
القديس أغسطينوس^(٥٠٠)

٤ - تحذير من المعلمين الكذبة

يحذركم الرسول بولس من صانعي الإنشقاقات والعثرات ، هؤلاء الذين هم جسدانيون يخدمون بطونهم لا المسيح .

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [(الإنشقاق) هو سلاح الشيطان يقلب كل شيء رأساً على عقب . مادام الجسد متحداً معاً لا يقدر أن يجد الشيطان له مدخلاً ، أما العثرة فتأتي خلال الإنقسام . من أين يأتي الإنشقاق ؟ من الآراء المخالفة لتعاليم الرسل . ومن أين تأتي هذه الآراء ؟ من عبودية الناس للبطن والأهواء الأخرى ... هذا ما قاله عندما كتب إلى أهل فيلبى : « الذين إلههم بطنهم » في ٣ : ١٩^(٥٠١) .

يسألهم الحذر من المعلمين الكذبة الذين : « بالكلام الطيب والأقوال الحسنة يخدعون قلوب السالماء » ع ١٨ ، إذ هم مخادعون ينطقون بالكلمات المعسولة على خلاف ما في باطنهم ... لذا يليق بنا إن نكون حكماء للخير وبسطاء للشر (ع ١٩) .

إن كان العدو يستخدم أساليب الخداع والمكر ليصطاد النفوس البسيطة في شبابه ، فإن مسيحننا قادر أن يسحقه : « وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم ، نعمة ربنا يسوع المسيح معكم ، آمين » ع ٢٠ ، انه يصلى لأجلهم لكي يهبهم الله النعمة الإلهية لخلاصهم من كل تجربة :

+ مادام يتحدث عن صانعي الإنشقاقات والعثرات بين الناس لذلك أشار إلى « إله السلام » أيضاً لكي يملأهم رجاءً من جهة الخلاص من هذه الشرور ...
إنها صلاة ونبوة في نفس الوقت (ان الله يسحق الشيطان تحت أقدامنا سريعاً) ! ... إنها أقوى سلاح ؛ حصن منيع وبرج ثابت ! ...

القديس يوحنا الذهبي الفم^(٥٠٢)

+ ها أنتم ترون الشيطان الصياد الذى يشتاق أن يقتنص نفوسنا للهلاك . إنه ينصب شباكاً كثيرة وخداعات من كل نوع ... مادمننا فى حالة نعمة تكون نفوسنا فى سلام ، لكن ما أن نلهو بالخطية حتى تصير نفوسنا فى اضطراب كقارب تلطمه الأمواج .

القديس جيروم (٥٠٣)

هكذا يقدم الرسول صلاة عن شعبه لا ليحطم أصحاب الإنشقاكات وإنما ليحطم الشيطان نفسه الذى يعمل فيهم ليصير تحت أقدامهم لا حول له ولا قوة . إنه ينهار سريعاً لأن الزمان مقصر وأيام خداعاته قليلة .

٥ - تحيات أصدقاء الرسول

يظن البعض أن الرسول بولس قرأ رسالته فى كورنثوس قبل إرسالها وأن التحيات هنا جاءت كطلب الكنيسة هناك .

جاءت التحيات من القديس تيموثاوس الابن المحبوب للرسول بولس ، ابنه فى الإيمان ، وشريكه فى العمل ، ورفيقه فى كثير من الرحلات ...

وأيضاً من غايس مضيف الرسول بل « ومضيف الكنيسة كلها » ، ربما لأنه حول بيته إلى مركز للعبادة ، وكان يضيف فيه المؤمنين الغرباء عن كورنثوس .

٦ - ذكولوجية « ختام »

جاءت الذكولوجية هنا تحمل صدى ماجاء فى الرسالة ككل ، إذ عبّر فيها عن الحاجة إلى الله الذى لا يهب فقط الإيمان وإنما يهبنا ثبوتنا فيه أيضاً . وإن السرّ الذى أعلنه لنا فى ملء الزمان هو السرّ الأزلى الخفى ، الذى تنبأ عنه الأنبياء : سرّ قبول جميع الأمم لإطاعة الإيمان ، إذ يقول : « وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح حسب إعلان السرّ الذى كان مكتوماً فى الأزمنة الأزلية ، ولكن ظهر الآن وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الإله الأزلى لإطاعة الإيمان ، لله الحكيم وحده بيسوع المسيح له المجد إلى الأبد ، أمين » ع ٢٥ - ٢٧ .

فقد أبرز الآتى :

- أ — الله هو الذى يثبتنا فى الإنجيل .
 - ب — ان خطة الله من نخونا (سره) أزلية .
 - ج — هذه الخطة سبق فتنبأ عنها الأنبياء فى العهد القديم .
 - د — خطة الله هى طاعة جميع الأمم للإيمان .
- أخيراً أوضح الرسول أن الذى كتبها هو تريتوس (ع ٢٢) وأرسلت مع
الشماسة فىبى إلى أهل روما .

+ + +

- 1 - Strong : Greek Dict. of the N. T., article 4517.
- 2 - J. Hastings : Dict. of the Bible, N. Y. 1963, p 862.
- 3 - Ibid.
- 4 - مذكرات القس مينا اسكندر على الرسالة ، باكليريكية الاسكندرية .
- 5 - Donald Guthrie : N. T. Introduction, 1975, p 393 - 4.
- 6 - اسم لاتيني معناه « الثالث » .
- 7 - اسم يوناني معناه « دخن » ، وتسمى حالياً « كخريس » .
- 8 - Jerome Biblical Comm., p 292; Guthrie p 395.
- 9 - Guthrie, P 400 - 404.
- 10 - Origen & the Doctrine of Grace, London 1960, p 48.
- 11 - Incar. 3.
- 12 - Against Arians 2 : 67.
- 13 - J. Hastings : Dict. of the Apostolic Church, v 2, p 370 - 1.

الأصحاح الأول

- 14 - In Rom. hom 1.
- 15 - Ibid.
- 16 - Of the Christian Faith 5 : 9 (115).
- 17 - Ibid 1 : 16 (104)
- 18 - In Rom. hom 1.
- 19 - Cat. hect. 12 : 23.
- 20 - City of God 17 : 8.
- 21 - In Rom. hom 1.
- 22 - Ibid.
- 23 - Of Chris. Faith 3 : 5 (34).
- 24 - Orat. 37 : 7.
- 25 - آباء مدرسة اسكندرية الأولون .
- 26 - In Rom. hom. 1.
- 27 - Ibid.
- 28 - Erdman : The Epistle to Romans, p 25.
- 29 - In Rom. hom 1.
- 30 - Of the Holy Spirit 1 : 12 (126).
- 31 - In Rom. hom 2.
- 32 - Ibid.
- 33 - Ibid.
- 34 - Ibid.
- 35 - Ibid.
- 36 - Ibid.
- 37 - Strom. 5 : 1.
- 38 - In Rom. hom 2.
- 39 - Ibid.
- 40 - Ibid.
- 41 - Adv. Marc. 5 : 13.
- 42 - Strom 2 . 6.
- 43 - City of God 20 : 26.
- 44 - In Rom. hom 2.
- 45 - On Christian Doctrine 1 : 4.
- 46 - Of Christ. Faith 1 : 10 (62).
- 47 - In Ioan. tr 14 : 3.
- 48 - Ibid 2 : 4.
- 49 - City of God 8 . 10.
- 50 - Instit. 12 : 21.
- 51 - Conf. 3 : 20.
- 52 - Ibid 3 : 20.
- 53 - In Rom. hom 3.
- 54 - Ibid 4.
- 55 - Ibid.
- 56 - Ibid 5.
- 57 - De Corona 6.
- 58 - In Rom. hom 5.
- 59 - Cassian : Conf. 7 : 31.
- 60 - In Ioan. tr 33 : 7.
- 61 - In Eph. hom 4; In matt. hom 75.
- 62 - City of God 1 : 8.
- 63 - In Rom. hom 5.
- 64 - Adv. Haer 4 : 37 : 1.
- 65 - In Rom. hom 5.
- 66 - Ibid.
- 67 - In Ioan tr 54 : 6.
- 68 - Ibid 89 : 3.
- 69 - In matt. hom 75.
- 70 - In matt. hom 5.
- 71 - Ibid.
- 72 - Cassian : Conf. 7 : 5.

الأصحاح الثاني

- 73 - Ibid 17 : 14.
 75 - In matt. hom 6.
 77 - Cat. lect. 12 : 1.
 79 - Cat. lect. 23 : 13.
 81 - On lying 8.
 83 - Com. on Matt. book 11 : 12.
 85 - In Titus hom 2.

- 87 - Ibid.
 89 - Ep. 67 : 8.
 91 - Ep. 54 : 6, 7.
 92 - Seventh Council of Carthage under Cyprian.
 93 - Ser. on N. T. lessons 83 : 6.
 95 - Instru. 1 : 8.
 97 - In 1 Tim. hom 4.
 99 - In Rom. hom 7.
 101 - In Rom. hom 7.
 103 - In Rom. hom 7.

- 105 - In Rom. hom 8.
 107 - Strom 2 : 15.
 108 - In Ioan. tr. 29 : 6; 53 : 10; 72 : 2; 19 : 11.
 109 - In Rom. hom 8.
 111 - Ser. on N. T. 19 : 3.

- 113 - Ep. 60 : 3.
 115 - Ibid.
 117 - Ibid.
 119 - In Rom. hom 9.
 121 - Of the Holy Spirit 1 : 8 (94).
 122 - In Ioan. tr 9 : 8; 39 : 5; 27 : 9; 32 : 8.
 124 - Ser. on N. T. lessons 78 : 4; Harm. of the Gospel 1 : 34.
 125 - Cassian : Conf 21 : 33.

- 128 - In Ioan. tr 110 : 6.
 129 - In Rom. hom 9.
 131 - In Rom. hom 10.
 133 - 12 Topics of Faith 12.
 135 - Adv Haer 3 : 18 : 7.
 137 - Pasch. Ep. 5: 3.
 139 - In Rom. hom 10.
 141 - Ser. against Auxentius 36.
 143 - On Continence.

- 144 - In Rom. hom 10.
 146 - Conc. Repent. 2 : 3 (9).
 148 - On Baptism of Christ.
 150 - In Rom. hom 11.

- 74 - Comm. on John, book 1 : 6.
 76 - Ibid.
 78 - In matt hom 6.
 80 - In matt hom 6.
 82 - Of the work of Monks 12.
 84 - On the Trinity 5 : 28.
 86 - In Rom. hom 6.

الأصحاح الثالث

- 88 - On Ps. hom 20.
 90 - Unity of the Church 22.

- 94 - City of God 14 : 4.
 96 - In Rom hom 7.
 98 - Ser. on N. T. lessons 30 : 4.
 100 - City of God 17 : 4.
 102 - In Ioan tr 25 : 12.
 104 - Strom 5 : 3.

الأصحاح الرابع

- 106 - Ibid.
 110 - Ser. on N. T. lessons 75 : 2.
 112 - Scorpiace 7.

الأصحاح الخامس

- 114 - In Rom. hom 9.
 116 - Ibid.
 118 - On Ps. hom 39.
 120 - Cassian : Conf 16 : 13.

- 123 - Ibid 94 : 2.

١٢٦ — الكنز الجليل في تفسير الإنجيل — رسالة رومية ، ص ٧٢ .

- 127 - In Rom. hom 9.
 130 - Ep. 51 : 19.
 132 - On Belief of Resur. 2 : 6.
 134 - City of God 16 : 27.
 136 - Against Arians, Dise 1 : 59.
 138 - On luke 10 : 22.
 140 - Ibid.
 142 - Ep. 39 : 4.

الأصحاح السادس

- 145 - Ibid.
 147 - Oration of Holy Baptism 9.
 149 - In Rom. hom 10.
 151 - Strom. 4 : 7.

152 - Ep; 63 : 11.
 154 - On Ressir. of the Flesh 46.
 156 - In Rom. hom 11.
 158 - Ser. against Auxentius 13.
 160 - Ibid 40, 55.
 162 - Serm on N. T. 78 : 8, 12.
 164 - In Ioan tr 41 : 8.
 ١٦٦ — طبعة ١٩٦٩ ص ٣٨ — ٤٢ .
 167 - In Rom. hom 12.
 169 - In Ioan tr 112 : 5.
 171 - In Ioan tr 86 : 5; Ser. on N. T. lessons 95 : 3.
 172 - In Rom. hom 12.
 174 - In Rom. hom 12.
 176 - On Resurr.
 178 - In Ioan. tr 41 : 10.
 180 - On Resurr.
 182 - On Ps. hom 41, 51.
 184 - On Belief in Resurr. 41.
 186 - Cassian : Conf. 23 : 10, 11.
 188 - Ibid 4 : 11.
 190 - In Ioan. tr 77 : 4.
 192 - Ser. on N. T. lessons 95 : 3.

193 - Cassian : Conf. 23 : 13.
 195 - On Ps. hom 7.
 197 - In Ioan. tr 41 : 6; 108 : 4.
 199 - Ser. on N. T. 19 : 4.
 200 - Ep. 10 ad Adelphium; against Arians, dise. 1 : 51.
 201 - In Rom. hom 13.
 203 - Adv. Haer. 5 : 10 : 2.
 205 - Strom 2 : 22.
 207 - Ibid.
 209 - In Rom. hom 14.
 211 - In Rom. hom 14.
 213 - On Ps. hom 59.
 214 - Reproach & Grace 4; Grace & Free - will 23.
 215 - On Jealousy & Envy 14.
 217 - Horm. of Gospel 3 : 4.
 219 - Ibid.
 221 - Ep 76 : 7.
 223 - In Rom. hom 14.
 225 - Adv. Eunomius 4 : 3.
 227 - In Rom. hom 14.
 229 - Ser On N. T. 55 : 7.
 231 - Ibid.
 233 - In Ioan. tr 6 : 1.
 235 - Cassian : Conf. 6 : 8.
 237 - On Ps. hom 6.
 239 - Reproach & Grece 22.
 241 - Adv. Eunomius 2 : 8.

153 - Ep. 69 : 7.
 155 - Ibid 47.
 157 - Paschal Ep. 10 : 8.
 159 - On Ps. hom 5.
 161 - On Continence 8; In Ioan. tr 41 : 12.
 163 - Adv. Haer 5 : 14 : 4.
 165 - Cassian : Conf 1 : 5.

الأصحاح السابع

168 - Ibid.
 170 - In Rom. hom 12.
 173 - In Ioan. tr 62 : 1.
 175 - Cassian : Conf 23 : 13.
 177 - Cassian Conf 23.
 179 - On Continence 20.
 181 - Cassian : Conf. 20 : 12.
 183 - Ep. 130 : 9; 22 : 5.
 185 - In Ioan. tr 41 : 11.
 187 - Ibid 23 : 16 - 18.
 189 - On Continence 19.
 191 - Ibid 41 : 10.

الأصحاح الثامن

194 - In Rom. hom 13.
 196 - In matt. hom 16.
 198 - Conc. Repent. 1: 3 (12).
 202 - Ibid.
 204 - Ibid 5 : 8 : 1.
 206 - In Rom. hom 13.
 208 - Of the Holy Spirit 3 : 19 (149).
 210 - Ser. on N. T. 78 : 9.
 212 - In Ioan. tr 85 : 3.

216 - Adv. Eunomius 10 : 4.
 218 - In Rom. hom 14.
 220 - Ep 22 : 40; 14 : 16, 10.
 222 - Ser. on N. T. 20 : 3.
 224 - Ibid.
 226 - Adv. Haer 5 : 32 : 1.
 228 - In Ioan. tr 86 : 1.
 230 - In Rom. hom 14.
 232 - Cassian : Conf. 9 : 34.
 234 - In Rom. hom 15.
 236 - Grace & Free - will 33.
 238 - In Rom. hom 15.
 240 - In Rom. hom 15.
 242 - City of God 22 : 16.

243 - Against Arians 2 : 61.
 245 - Reproach & Grace 23.
 247 - Ibid.
 249 - Of the Holy Spirit 1 : 12 (129).
 251 - In Ioan. tr 56 : 4.
 253 - Conc. Repent. 1 : 3 (14).
 255 - Frag. from Comm. on Prov 9 : 1.
 257 - Adv. Haer 2 : 22 : 2.
 259 - Of the Christian Faith 5 : 16 (187).

244 - In Rom. hom 15.
 246 - In Rom. hom 15.
 248 - In Ioan. tr 112 : 5.
 250 - In Rom. hom 15.
 252 - Ibid 58 : 5.
 254 - In Rom. hom 15.
 256 - Ep. 7 : 5.
 258 - In Rom. hom 15.

الأصحاح التاسع

260 - Cassian : Conf. 9 : 18.
 261 - Strong : Hebrew & Chaldee Dict., article 3478.
 262 - In Rom. hom 16.
 264 - In Rom. hom 16.
 266 - City of God 16 : 32.
 268 - In Rom. hom 16.
 270 - In Ioan. tr 11 : 10.
 272 - City of God 16 : 35.
 274 - Ep. 133 : 6.
 276 - Cassian : Conf 4 : 5.
 278 - On Ps. hom 34.
 280 - Ibid.
 282 - Adv. Haer. 4 : 20, 21.

263 - Against heresy of Noetius 6.
 265 - In Ioan. tr 117 : 5.
 267 - Ibid 16 : 34.
 269 - Adv. Haer 4 : 21 : 2.
 ٢٧١ — طبعة ١٩٨٤ ، ص ٢٤٢، ٢٤٣
 273 - In Rom. hom 16.
 275 - Ep. 130 : 12.
 277 - Instit. 12 : 9.
 279 - In Rom. hom. 16.
 281 - Ibid.
 283 - In Rom. hom 17.

الأصحاح العاشر

284 - In Ioan. tr. 93 : 4.
 286 - City of God 17 : 4.
 288 - In Rom. hom 17.
 290 - In Ioan. tr. 3 : 2.
 292 - In Ioan tr. 26 : 1.
 294 - On Belief in Resurr. 2 : 112.
 296 - In Rom. hom 18.
 298 - Dial. with Trypho 97.

285 - Ibid 26 : 1.
 287 - Grace & Freeuill 24.
 289 - Strom 2 : 9.
 291 - In Rom. hom 17.
 293 - Ep. 41 : 15.
 295 - Ser. on N. T. 4 : 4.
 297 - Ibid.

الأصحاح الحادي عشر

299 - In Rom. hom 18.
 301 - Ibid.
 303 - Ibid.
 305 - Of the Holy Spirit 2 : Intr. (9).
 307 - In Rom. hom 19.
 309 - Adv. Haer. 1 : 8 : 4.
 311 - Ibid 4 : 3.
 313 - Adv. Haer. 4 : 24 : 1.
 315 - On Ps. hom 33.
 317 - Ibid.

300 - Ibid.
 302 - Ibid.
 304 - In Ioan. tr. 53 : 6.
 306 - In Rom. hom 19.
 308 - Ibid.
 310 - Adv. Eunomius 2 . 8.
 312 - Ibid 12 : 1.
 314 - Ep. 22 : 3.
 316 - In Rom. hom 19.

الأصحاح الثاني عشر

318 - In Rom. hom 20.
 320 - On Virginity.
 322 - In Rom. hom 20.

319 - On Ps. hom 23.
 321 - Ep. 76 : 3.
 323 - In Ioan. tr 74 : 3.

- 324 - In Rom. hom 20.
 326 - Ibid.
 328 - Ibid.
 330 - Ep. 52 : 4.
 332 - Ep. 49 ad Dracontium.
 334 - In Rom. hom 21.
 336 - Ep. 59.
 338 - Ibid.
 340 - On Ps. hom 57.
 342 - Duties of Clergy 1 : 21 (91).
 343 - On Ps. hom 22, 41; adv. pelag. 1 : 30 (See st. Aug : On Christian Doctrine 3 : 16).
 344 - Cassian : Conf. 16 : 22, 23.

الأصحاح الثالث عشر

- 345 - In Rom. hom 23.
 347 - Ibid 83 : 3.
 349 - In Rom. hom 23.
 351 - Pastoral Rule 3 : 39.
 353 - On Jealousy & Envy 10.
 355 - Pasch. Ep. 4 : 3.

الأصحاح الرابع عشر

- 357 - In Rom. hom 25.
 359 - Conc. Virgins 1 : 6.
 361 - In Rom. hom 25.
 363 - In Rom. hom 26.
 365 - Cassian : Conf. 1 : 13.

الأصحاح الخامس عشر

- 467 - In Rom. hom 27.
 469 - In Rom. hom 27.
 471 - Ibid.
 473 - Ibid 28.
 475 - Ibid.
 477 - Ep. 159 : 2.
 ٤٧٩ — الليكون هي إحدى ولايات المملكة الرومانية شمال غربي مكلونية .
 480 - In Rom. hom 29.
 482 - In Rom. hom 29.
 484 - Ibid.

الأصحاح السادس عشر

- 485 - Strong : Greek Dict. of the N. T., articles 5402; 5457.
 486 - In Rom. hom 30.
 488 - New Westminster Dict. of the Bible, p 269.
 489 - In Rom. hom 31.
 491 - New Westminster Dict. p 43.
 493 - New Westminster Dict. p 40.
 495 - New Westminster Dict. p 904.
 497 - New Westminster, p 62.
 499 - Gregory Dix : The shape of Liturgy, p 110.
 ٥٠ — للمؤلف : المسيح في سر الأفخارستيا ، ١٩٧٣ ، ص ٤١١ .
 502 - In Rom hom 32.
 503 - Ibid.

- 325 - Ibid 21.
 327 - Ibid.
 329 - Ep. 22 : 2.
 331 - On Ps. hom 57.
 333 - In Ioan. tr 111 : 1.
 335 - Ibid.
 337 - In Rom. hom 22.
 339 - Ibid.
 341 - Ep. 63 : 100.

- 346 - In Ioan. tr 57 : 1.
 348 - Strom. 4 : 19.
 350 - Ibid 24.
 352 - On Ps. hom 46.
 354 - Strom. 4 : 26.
 356 - In Rom. hom 24.

- 358 - Cassian : Conf. 17 : 20.
 360 - Instruc. 2 : 1.
 362 - Cassian : Conf. 21 : 13.
 364 - Instr. 2 : 1;
 366 - Ibid.

- 468 - Ser. on N. T. 26 : 4.
 470 - Ibid.
 472 - Ibid.
 474 - Ibid 29.
 476 - Ibid.
 478 - In Rom. hom 29.
 481 - On Ps. hom 14.
 483 - Ibid.

- 487 - Ibid.
 490 - Ibid.
 492 - In Rom. hom 30.
 494 - Mckenzie : Dict. of the Bible, p 909.
 496 - Mckenzie, 38.
 498 - In Rom. hom 31.

- 501 - PL 38 : 1101 A. .
 504 - On Ps. hom 20.

المحتويات

صفحة

- مقدمة في الرسالة ٥
- روما ، نشأة المسيحية في روما ، زمان ومكان كتابتها ، أعضاء الكنيسة الأولى ، أهمية الرسالة وغايتها ، مشكلة الأصحاح السادس عشر ، المواضيع في الرسالة ، أقسامها .
- الباب الأول : حاجة الكل إلى الخلاص ٢٣
- الأصحاح الأول : مقدمة الرسالة ٢٤
- البركة الرسولية ، افتتاحية تشجيعية ، شرور الأمم .
- الباب الثاني : الجانب التعليمي « التبرير بالإيمان العامل بالحب » ٤٨
- الأصحاح الثاني : حاجة اليهودي للخلاص ٤٩
- الناموس وإدانة الآخرين ، الناموس والحياة العملية ، الناموس والتعليم .
- الأصحاح الثالث : حاجة الكل للخلاص ٦٤
- الالتزام : عدم أمانتنا مع أمانة الله ، علة الالتزام : الكل بلا برّ ، الحكم : دينونة .
- الكل والحاجة إلى تبرير عام .
- اليهودي وبرّ الله ٧٨
- الأصحاحات ٤ - ١١ : التبرير بالإيمان العامل بالحب ٧٩
- الأصحاح الرابع : إبراهيم دُعي في الغرلة ٨٠
- إبراهيم والإيمان ، إبراهيم أب جميع المؤمنين ، إيمان إبراهيم وإيماننا .
- الأصحاح الخامس : بنوتنا لآدم الواحد ٩٢
- ثمار برّ المسيح ، آدم وبنوه تحت الموت ، آدم الثاني والنعمة .

- الأصحاح السادس : بنوة المؤمنين لله ١١٣
الحياة الجديدة بالمعمودية ، الحرية في المسيح يسوع .
- الأصحاح السابع : الناموس فاضح الخطية ١٢٧
الحاجة إلى التحرر من الناموس ، الناموس يفضح الخطية ، ناموس الله وناموس الخطية .
- الأصحاح الثامن : ناموس الروح وبرّ المسيح ١٤٩
المسيح وناموس الروح ، تجديد الخليقة وعمل الروح ، المسيح المبرّر ، محبتنا للمسيح المبرّر .
- الأصحاحات ٩ — ١١ : إختيار الله شعبه ١٨٢
- الأصحاح التاسع : إختيار الأمم أيضا ١٨٤
تقدير الرسول لليهود ، إختيار الله للآباء ، إختيار الأمم أيضا ، تعثر اسرائيل .
- الأصحاح العاشر : سرّ الجحود ٢٠٧
غيرة اليهود بلا معرفة ، رفضهم بساطة الإيمان ، رفضهم حب الله الشامل ، رفضهم الالتزام بالكراسة ، شهادة الأنبياء عن جحودهم .
- الأصحاح الحادى عشر : الأُمى وبرّ الله ٢١٩
الله لا يرفض شعبه ، قبولهم خلال توبتهم ، الأمم زيتونة برية ، انتظار توبة اليهود ، خطة الله الفائقة .
- الباب الثالث : الجانب العملى ٢٣٦
- الأصحاحات ١٢ — ١٥ : الجانب العملى ٢٣٧
- الأصحاح الثانى عشر : المؤمن والحياة اليومية ٢٣٨
تقديم الحياة كلها لله ، تجديد الخارج والداخل ، التعقل في الجهاد ، تنوع المواهب ، المحبة الاخوية ، حرارة الروح ، الفرح في الرجاء ، الشركة في احتياجات القديسين ، مباركة المضطهدين ، الشركة العملية ، الاتضاع ، مسالة الجميع .

- الأصحاح الثالث عشر : المؤمن والوطن ٢٦٢
الخضوع للسلطين ، أمانته نحو الوطن ، إلتزامه بحب القريب ، إستعدادنا
للوطن السماوى .
- الأصحاح الرابع عشر : **الْمُؤْمِنُ وَالْإِخْوَةُ** ٢٧١
قبول الضعيف بلا إزدراء ، عدم إدانة الإخوة ، ملكوت الله وعثرة
الضعفاء .
- الأصحاح الخامس عشر : المؤمن والضعفاء ٢٨٢
احتمال الضعفاء ، اتساع القلب للأمم ، مساندته فى خدمة الأمم ، شوقه
لخدمتهم فى روما ، فهمه لعطاء الأمم ، جهادهم معه بالصلوات ، مقاومة غير
المؤمنين له ، خاتمة .
- الباب الرابع : ختام الرسالة ٢٩٥
- الأصحاح السادس عشر : ختام الرسالة ٢٩٦
توصيته بخصوص فيبى ، تحيات شخصية ، القبلية الروحية العامة ، تحذير
من المعلمين الكذبة ، تحيات أصدقاء الرسول ، ذكصولجية « ختام » .

صدر عن هذه السلسلة

العهد الجديد:

١- متى	٢- مرقس	٣- لوقا
٤- رومية	٥- أفسس	٦- تسالونيكى الأولى
٧- تسالونيكى الثانية	٨- تيموثاوس الأولى	٩- تيموثاوس الثانية
١٠- تيطس	١١- فليمون	١٢- العبرانيين
١٣- يعقوب	١٤- بطرس الأولى	١٥- بطرس الثانية
١٦- رسائل يوحنا الرسول	١٧- رسال يهوذا	١٨- رؤيا يوحنا اللاهوتى

أسفار العهد القديم:

١- التكوين	٦- القضاة	١١- المزامير	١٦- يوشع	٢١- حبقوق
٢- الخروج	٧- راعوث	١٢- أشعيا	١٧- عاموس	٢٢- حجي
٣- اللاويين	٨- صموئيل الأول	١٣- حزقيال	١٨- عوبديا	٢٣- زكريا
٤- العدد	٩- صموئيل الثانى	١٤- نشيد الأناشيد	١٩- يونس النبى	٢٤- ملاخى
٥- يشوع	١٠- أستير	١٥- هوشع	٢٠- ناحوم	٢٥- الجامعة

يطلب من:

كنيسة مارجرس أسبورتج - الإبراهيمية - الإسكندرية.
كنيسة مارمرقس والأنبا بطرس - سيدى بشر - الإسكندرية.
مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس - العباسية - القاهرة.

الثلث ٣٥٠ قرشاً

